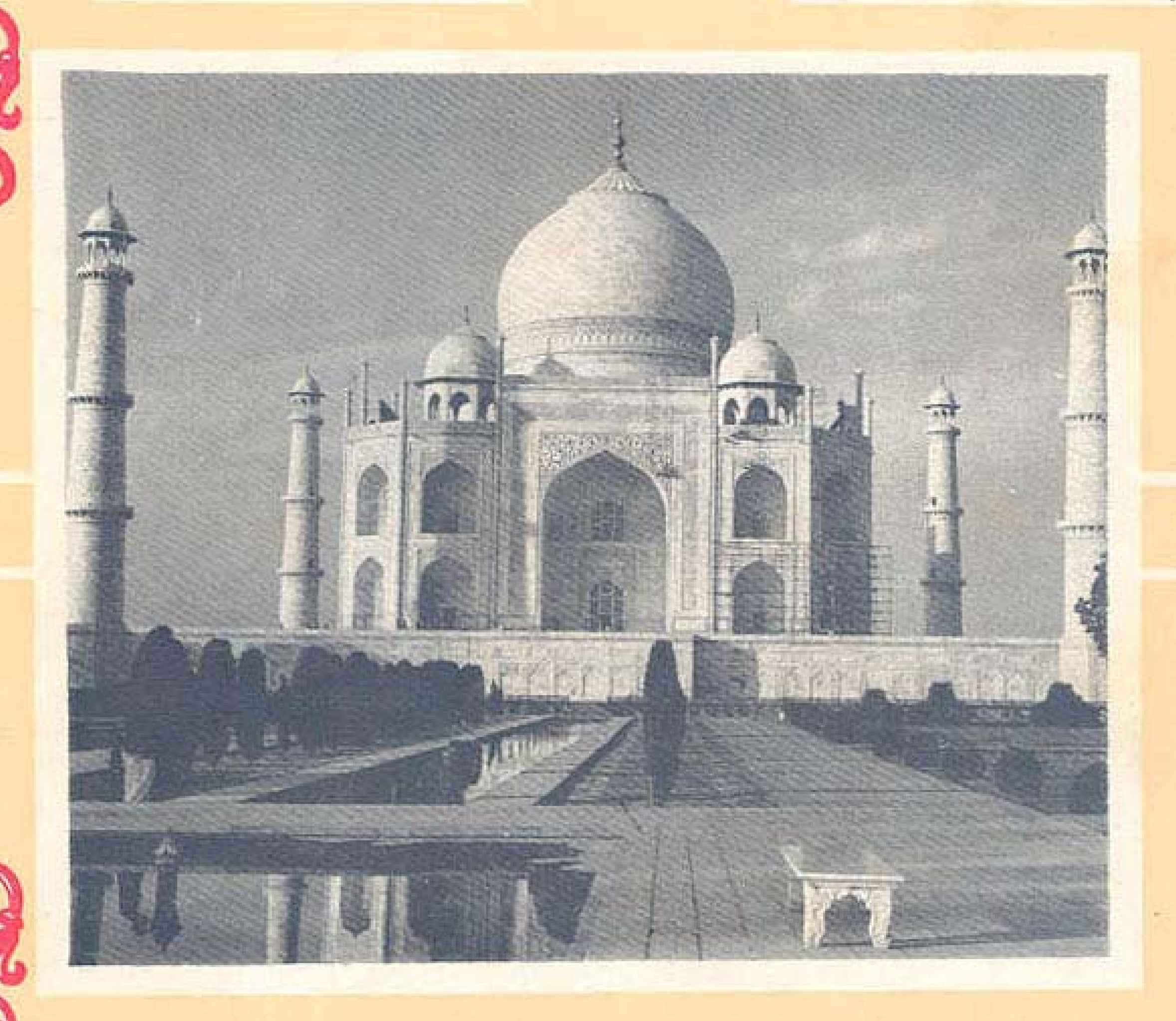


مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الاوقاف
الرباط المغرب الاقصى



العدد السابع - السنة السابعة
أبريل 1964 - ذو الحجة 1383
ثمن العدد 1.50 درهم

العدد السابع
السنة السابعة
أبريل 1964
ذو الحجة 1383
ثمن العدد
1,50 درهم

دعوة الحق

مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

صورة الغلاف



من المآثر الاسلامية فى الهند :
تاج محل بمدينة اغرا

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف الرباط - المغرب . الهاتف 10 - 308

الاشتراك العادي عن سنة 15 درهما ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 - 485 - الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط
تليفون 308.10 - 327.03 - الرباط

دار الحديث وفضل علم الحديث

للدكتور تقي الدين الهلالي

طالما خطر ببالي ان اكتب سلسلة مقالات اعرف بها القراء فضائل هذا العلم ومكانته بين العلوم وما خصه الله به من الخواص والمزايا ومناقب اهله ومآثرهم وحاجة الناس اليه واليهم . فلما الهم الله جلالة الملك الحسن الثاني فكرة انشاء دار الحديث واخراجها الى حيز الوجود فى اواخر رمضان الماضي. وهي فكرة وعمل يغبطه عليه جميع ملوك المسلمين ورؤساء دولهم فى هذا العصر . فقد روى مسلم فى صحيحه من حديث جرير بن عبد الله البجلي فى حديث طويل سيأتي بطوله ان شاء الله ، قال رسول الله (ص) من سن فى الاسلام سنة حسنة ، فله اجرها واجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اجورهم شيء ، ومن سن فى الاسلام سنة سيئة ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير ان ينقص من اوزارهم شيء . اقول لما الهم الله جلالة الملك ابي محمد الحسن الثاني هذه الفكرة ووفقه لهذا العمل المبرور كان ذلك منشطا لهمتي وحافزا لي على المبادرة الى كتابة هذه المقالات واخراجها من حيز الفكر الى حيز العمل . ولم يات جلالة الملك الحسن الثاني ببدع فى هذا العمل ، فان مجالس اسلافه الاكرمين كانت مدارس حديث طول اعمارهم ، بل ظهر منهم ائمة فى الحديث ، كسيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل الذي صنف فى هذا العلم وانتسب الى اهله ونصره نصرا مؤزرا ، ولم تشغله الفتن التي كانت منتشرة فى زمانه ، والدسائس فى الداخل والخارج عن رفع لواء علم الحديث والمجاهرة بترك العقيدة الاشعرية والانتساب الى عقيدة اهل الحديث . وليس المراد بالعقيدة الاشعرية ، عقيدة ابي الحسن الاشعري نفسه ، فان عقيدته هي عقيدة جميع السلف ولم يفارقها سيدي محمد بن عبد الله ، وانما فارق العقيدة المنسوبة اليه الشائعة عند المغاربة . ومن ارتاب فى اختلاف هذه العقيدة المنسوبة اليه مع عقيدته الحقيقية ، فليقرا كتابه (مقالات الاسلاميين ، واختلاف المصلين) طبع فى اسطنبول ، وكتابه الابانة ، فى اصول الديانة ، طبع فى دمشق . وكتاب تبيين كذب المفتري ، فيما نسب الى ابي الحسن الاشعري ، للحافظ بن عساكر ، طبع فى دمشق . فقراءة واحد من هذه الكتب تجلو غمام الشك والارتياب ، وتكشف عن وجه الحقيقة النقاب . ولم تكن العناية بعلم الحديث عند العلويين رحمهم الله خاصة بالملوك ، بل كانت عامة فى اعيانهم وديدنا لازما لهم . فقد كان مولاي رشيد بن محمد نزيل سجلماسة رحمة الله عليه كالحال المرتحل ، لا يختم كتابا من كتب الحديث الا بدا فى كتاب آخر يجتمع عليه علماء القطر لا يفتر من ذلك ولا يسام ابدا . وقد اخذني ابي عبد القادر بن محمد الهلالي ، وكان من جلسائه في جملة العلماء ، الى قصر مولاي رشيد فى قرية اولاد عبد الحليم لحضور ختم كتاب الموطا للامام مالك رحمه الله ، وحضرته وانا صغير مميز ، ولم يكن هنالك صبي غيري ، وقد اجتمع عنده علماء تفيلالت ، اعني خاصتهم واعيانهم ، اذ لم يكونوا كثيرا . فلما انتهى الدرس نصبت المائدة فتغدينا معه رحمه الله . واشتغاله طول عمره بكتب الحديث معروف مشهور فى بلادنا . ونحن نؤمل ونرجو لهذه الدار ان تكون عامرة بالعلم والعمل يشع نورها الى السماء وينتشر فى الآفاق ، وان يختار لها من العلماء والتلامذة الاكفاء المخلصون الذين يطبقون بالجنان والاركان ما يقولونه باللسان المتصفون بقوله تعالى : (قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو

معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على ازواجهم او ما ملكت أيمانهم ، فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون ، والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس ، هم فيها خالدون .) فبمطابقة اسمها لمعناه تكون فاتحة عهد جديد يسري أثره في نواحي عديدة في سائر الشعب المغربي خاصته وعامته فيبعث بها العلم من مرقده ويعتز بها الاسلام ويخذل بها دعاة الكفر والفسوق ، فيعودون الى اجحارهم مرجومين باحجارهم . وبذلك يتكامل حسن هذا العهد الحسني ، وتؤتي اشجاره أكلها ، ويعود الدين الى سابق عهده ، وغابر مجده ، وسلطانه وهيمنته على الراعي والرعية ، والرئيس والمرؤوس .

ولا يخفى ان دار الحديث هي دار القرآن ، لان خدمة الحديث ، انما هي وسيلة لفهم القرآن ، وفهم القرآن وسيلة لتحكيمه والعمل به . وتحكيمه والعمل به وسيلة للسعادة العظمى ، سعادة الدارين .

تلك السعادة ان تلمم بساحتها
فحط رحلك قد عوفيت من تعس

والسنة المحمدية هي بيان للقرآن وتوضيح لمعناه بالقول والفعل والتقرير . برهان ذلك قوله تعالى في سورة النحل 45 (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) يقول الله تعالى ، وانزلنا اليك القرآن الذي هو تذكرة لك ولقومك ، لتوضح للناس ما نزل اليهم باقوالك وافعالك وتقريرك وتروكك ، جمع ترك ، وهو ما تركه النبي (ص) في شئون العبادات ، لا يجوز ان يفعله من يقتدي به اقتداء حسنا .

ثم لابد لهذه الدار من اللغة العربية التي هي مفتاح القرآن والحديث والهادية الى اسرارهما وكنوزهما . فان المحدث اذا كان جاهلا بالعربية ينطبق عليه ما قال الشاعر :

ان من يقرا الحديث وليس
له نحو ولا له آلاته

كحمار قد علقت ليس فيها
من شعير براسه مخلاته

سمعت هذين البيتين من الاستاذ الاديب الشيخ احمد سكيرج . وكان شاعرا اديبا لطيف المحاضرة ، لا يخلو مجلس له من ادب . وكان ينظم البيت من الشعر في الجد او في الهزل فيامرني بالاجازة ، فاشفعه ببيت آخر . واحيانا ينظم الشطر الاول فيامرني باكمال البيت . وفي بعض الاحيان ياتي بسجعة فاشفعها أنا باخرى ، ثم ينشيء هو ثالثة وانشيء انا رابعة ، وهكذا دواليك . ومرة انشد البيت الاول من البيتين المذكورين ، فظننت انه يسجع ويريد مني سجعة تالية ، فقلت ، على البديهة (كحمار علقت عليه مخلاته) فقال لي ، هل تحفظ هذين البيتين ، فقلت ، لا ، انما ظننت ، انك تريد المساجلة في السجع ، فتعجب من ذلك وانشدني البيت الثاني بتمامه . ولهذا الاستاذ فضل علي يجب ان اذكره فاشكره . واعظم معروف اسداه الي شفاعته لي عند القنصل الفرنسي في وجدة ونائبه في اخراج جواز السفر . وخاطر بنفسه فضمنني، ومع اني لم اوف بضمانه ، بل حاربت الاستعمار الفرنسي ، لم يتغير علي رحمه الله .

وبعد هذا الاستطراد اعود الى الموضوع فاقول ان آلات فهم القرآن زيادة على علوم اللغة العربية ، علوم القرآن الخاصة به وعلوم الحديث الخاصة به ، ومعرفة الاصول التي تستنبط بها الاحكام من الكتاب والسنة . وفي رايي لا بد لطلاب علم الحديث والقرآن في هذا الزمان ان يتقنوا لغة اجنبية كالانجليزية والفرنسية ، لاجل ان يعملوا بالحديث الذي اخرجه الامام احمد والبخاري والترمذي عن بريدة قال ، قال رسول الله (ص) : بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) فمقتضى هذا الحديث وما في معناه يوجب على كل من تعلم شيئا من حديث النبي (ص) أن يبلغه . وحذف المعمول في الحديث يدل على تعميم التبليغ ، كقوله تعالى : (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك) المائدة ، 68 ، اي بلغه جميع الناس . فكذلك قول النبي (ص) ، بلغوا عني ، ليس معناه بلغوا العرب وحدهم ، او كل من يعرف العربية ، بل المراد تبليغ جميع الامم بالسنتها حتى تعرف محاسن الاسلام وترغب فيه ، وحينئذ ستتعلم وتعلم ابناءها لغة القرآن ليتدبروه بانفسهم ويذوقوا طعمه بعقولهم ،

ولا يكتفون بالترجمة كما يفعله خطأ في هذا الزمان كثير من الشعوب الاسلامية ، فتراها تركب الصعب والذلول في تعليم ابنائها لغة المستعمر الاجنبية وتاخذها نشوة وطرب اذا رات ابناءها وبناتها يتراطنون باللغة الاجنبية وتهجر لغة القرآن فلا تنفق عليها وقتا ولا مالا ولا تبذل لاهلها جهدا . والذي يعد نفسه منهم متمسكا بالدين يكتفي بترجمة القرآن . ولا اقول ، ان هجر القرآن والحديث خاص بالشعوب العجمية المسلمة ، فان الشعوب العربية لا تقل عنها زهدا في القرآن والحديث ، مع انهما بلغتها ، ولا تحتاج من بذل الجهد في تعلم اللغة العربية ، لغة القرآن والحديث مثل ما تحتاج اليه الشعوب العجمية . فصدق عليهم قوله تعالى في سورة الفرقان 28 ـ 31 (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا . يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا . لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا . وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) .

اما الامة التي لم تبلغها دعوة النبي صلى الله عليه وسلم على الوجه الاكمل الذي تقوم به الحجة فلا بد من تبليغ القرآن والحديث لها بلغتها . وقد جاء في الخبر ان اصحاب رسول الله حاصروا حصنا في بلاد فارس واستعصى عليهم فتحه ، وكان فيهم سلمان الفارسي رضي الله عنه ، فقرا على اهل ذلك الحصن سورة الفاتحة وترجم معناها لهم بالفارسية ، فاخبرهم ان المسلمين لا يقصدون استعبادهم ولا قهرهم ولا اهانتهم ، وانما يريدون ان يبلغهم رسالة الله التي جاء بها عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، واخبرهم ان دين الاسلام هو دين العدل والمساواة بين الناس ، لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لاسود على احمر الا بتقوى الله العظيم . ففتحوا الحصن واسلموا عن بكرة ابيهم . وسلمان هذا هو الذي قال فيه النبي (ص) : سلمان منا اهل البيت . رواه الطبراني في الكبير ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين . واخرج الحافظ ابو عمر يوسف بن عبد البر النمري في الاستيعاب بسنده الى علي ابن ابي طالب انه سئل عن سلمان فقال ، علم العلم الاول والآخر ، بحر لا ينزف ، وهو منا اهل البيت . قال تقي الدين ، قوله علم العلم الاول والآخر . جاء في بعض الروايات مفسرا ، ان العلم الاول هو الانجيل ، والعلم الآخر هو القرآن والحديث . فكيف لا يقرر سلمان المساواة ، وقد جعله النبي (ص) من اهل بيته ، وهذا هو القضاء المبرم على نظام الطبقات الذي كان سائدا قبل الاسلام ولا يزال بعضه موجودا الى الآن .

قلت فيما مضى ، ان هذه المنقبة التي وفق الله لها جلالة الملك الحسن الثاني يغبطه عليها كل ملك وكل رئيس مسلم ، وهذا القول له دليل من حديث النبي (ص) ، فقد اخرج البخاري ومسلم عن ابن مسعود قال ، قال رسول الله (ص) ، (لا حسد الا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها) ، قال تقي الدين : والحكمة هي حديث النبي (ص) بدليل قوله تعالى في سورة الاحزاب (35 ، واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) والذي كان يتلى في بيوتهن ، هو كتاب الله وحديث النبي (ص) . وقوله تعالى في سورة الجمعة (3 ، هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) ، ومن اسس دارا لتعليم الحكمة فقد علمها على اكمل وجه . فيجب على كل مسلم ان يغبطه . فان معنى الحسد في هذا الحديث ، هو الغبطة . واما الحسد بمعنى تمني زوال النعمة فهو مذموم ، وهو من الكبائر . وعسى رؤساء الدول الاسلامية ، اذ فاتهم السبق الى هذه المنقبة ، الا يفوتهم الاقتداء بجلالة الملك الحسن الثاني فينشئوا كليات على غرارها احياء لسنة النبي (ص) ورفعا لمنار الاسلام ، فان الله لا يرفعهم الا بذلك . فقد روى الترمذي باسناده الى بلال بن الحارث المزني قال ، قال رسول الله (ص) : من احيا سنة من سنتي قد اميتت بعدي ، فان له من الاجر مثل اجور من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيء ؛ ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله ، كان عليه من الاثم مثل آثام من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شيء) . وروى الترمذي عن عمرو بن عوف قال ، قال رسول الله (ص) : ان الدين بدا غريبا وسيعود كما بدا ، فطوبى للغرباء ، وهم الذين يصلحون ما افسد الناس من بعدي من سنتي) قال الترمذي ، حديث صحيح . وقد سمعت منذ ثلاثة ايام من اذاعة لندن العربية خبر تاسيس كلية لدراسة علوم القرآن والحديث . ولا بد ان يكون هذا التاسيس صادرا عن ارادة الملك ادريس السنوسي . ولا غرابة في ذلك ، فان جده الامام المجتهد المحدث محمد بن علي السنوسي المغربي كان من ائمة الحديث المتاخرين ،

والف كتبا قيمة في الدعوة الى علوم الكتاب والسنة دراسة وعملا واقام الحجج القاطعة على بطلان التقليد ووجوب العمل بالكتاب والسنة واستجاب له خلق كثير فاخذوا يعملون بالكتاب والسنة ولا يلتفتون الى ما خالفهما كائنا ما كان . ولا استحضر الآن تاريخ وفاة هذا الامام ، ولكني لا اظن ان عصره كان بعيدا من عصر الامام محمد بن عبد الله بن اسماعيل العلوي . وقد سافر الامام محمد بن علي السنوسي من وطنه المغرب الاقصى واستقر في ليبيا واسس فيها المدارس ونشر علم الكتاب والسنة . فهذان امامان مغربيان من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، نهضا في عصر واحد لاحياء علوم الكتاب والسنة والفا فيها ودعوا الناس اليها ، فلا غرو ان يقوم من آلهما في هذا الزمان امامان عظيمان يقتديان بهما ويمدان حبل دعوتهما التي هي دعوة النبي صلى الله عليه وسلم جدهما ، ولهما ولغيرهما فيه اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا . واذا كان احياء سنة النبي (ص) والقيام بدعوته وتجديد دينه فرضا واجبا حتما لازما على كل مسلم ، فهو على آل بيته ، وخصوصا الملوك والرؤساء منهم أوجب والزم .

ومع ان تأسيس دار الحديث عمل جليل احيا به الحسن الثاني سنة النبي ، فلا يكفينا من جلالته ، بل نرجو أن يكون اول الغيث وان يتبعه تحكيم الكتاب والسنة في سائر ارجاء مملكته تحكيما تاما شاملا عاما ، بحيث لا يحكم حاكم الا بهما ،ولا يفتي مفت الا بالاعتماد عليهما ، ولا يقتدي الا بهما ، فهما الشمس والقمر اللذان بهما وحدهما تستضيء الامة وتخرج منتصرة من كل كرب وغمة . وقد سبق الى الاشارة الى هذا المعنى اخي الاستاذ العبقري السيد عبد الله كنون في مقال نشره في مجلة دعوة الحق في الجزء الخامس من السنة السابقة تحت عنوان (دار الحديث ، افق جديد في ثقافتنا الاسلامية) وذكر بالنهضة الموحدية لاحياء علوم الكتاب والسنة وتحكيمهما والعمل بهما . ونرجو ان تكون هذه المؤسسة فاتحة نهضة حسنية علوية محمدية تقر بها عيون المؤمنين وتسخن بها عيون اعداء الدين ، لا في المغرب وحده ، بل في مشارق الارض ومغاربها . وهذا ما تقتضيه النصيحة المفروضة علينا معشر طلبة العلم ، خصوصا والمسلمين عموما ، ان نبذلها خالصة لمن ولاه الله أمر عباده وبسط يده في بلاده . فقد اخرج مسلم في صحيحه عن ابي رقية تميم بن اوس الداري عن النبي (ص) قال : (الدين النصيحة؛ ثلاثا ، قلنا لمن يا رسول الله ، قال ، لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم) . قال الحافظ ابن رجب في كتابه (جامع العلوم والحكم) في شرح هذا الحديث . واما الثاني ، وهو النصح لولاة الامور ونصحهم لرعاياهم . ففي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي (ص) قال : ان الله يرضي لكم ثلاثا ، ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وان تناصحوا من ولاه الله امركم . وفي المسند وغيره عن جبير بن مطعم ان النبي (ص) قال : في خطبته بالخيف من منى ، ثلاث لا يغل عليهن قلب امريء مسلم ، اخلاص العمل لله ،، ومناصحة ولاة الامر ، ولزوم جماعة المسلمين .

قال تقي الدين ، معنى هذا الحديث ، ان من كانت فيه هذه الخصال الثلاث ، وهي اخلاص العمل الذي يراد به وجه الله لله وحده لا شريك له ، بحيث يكون خاليا من الشرك الاكبر ، كدعاء غير الله والذبح والنذر له والاستغاثة به والاستعانة به فيما لا يقدر عليه الا الله ، كانزال المطر واعطاء الاولاد وما اشبه ذلك ، وخاليا ايضا من الشرك الاصغر . وهو ان يعمل العمل مما يراد به وجه الله ، كالصلاة والزكاة والحج وتعليم العلم والجهاد ليراه الناس ويمدحوه . ومناصحة ولاة الامر ، ببذل النصيحة وعدم الخروج عليهم ما اقاموا الدين ، والدفاع عنهم ومحاربة من اراد ان يشق عصا الطاعة وطاعتهم اذا لم يامروا بمعصية الله وارادة الخير لهم . واما لزوم جماعة المسلمين ، المراد بالجماعة هنا اهل الحق المتبعون لكتاب الله وسنة رسوله ، وان كانوا قليلا . من كانت فيه هذه الخصال يكون قلبه طاهرا من الحقد والضغن على المسلمين ، ويكون ممن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه . ثم قال ابن رجب في شرح الحديث مبينا ما يجب على ولاة الامور من النصح لرعيتهم ما نصه : وفي الصحيحين عن معقل بن يسار عن النبي (ص) قال : ما من عبد يسترعيه الله رعية ثم لم يحطها بنصيحته الا لم يدخل الجنة . وقد ذكر الله في كتابه عن الانبياء عليهم السلام، انهم نصحوا لاممهم كما اخبر الله بذلك عن نوح وعن صالح ، وقال ، ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله . يعني ان من تخلف عن الجهاد لعذر فلا حرج عليه بشرط ان يكون ناصحا لله ورسوله في تخلفه ، فان المنافقين كانوا يظهرون الاعذار كاذبين ويتخلفون عن الجهاد من غير نصح لله ورسوله . ثم نقل ابن

رجب عن الامام محمد بن نصر المروزي انه شرح النصح لائمة المسلمين بقوله : والنصيحة لائمة المسلمين ، معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وتذكيرهم به وتنبيههم في رفق ولطف ، ومجانبة الوثوب عليهم ، والدعاء لهم بالتوفيق وحث الاغيار على ذلك .

وقال الامام النووي في شرح هذا الحديث : واما النصيحة لائمه المسلمين ، فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه ، وامرهم به ونهيهم وتذكيرهم برفق ، واعلامهم بما غفلوا عنه ، ولم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج بالسيف عليهم ، وتاليف قلوب المسلمين لطاعتهم . قال الخطابي ، ومن النصيحة لهم ، الصلاة خلفهم ، والجهاد معهم ، واداء الصدقات اليهم ، وترك الخروج بالسيف عليهم اذا ظهر منهم حيف او سوء عشرة ، وان لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم ، وان يدعى لهم بالصلاح .

قال تقي الدين ، وقد رحلت في طلب علم الحديث من المغرب ، غربا الى كلكتا شرقا والى كابل في افغانستان ، فلم اجد من مدارس الحديث التي يدرس فيها الحديث والقرآن بقصد الاعتقاد والعمل ، الا مدارس اهل الحديث بالهند ، والا مدرستين احداهما بالمدينة النبوية ، والاخرى بمكة ، وقد اسسهما اهل الحديث الهنديون ، ولكن طائفة اهل الحديث بالهند ضعفت عما كانت عليه بسبب موت العلماء وعدم وجود من يخلفهم . وقد اسس الامام السيد رشيد رضا صاحب المنار رحمه الله مدرسة الدعوة والارشاد في القاهرة ، ولكني لم ادركها . اما السيد رشيد رضا نفسه فقد ادركته وكنت ازوره واتردد اليه مدة اقامتي بمصر . ولم تنقطع المكاتبة بيني وبينه حتى توفي رحمه الله . ونشر لي في المنار كتاب القاضي العدل في حكم البناء على القبور ومقالات اخرى . ولقيت اصحابه المتخرجين في مدرسة الدعوة والارشاد ، ولم يبق منهم الا اثنان ، احدهما الاستاذ الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة مدير دار الحديث بمكة ، والآخر هو الاستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار بدمشق ، ولا اعرف احدا يساويهما في علم الحديث في البلاد العربية .

وقد عم الجهل بعلوم السنة المحمدية منذ قرون في جميع البلاد الاسلامية ما عدا طائفة اهل الحديث في الهند كما تقدم . ولما زرت مصر سنة 1341 للهجرة لقيت في جملة من لقيته من العلماء فضيلة الاستاذ الشيخ علي الزنكلوني ، وهو من الطبقة العليا من علماء الازهر ، فتذاكرت معه في علم الحديث ، فقال لي في اثناء حديثي معه ، كم حديثا تحفظ ، فقلت له لا ادري . احفظ بعض متون الحديث ، بعضها اعرف صحابيه ومخرجه ودرجته من الصحة والحسن والضعف ، وبعضها لا اعرف الا متنه ومخرجه ، وبعضها لا اعرف الا المتن وحده ، فقال لي انا لا اشك في انك تحفظ ثلاثمائة حديث على اقل تقدير . وانا اخبرك انه لا يوجد في علماء الازهر كلهم من يحفظ عشرة احاديث . انما نقرا سوادا في بياض . وما قرأناه من الحديث لانعرف منه صحيحا ولا ضعيفا .

قال تقي الدين : ولا شك ان في هذا الكلام كثيرا من التواضع ، ولكن اكثر علماء الازهر في ذلك الزمان ينطبق عليهم ما قاله ذلك الشيخ . ولاجل ان يعرف القارىء ان هذا الداء قديم وانه عام تقريبا في البلاد الاسلامية انقل هنا ما قاله الامام المجتهد بقية السلف، وعمدة الخلف ، المحدث الرحال صالح بن محمد الفلاني ، نسبة الى فلان قبيلة بالسودان المغربي في كتابه (ايقاظ همم اولي الابصار ، للاقتداء بسيد المهاجرين والانصار) طبع في مصر سنة 1354 بالمطبعة المنيرية ص 80 .

واعلم رحمك الله تعالى ، ان طلب العلم في زماننا هذا وفي بلدنا ، قد حاد اهله عن طريق سلفهم ، وسلكوا في ذلك ما لم يعرفه المتهم . وابتدعوا في ذلك ما بان به جهلهم وتقصيرهم عن مراتب العلماء قبلهم . فطائفة تروي الحديث وتسمعه ، قد رضيت بالدؤوب في جمع ما لا يفهم ، وقنعت بالجهل في حمل ما يعلم ، فجمعوا الغث والسمين ، والصحيح والسقيم ، والحق والكذب في كتاب واحد ، وربما في ورقة واحدة ، ويدينون بالشيء وضده ، ولا يعرفون ما في ذلك عليهم، قد شغلوا انفسهم بالاستكتاب عن التدبر والاعتبار . فالسنتهم تروي العلم ، وقلوبهم قد خلت من الفهم . غاية معرفة احدهم معرفة الكتب الغريبة ، والاسم الغريب ، والحديث المنكر . وتجده قد جهل ما لا يكاد يسمع احدا جهله من علم صلاته وحجه وزكاته .

وطائفة هي في الجهل كتلك او اشد ، لم يعتنوا بحفظ سنة ، ولا باصل من القرآن ، ولا اعتنوا بكتاب الله عز وجل ، فحفظوا تنزيله ، ولا عرفوا ما للعلماء في تأويله ، ولا وقفوا على احكامه ، ولا تفقهوا في حلاله وحرامه . وقد طرحوا علم السنن والآثار ، وزهدوا فيها واضربوا عنها . فلم يعرفوا الاجماع من الاختلاف، ولا فرقوا بين التنازع والائتلاف ، بل عولوا على حفظ

ما دون لهم من الراي والاستحسان الذين كان عند العلماء آخر العلم والبيان . وكان الائمة يبكون على ما سلف وسبق لهم فيه ، ويودون أن حظهم السلامة منــــه .

ومن حجة هذه الطائفة فيما عولوا عليه ، من ذلك انهم يقصرون وينزلون عن مراتب من له القول فى الدين لجهلهم باصوله ، وانهم مع الحاجة اليهم لا يستغنون عن اجوبة الناس فى مسائلهم واحكامهم . فلذلك اعتمدوا على ما قد كفاهم الجواب فيه غيرهم ، وهم مع ذلك لا ينفكون من ورود النوازل عليهم ، فيما لم يتقدمهم فيه الى الجواب ، فهم يقيسون على ما حفظوا من تلك المسائل ، ويعرضون الاحكام فيها ، ويستدلون منها ويتركون طريق الاستدلال من حيث استدل الائمة ، وعلماء الامة . فجعلوا ما يحتاج ان يستدل عليه دليلا على غيره ، ولو علموا اصول الدين وطريق الاحكام وحفظوا السنن ، كان ذلك قوة لهم على ما ينزل بهم ، ولكنهم جهلوا ذلك فعادوه وعادوا صاحبه فهم يفرطون فى انتقاص الطائفة الاولى وتجهيلهم وعيبهم ، وتلك تعيب هذه بضروب من العيب ، وكلهم يجاوزون الحد فى الذم . انتهى كلام الفلاني .

اقول هكذا كانت حال علوم الكتاب والسنة فى زمانه فى بلاد السودان والمغرب الاقصى . فانه ولد بالسودان فى بلد آبائه العمريين – تس – من اقليم فوت جلوا سنة 1166 هـ . وتوفى بالمدينة النبوية سنة 1218 .

أما فى زماننا هذا . فالطائفة الاولى تقتصر على سرد اول حديث من صحيح البخاري وآخر حديث منه مع ذكر أسانيدهما فى المناسبات للتبرك المجرد بلا فهم ولا عمل ، واذا تعدوا ذلك سردوا فى رمضان بعض فصول كتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذري سردا مجردا بلا شرح ولا استنباط . اما الطائفة الثانية فانها تتعاطى بعض المختصرات الفقهية فى الفروع المذهبية دون معرفة خلاف ولا وفاق ، فضلا عن الترجيح بالدليل والبرهان . وبالجملة ، نقول ان تأسيس كلية لعلم الحديث والقرآن وما يخدمهما من العلوم فى هذا الزمان على أساس متين على نهج السلف الصالح من التحقيق والاستنباط والتبصر يعد بحق فتحا جديدا . ولذلك تلقينا هذه البشرى بهذا القدر من الفرح ، وقد حركت القريحة الخادمة مؤملا ان تجود بشيء من الشعر فى هذه المناسبة فتقاعست ولم تجد الا بشيء تافه لا يسمن ولا يغني من جوع ، فترددت فى اثباته هنا لتفاهته وقلة غنائه ، ثم عزمت على اثباته عملا بقوله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسرا) .

بدار حديث المصطفى حقت البشرى
فاشرقت الآفاق وامتلأت بشرا

هي الفكرة الحسنى بها الحسن ارتقى
الى ذروة الاحسان وهو بها احرى

فلا شك ان الله الهم عبده
لذا العمل المبرور والنعمة الكبرى

وصية خير الخلق طرا وعهده
الى امة القرآن يا سعد من برا

على حين عم الجهل في الناس كلهم
ولا سيما بالذكر والسنة الغرا

وشاع ابتداع فاتك في ربوعهم
فاظلمت الارجاء وامتلأت نكرا

وساد رؤوس الجهل واشتد كيدهم
وقد اضمروا للامة المكر والغدرا

مضوا يسلبون المال والعقل والهدى
ويستعبدون الناس بالحيل الحقرا

فاطلعها نورا يضيء حنادسا
من الجهل ذاق الناس من طعمها المرا

واحيا من الآمال ما كان ميتا
فاصبح ثغر العلم والدين مفترا

ومن يحيي سنات الرسول وهديه
يهيىء له الرحمن من امره يسرا

ويعظم له أجرا ويرفع ذكره
ويبلغه آمالا ويشرح له الصدرا

ومن رام من اعدائه أن يكيده
ببغي فان الله يمنحه النصرا

ومن ينصر الرحمن ينصره عاجلا
وينصره يوم الحشر في النشأة الاخرا

ومن يقرأ القرآن من غير سنة
يضل ويلقي في عواقبه خسرا

فتفسير قول الله هدي رسوله
وذلك في القرآن متضح يقرا

فيا ايها الملك الهمام الذي سرت
باخباره الركبان تنشرها نشرا

وما زال بالافعال يشفع قوله
فتبني له بين الورى المجد والفخرا

جزاك اله الناس خير جزائه
على دار علم شدتها للهدى فجرا

اليك اسوق اليوم نظما ملفقا
وكان بودي أن انظمه درا

ولكن هجرت الشعر دهرا فاوصدت
بوجهي قوافيه وكافاني هجرا

فقابله بالصفح الذي انت أهله
وأسدل عليه من جميل الرضا سترا

مكناس : تقي الدين الهلالي

اقرأ في العدد القادم

تعقيبا للاستاذ محمد الحلوي على مقالة العناصر القرآنية في قصيدة (قفانبك) المنشورة في العدد السادس للاستاذ محمد بن تاويت .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

للأستاذ : عبد الله كنون

من الشعارات الاسلامية الخالدة التي نادى بها الكتاب ورددتها السنة وتلقتها الامة بالقبول ، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولقد كان هذا الشعار وما يزال عنوان الديمقراطية الحق التي جاء بها الاسلام، ومعيار سلامة المجتمع من الآفات والعلل التي اريد له بمقتضى تعاليم الدين الحنيف ان يتجنبها ولا يقع فيها .

اما كونه عنوانا للديمقراطية الحق فلأنه أشرك الامة في الحكم بفرض رقابتها على الجهاز الحاكم وتخويلها حق الاعتراض على كل ما يخالف السياسة الشرعية وما ليس فيه مصلحة للعموم . واما كونه معيارا للمجتمع السليم فلكون القيام عليه والعمل به يسد كل منفذ لتسرب المفسدين وانطلاق الاشرار الى العبث بالاخلاق وتجاوز الحدود . وان امثل عصور تاريخنا وامجدها وأعظمها ، لهي تلك التي كانت فيها راية هذا الشعار مرفوعة باليمين ، والحكومة وأهل الحفاظ من الامة ساهرون على اقامة الشعائر ونفوذ الشرائع ، وعدم انتهاك الحرم والاخلال بالآداب العامة. وبالعكس من ذلك نجد العهود التي انتكست فيها راية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هي العهود التي ساد فيها الظلم والظلام ، ومرج أمر الامة ، ولم تأت من الاعمال ما يرفع لها راسها أو يعود عليها بنفع .

ولا نلقى صعوبة في أخذ هذا المعنى من قوله تعالى (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) ، فقد امرنا الله تعالى في هذه الآية الكريمة ان نكون ، نحن المسلمين كافة ، امة تدعو الى الخير . والخير اسم جامع لكل الفضائل بحيث يصح القول ان جميع القيم العليا تندرج تحته . وبالضرورة اننا لا ندعو اليه حتى نتصف به ، وذلك هو سر قرانه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر . فمدلول هذا الخطاب اننا بعد الاتصاف بالخير والدعوة اليه ، نقف بالمرصاد لكل من حاد عن سبيله ولم ينته الى معالمه ، تأمره وتنهاه، لكي يستوى على الصراط المستقيم . فاذا فعلنا ذلك كنا من المفلحين ، لان الآية الكريمة حكمت لمن كان على هذه الصفة بالفلاح وهو فلاح عام في الدين والدنيا ، بدليل انها اعقبته بامرين ، احدهما مما يقع في الحياة الاولى وهو اختلاف الامة وافتراق كلمتها عند تفريطها في هذا الواجب الاكيد . وثانيهما مما يقع في الآخرة وهو العذاب العظيم لمن ضيع الامر والنهي ولم يعمل بما كلف به من ذلك . فلا تستقيم احوال الامة ويكتب لها النجاح والفلاح ، الا بامتثال امر الله عز وجل ، والوقوف عند حدوده وعدم غض الطرف عن البدع والاهواء التي تنتشر فيها فتقودها الى الهلاك والخسران .

ويؤيد ما ذكرناه ان الله تعالى خاطبنا في الآية التي تأتي بعد هذه ولاء ، بقوله (كنتم خير امة اخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله) فجعل سبب الخيرية هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الايمان . وبذلك يعلم ان الامة اذا تقاعدت عن هذا الوظيف لم تبق مستحقة لذلك الوصف ولو مع ايمانها ، لان رسالة الاسلام ليست هي الايمان المجرد بل العمل والتبليغ ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « بلغوا عني ولو آية » ، والمجتمع

الاسلامي يجب ان يكون قدوة ومثالا في حسن الاخلاق وصدق المعاملة ليكون دليلا على سمو هذا الدين ويقوم من سلوك أهله داعية اليه ، كما كان عليه الحال في الصدر الاول ، فدخل الناس في الاسلام أفواجا ، ولا يتحقق ذلك الا بالرقابة الصارمة على سلامة هذا المجتمع التي هي المقصود من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . فان بطل ذلك لم يبق وجه للخيرية لانها ليست ذاتية ، وانما هي حكم يدور مع علته وجودا وعدما .

ونلتفت الى الحديث الشريف الذي انما هو وحي يوحى الى الرسول (ص) ليبين للناس ما أنزل اليهم من الكتاب العزيز ، فنرى انه يسير مع مضامين هذه الآيات الكريمة جنبا لجنب ، ويؤكد ما اشتملت عليه من حكم واحكام ، يقول الرسول (ص) « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، او ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم» . والتفسير الواقعي لهذا الحديث الذي ليست فيه شائبة ميتافزيقية ، هو ان الامة مدعوة الى القيام بهذا الواجب لضمان سلامتها من عوامل الانحلال واسباب الاضمحلال فان ضيعته فان الامراض الاجتماعية ستستشري فيها بسيطرة الاشرار عليها وتوجيهها الى المصير المظلم الذي تتردى فيه ، فلا تقوم لها قائمة ، ولا تنفعها بعد دعوة ولا دعاء وهذا امر مشاهد — مع الاسف — لا يمتري فيه أحد . وهو معقول المعنى اذ أن السكوت عن المنكر بله تشجيعها ، بحجة احترام الحرية الشخصية ، قد ادى شيئا فشيئا الى انتشارها بكيفية فظيعة حتى طفت على السنن المعروفة ، وقامت لها دولة وسلطان ، فلا يقدر احد الآن ان يغيرها . والذي يدعو الى ذلك يصير هزؤا وسخرية بين الناس .

ولعل قائلا يقول كيف جعلتم الامة كلها مخاطبة بهذا الامر ، والآية انما تقول (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر) ، وهلا ترون ان ذلك موقع في الفوضى موجب لا ختلال النظام ؟ .

ونحن نجيب ان الآية جاءت على اسلوب التجريد، وهو ابلغ في الخطاب . والمعنى اجعلوا منكم امة هذه صفاتها . وقال كثير من المفسرين ان من في قوله (ولتكن منكم) للبيان ، بمعنى كونوا امة تأمرون . الا ترى انه تعالى قال في الآية بعدها (كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون) ولوجعلناها للتبعيض كما قد يتوهم ، وحكمنا بان الامر والنهي فرض كفاية ، اذا قام به البعض سقط الطلب عن الباقين ، لكان ذلك موقعا في الحرج الدائم ، لان المنكرات لا تفتا تنبعث من كل مكان ، في كل زمان ، واذا لم تبادر الامة بتغييرها وانتظرت حتى يتبرى لذلك من يتعين عليه ، انتشرت انتشارا عظيما وأثمت الامة كلها بسبب التفريط ، لا سيما اذا انعدم المحتسب الذي كانت الحكومة تقيمه مقام النائب عنها في هذا الصدد ، كما هو الحال اليوم ، فصارت بلاد الاسلام مسرحا لارتكاب انواع الفجور واقتراف ضروب الآثام .

واما ان خطاب الامة على سبيل العموم بهذا الواجب يوقع في الفوضى ويوجب اختلال النظام ، فالجواب عنه ان الشارع الحكيم بين لكل طائفة من الامة ما يجب عليها من ذلك ، والزمها القيام به على سبيل الفرض والتعيين ، فقال كما في الحديث المشهور من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان» قال العلماء التغيير باليد لولاة الامر ، وباللسان للعلماء ، وبالقلب لعامة الناس . وانما اضطر العلماء الى هذا التفصيل ، لما عم الجهل وكثر تجاوز الحدود من العامة وبعض الولاة . فانتظم بذلك الامر ووقف كل عند ما حد له .

وهذا الحديث هو ايضا مما يدل على ان الخطاب بهذا الواجب يتوجه الى الامة جمعاء ، ولايخص طائفة منها دون طائفة . وتقييد العلماء له بما ذكر هو مما تقتضيه الاصول ، ولا تأباه النصوص . فانهم يتفقون على ان المنكر الذي يجب تغييره هو ما علم من الشرع انه منكر ، وكان تغييره لا يؤدي الى منكر اشد منه . ومن ثم ورد الامر بالسمع والطاعة للائمة ، فان عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم » وهذا امر لا يحققه الا العلماء . فان قام غيرهم بالانكار ربما وقع في محظور كمن قتل شخصا من اجل شر به للخمر ، وكالعامة الذين انكروا على سيدنا عثمان (ض) امورا لا تستوجب القتل وفتح باب الفتنة الذي لم يغلق منذ أن فتح . وهكذا فان الواجب على العموم اذا راوا منكرا مما لا خفاء به ، ان يرفعوه الى الوالي وان يقفوا في ذلك موقف الجد والصلابة حتى يغيره ، فان تهاونوا وقعوا في الاثم الذي لا مخلص منه . وان كان المنكر مما يخفى امره ، فعليهم الرفع الى العلماء ليبينوا حكم الله فيه . على ان العلماء يجب عليهم ان يكونوا بالمرصاد

لكل المحدثات والبدع التي تخالف الدين ، فيبادروا بانكارها وينبهوا الامة على ما فيها من الضرر لتتجنبها. وعليهم ان يكونوا لسان الامة الناطق ، والحارس الامين على تعاليم الدين . فيبلغوا الى الولاة ما لم يبلغهم من الظلم والحيف الذي يقع على ضعفاء المسلمين ، ويطالبوهم بتغيير المنكر والضرب على ايدي المفسدين . والولاة مطالبون حينئذ بانصاف المظلوم واحقاق الحق ونصرة الدين (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز ، الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الامور) .

وهاهنا امران لابد من التنبيه عليهما . الاول هو ان بعض الناس يقولون : المهم هو ان تستقيم انت ولا عليك في الغير ، ويستدلون بقوله تعالى (ياايها الذين آمنوا عليكم انفسكم ، لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) وهذا هو ما يعبر عنه بعضهم بقوله ليكنس كل واحد فناء داره كي تعم النظافة . ولكننا انتظرنا كثيرا فكانت النتيجة هي ان هناك من يحمل الازبال ويضعها في الافنية المكنوسة . ولقد أثيرت هذه الشبه في الصدر الاول ، واجاب عنها الصديق (ض) بالحديث الذي اخرجه الترمذي وغيره من ائمة السنة عن قيس بن حازم قال قام ابو بكر خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ايها الناس انكم تقراون هذه الآية (يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) وانكم تضعونها في غير موضعها ، واني سمعت رسول الله (ص) يقول « اذا راى الناس المنكر فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله بعقابه » .

والامر الثاني هو ما شاع وذاع على السنة من يكبرهم الناس ويصفون اليهم ، من انه اذا وقع خلاف في امر مما يهم الامة ويتوقف عليه مصيرها ، يجب رده الى الشعب ليقول رايه فيه . وهذا ايضا من اعظم المنكر الذي يجب تغييره وعدم السكوت عليه . والا ادى ضياع الدين والوقوع في المفاسد التي لا افاقة منها ابدا . والله سبحانه وتعالى يقول : (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ، فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تومنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير واحسن تأويلا) والرد الى الله والرسول يكون بالرجوع الى كتاب الله العزيز وسنة نبيه المطهرة ، وهما بين اظهرنا ــ والحمد لله ــ قائمان حاكمان بالعدل والقسط. فالاعراض عنهما والتماس الهدى من غيرهما ضلال مبين ، وزيغ عن الصراط المستقيم . كيف والشعب ما هو الا مجموعة من الناس يخطئون كثيراً ولا يصيبون الا قليلا ، ويتبعون الهوى ، وتتلاعب بهم القيادات المنحرفة ، ولا كذلك الدستور السماوي المحفوظ بحفظ الله (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

وانما سرى هذا الراي الفاشل الى الامة الاسلامية من ايغالها في التقليد ، وترك ما عندها من الهدى والنور الى المذاهب والنظم الاجنبية التي شتتت شملنا وفرقت كلمتنا ، ولا والله لا نعود الى ما كنا عليه من مجد وسؤدد الا اذا تمسكنا بديننا وجعلناه هو الحكم في مشاكلنا . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

عبد الله كنـون



عقيدة التوحيد

للأستاذ: محمد الطنجي

ان العالم الاسلامي الآن فى تطور مستمر فى عقائده واخلاقه وانظمة حكمه وجميع وسائل حياته، وذلك بسبب عدة عوامل سياسية واجتماعية واقتصادية، حيث كثر اختلاطه بمجتمعات شتى؛ كل مجتمع له مشربه الخاص فى الحياة، لان العلوم العصرية قلبت اوضاع المجتمعات، وغيرت طرق الحياة، وكثرة الكتب فى مختلف الموضوعات عملت على توجيه الشعوب الى حقائق تلك العلوم، والى الانظار الجديدة فى الحياة، ولهذا صار العالم الاسلامي فى شبه امتحان يريد ان يخرج منه ناجحا مكتمل القوة، وهو فى تجربة واختيار لما يكفل له حياة السعادة والاستقرار والاطمئنان الروحي والمادي فى المعترك الحيوي.

وقد مرت بالعالم الاسلامي فترات عصيبة افقدته كثيرا من قواته المعنوية بعد تلك القوة والصلاح والعدل التي خرج بها الاسلام الى العالم يهدي الامم ويرشد الشعوب الى طريق الخير والتقوى، وما هذا الضعف الحاصل فى العالم الاسلامي والبلبلة فى الاعتقاد، والحيرة فى طريق السلوك الا اثر من البدع الاعتقادية والعملية والخرافات والظلم، وتنكب طريق الحق واتباع القشور والمظاهر دون التمسك بالعروة الوثقى واعتبار المصالح الحقيقية للشعوب والافراد، والاتحاد والتفاني فى خدمة المثل العليا.

فقد وجدت فيه فرق وشيع مزقت وحدته، وجعلته اوزاعا حتى وجد فيه بعد التوحيد المثالي الذي دعا اليه النبي (ص) طول مدة بعثته رحمة للعالمين من يقول بل يعتقد ان امور الكون تدبر او تفوض لبعض المخلوقين يدبرونها كما يشاءون ويقابل هذه الفرقة طائفة اخرى تنكر خالق الكون ومدبره، وتدعي ان المادة الصماء هي أصل كل شيء، تصرفه بطبيعتها من غير اعتبار لمن طبعها على تلك الخواص وهو الله الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا، فهذا الطائفة الاخيرة نظير اختها الدهرية التي كانت تقول فى الجاهلية ان هي الا ارحام تدفع، وارض تبلع، وما يهلكنا الا الدهر.

وقد شاعت دعوى التصرف فى الكون من بعض المتصوفين اصحاب الاحوال حتى تكلم عليها العلماء فكفرهم البعض، والتمس لاقوالهم البعض الآخر تاويلا يخفف عنهم حكم الكفر، قال شهاب الدين القرافي الفرق الثاني والسبعون والمائتان بين قاعدة ما هو من الدعاء كفر وقاعدة ما ليس بكفر، ثم ذكر من النوع الاول ان تعظم حماقة الداعي وتجرؤه فيسأل الله ان يفوض اليه من امور العالم ما هو مختص بالقدرة والارادة الربانية من الايجاد والاعدام، والقضاء النافذ المحتم، وقد دل القاطع العقلي على استحالة ثبوت ذلك لغير الله تعالى، فيكون طلب ذلك طلبا للشركة مع الله فى الملك، وهو كفر، وقد وقع ذلك لجماعة من جهال

الصوفية ، فيقولون فلان اعطي كلمة « كـن » ويسالون ان يعطوا كلمة « كـن » التي في قوله تعالى انما امـرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ، وما يعلمـون معنى هذه الكلمة في كلام الله تعالى ولا يعلمون ما معنى اعطائها ان صح انها اعطيت ، وهذه اغوار بعيدة الروم على العلماء المحصلين فضلا عن الصوفية المتخرصيـن فيهلكون من حيث لا يشعرون ويعتقدون انهم الى الله متقربون ، وهم عنه متباعدون ، عصمنا الله تعالى مـن الفتن واسبابها والجهالات وشبهها) هذا كلام القرافي وقد حاول ابو القاسم بن الشاط ان يخفف وقع كـلام القرافي حتى يلائم الوسط الذي كان يعيش فيه فقال: قلت ان كان اولئك القوم يعتقدون ان الله يعطي غيره كلمة كن بمعنى ان يعطيه الاقتدار فذلك جهل شنيـع ان ارادوا ان يعطيه الاستقلال والا فهو مذهب الاعتزال، وكلاهما كفر بالمثال ، وان كانوا يعتقدون ان الله تعالى يعطي « كن » ان يكون لهذا الشخص الكائنات التـي يريدوها مقرونة بارادته فعبروا عن ذلك باعطاء كلمـة كن فلا محذور في ذلك اذا اقترن بقولهم قرينة تفهـم المقصود) وعهدي بابن الشاط انه دقيق في ملاحظاتـه الا انه في هذه المرة سلك طريق المغالطـة لان القرافـي فرض المشكلة فيما هو مختص بالقـدرة الالهيـة مـن الايجاد والاعدام والقضاء النافذ المحتم واخبر بانه وقع ذلك لجماعة من جهال الصوفية وبين هذا الاختصاص بانهم يسألون ان يعطوا كلمة كن التي في قوله تعالـى انما امرنا لشيء الآية ومع هذه الامور الثلاثة لا يوجد دليل شرعي ولا عقلي على جواز اعطائها لاي بشر ، ومن اعتقد ان الله اعطاه قدرة ضعيفة تليق بالمخلوق مستندة الى قدرة الله لا ينبغي ان يكون اعتقاده كفرا بالمثال ولا بغيره ، ومن جهة اخرى فان الواقع في دعوى القـوم هو ما حكاه القرافي عنهم لا ما ذكره ابن الشاط مـن الترديدات والتاويلات وان قبلـه السنوسي مختصر كتاب الفروق فقد ذكر العلامة السوداني في نيل الابتهاج انه وجد منسوبا للشيخ زروق قصيدة منها هذا البيت:

وملكت ارض الغـرب طـرا باسرهـا
وكـل بـلاد الشرق في طـي قبضـة

وفي آخر القصيدة :

وان كنت في كـرب وضيـق ووحشـة
فنــادت ايـا زروق آت بسـرعـة

واني اعتقد ان علم الشيخ زروق الغزير وادابـه العالية وقواعده في السلوك وخوفـه الشديـد من الله يمنعه كل ذلك من هذه الدعوى لانها تقتضي سماع دعاء الداعين باسمه في اي جهة من الشرق والغرب زيادة على كون الشرق والغرب في طي قبضته ، وهذه قدرة لا تليق الا بالخالق سبحانه ، ومما يؤيد فرض القرافي للمسالة ما هو في كتاب الشعراني وقد وقفت على بحث قيـم في هذا الموضوع لعالم سلفي هو الشيخ رشيد رضـا يحسن ايراده هنا شرحا لهذا الموضـوع الذي لا زال يشغل بعض العقول فقد ساله الشيـخ قاسم محمـد غدير من اسيوط قائلا في سؤاله ما تقولون في معنـى قول الشعراني مما من الله به علي ان اعطاني قول كن ؟ فلو قلت لجبل كن ذهبا لكـان الخ . . .

فاجابه الشيخ رشيد بقوله الايجاد والتصرف في الاشياء بمقتضى الارادة المعبر عنها بكلمة كن هو خاص بخالق العالم ومدبره ويستحيل ان يكون لغيره كما هو مقرر في علم الكلام فلا يقال ان الله قادر على ان يجعل معه الاها آخر فان القدرة لاتتعلق الا بالممكنات وهـذا محال ومن يعتقد ان احدا غير الله يفعل ما يشاء ويوجد ويعدم ، ويقلب الاعيان ، بقول كن : فلا شك في كفـره الصريح وشركه القبيح ؛ واذا احسنا الظن بالشعراني فانا نقول ان هذا الكلمة مدسوسة عليه فقد صرح هو في بعض كتبه كاليواقيت بانهم كانوا يدرسون عليه فـي زمنه ، على ان كتبه المشهورة المتداولة طافحة بالخرافات والدعاوي التي ينكرها الشرع والعقل ، وهي اضر على المسلمين من غيرها من الكتب الضارة المنسوبـة الـى المسلمين والى غير المسلمين ؛ وقد كنت من ايام اجادل بعض البابية وابين لهم فساد دينهم الجديد فقال احدهم ما تقول في الشعراني فعلمت انه يريد ان يحتج بما في بعض كتبه من ان المهدي ياتي مكة وما يقوله في مادبـة الله بمرج عكا فان البابية يحملون ذلك على البهاء الذي نشر دينه وهو في عكا ومات فيها ــ فقلت له ان كـلام الشعراني الذي انفرد به عندي كاللغا لا قيمة له والكتب المنسوبة اليه هي العمدة في الاضلالات المنتشرة بيـن المصريين في الاولياء لا سيما في السيد البدوي فانهـا مرغبة في موالده التي هي قرارة المنكرات والمعاصـي ، واني لأعلم انه لا يزال في قراء المنار (اي المجلة التي كان يصدرها) على استنارتهم من يعظم عليه وقع الانكـار على كتب الشعراني وان كان الغرض منه تنزيه الله فان الذين اشربت قلوبهم عقائد الوثنية يعظمون المشهورين الذين يسمونهم اولياء اكثـر مما يعظمون الله تعالـى ، ويسرون ان يوصف اولياؤهم بصفات الالوهية ويرون من الضلال او الكفر ان يقال انهم بشر لا يمتازون على

غيرهم بما هو فوق خصائص البشرية وان ما وفق له الصالحون من العمل الصالح فانما هو عمل كسبي يقدر غيرهم على الاتيان بمثله بهداية الله وتوفيقه ، وان الفتنة في الدعوى المسئول عنها اكبر من الفتنة بكل كلام اهل الكفر والاضلال اذ لا يخشى من قول عابد الصنم ان صنمي الاه ان يفتن به المسلم كما يخشى على عامة المسلمين وكثير من المقلدين الذين يسمون علماء وخاصة من كلمة الشعراني لان هؤلاء ياخذون هذه الكلمة بالتسليم بناء على انها من باب الكرامات التي ليس لها حد عندهم ، ومتى يسلموا بها جزموا بان مثل هذا الولي يفعل ما يشاء ، فيصرفون قلوبهم اليه ، ويطلبون حوائجهم منه ، فيكونوا قد اتخذوه الاها باعتقادهم انه يقول للشيء كن فيكون ، وقد عبدوه بدعائه والاعتماد عليه وهم مع هذا كله يغشون انفسهم بانهم لا يسمونه الاها وانما يسمونه وليا ، كان الاسماء هي التي تميز الحقائق دون العقائد والاعمال القلبية والبدنية وانني اذكرهم بان المشركين كانوا يسمون معبوداتهم اولياء يعتقدون كما يعتقدون انهم شفعاء قال تعالى : « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربون الى الله زلفى » ، وقال اي الشيخ رشيد انهم يعبدونهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقد بينا لهم الحق لم نخف فيه لومة لائم ، فليضربوا بكلام الشعراني عرض الحائط ان كان كل ما كتبه كلامه ؛ او ليحسنوا الظن به كما قلنا اولا ويحكمون بان هذه الكتب مملوءة بالدسائس عليه . فلا يعتمد عليها ولا تتخذ حجة عليه وهذا هو الاسلام فلتبرئه ولا نبرؤها،وندعو له بالرحمة ونطرحها، مكتفين بهدي الكتاب والسنة فمن تمسك بهما نجا،ومن تنكب عنهما هلك) ه كلام الشيخ رشيد وهو نصيحة تقدمها لمن يملك هذه الكتب حتى لا يغتر بما فيها وحتى يسلم توحيده لله الذي هو القاعدة الاولى للنجاة في الآخرة كما قال سبحانه « ان الله لا يغفر لمن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » والله ولي التوفيق .

الرباط ــ محمد الطنجي





ان بناء المساجد فن عربي اسلامي قائم بذاته ، يبدو تاثيره فى كل مكان دخله الاسلام ، وانتشار الاسلام فى افريقيا الغربية كان البادرة الاولى فى نشوء المدن الافريقية التي تقع على طريق القوافل ، وكان للمدن الافريقية الاسلامية طابع خاص ، فقد اخذ الافريقيون منذ القرون الوسطى استخدام الاجر عن البلاد العربية فى شمال افريقيا ومصر ، فكان لكل مدينة مسجدها الكبير الذي تجتمع فيه الجماعة ليؤلف بينها ، وقد نظمت المدن الاسلامية من حيث تخطيطها لتلائم حياة الطوائف الاجتماعية وفقا للاغراض الاقتصادية ، من ذلك تنظيم المخازن والمتاجر والحوانيت التي بنيت طول المسجد والتي تبيع المسابح والعطور والكتب ثم تستدير الابنية الاخرى حول المسجد لتقوم فيها اعمال التجارة والصناعة ، وياتي فى نهاية هذه الابنية حوانيت الحدادين ، وكان من تاثير الاسلام ان خصص فى كل منزل جناحا خاصا للضيوف ، ويرى هود جكين فى كتابه (القومية فى المستعمرات الافريقية) ، ان المدنية الاسلامية تمتاز دوما بنظامها ، وان الابنية التي اقامتها الدول الاسلامية خلال العصور الوسطى قد امتدت اليها يد التخريب والحروب ، كما انها لم تتماسك امام تعاقب العصور ، ذلك لان مادة البناء كانت من الطين والخشب وهو تاثير خاص وفد من شمال افريقيا .

وقد نقل المؤرخ السنغالي ديوب عن الادريسي ان ملك غانة (اول دولة وثنية فى غرب افريقيا بين السنغال والنيجر) كان يسكن فى قصر محصن مبني بالحجارة ، له نوافذ زجاجية ، (تاثير مغربي) ، وبداخله نقوش وتزيينات ، وقد كان ملوك غانة والنبلاء والقواد يستقدمون البنائين من المغرب ليقيموا لهم القصور والبيوت على الطراز العربي المغربي الذي كان سائدا فى القسم الغربي من مدينة (كومبي) عاصمة غانة ، وتعرف باسم كومبي صالح .

ويستفاد من الرحالة العربي البكري الاندلسي ، ومن ابن خلدون ما يشير الى ان المدينة قد وصلت الى شان عظيم فى الرقي وقد اقام بها عدد كبير من التجار العرب ، فبنوا لسكناهم مدينة اسلامية الى جانب المدينة الوثنية ، وقد تميزت المدينة الاسلامية بوجود النوافذ والزجاج الملون فى بقعة لم يكن فيها الزجاج معروفا .

وقد اشتهر الحي العربي بالمساجد التي بنيت فيه وعددها اثنا عشر مسجدا ، الحقت بكل مسجد مدرسة لتعليم القرآن والعربية ، وكان يختلف الى هذه المدارس اولاد التجار العرب واولاد المسلمين الافريقيين ، وساهم المسلمون العرب المقيمون في تومبوكو وجنه وغاو بتوسيع هذه المدن ، واقام التجار فى هذه المدن الثلاث حوانيتهم على الطريقة المغربية فى بناء مخازن البضاعة فى اسفل دور السكن، وقلدهم فى ذلك الافريقيون ، وقد لعب المعماريون المغاربة دورا كبيرا فى تخطيط مدينتي جنه وغاو ، وتمتاز هاتان المدينتان كما يقول دبيشان بشوارعها الضيقة ، اما البيوت فانها ذات سطوح عالية وابواب ضخمة ، وهذه هي المظاهر الاساسية فى مدن شمال افريقية .

ويقول المؤرخ الفيني المعاصر جبريل فيان : وان تقدم الاسلام فى القرن الثالث عشر قد دعا

السلاطين ، الى بناء المساجد للجماهير المؤمنة بالدين الجديد ، وقد نقل هذا المؤرخ من المؤرخ الافريقي محمود كاتي صاحب التاريخ الفتاش ، ان السلطان موسى صاحب مالي (1308/1332) قد انشأ اثناء سفره الى الحج في كل مدينة مربها مسجدا ، ولما عاد من الاراضي المقدسة اصطحب معه المهندس الشاعر ابراهيم الساحلي،فاشرف على بناء مسجد في تومبوكو ومسجد في غاؤ ومسجد في نياني عاصمة مالي ، وقد بنى في العاصمة ايضا مجلسا للسلطان به قاعدة كبيرة وفي القرن الرابع عشر عمل مهندس مراكشي على بناء مسجد جند المشهور وهو نموذج للتمازج الفني العربي الافريقي ، وفي القرن الخامس عشر قام المعماري الافريقي محمد قاوي الذي يقيم في المغرب ببناء المسجد الجامع في تومبوكو ، وقد خرب هذا المسجد بعد ذلك واعيد بناؤه .

وان دراسة ما تبقى من الآثار الاسلامية في جنه وتومبوكو وغيرهما تكشف عما اصطلح على تسميته المؤرخون باسم الاسلوب السوداني الذي يمتاز بتأثير عربي مغربي ، وتجلى هذا الفن بصورة واضحة في مطلع القرن الحالي في مسجد (طوب) بالسنغال ، وقد اشتهر بمئذنته المضلعة ، ويمتاز الاسلوب السوداني بقلة النقوش داخل المسجد لكنه احتفظ بالتزيينات والخطوط الهندسية والكتابات القرءانية ، وظلت المحاريب على طراز بنائها العربي .

وكانت المادة الاساسية في الاثار العمرانية الافريقية من الطين المجفف او المشوي ، لذلك لم يكتب لها البقاء على مر الدهور ، كما ان طبيعة الاقليم قد ساهمت في ازالة الآثار مساهمة تامة ، وان هذه الظروف قد دعت السير توماس ارنولد الى القول : ان القادم الى افريقية الغربية من البلاد الاسلامية يشعر بالتفاوت العجيب بين الاثار العمرانية للاسلام في كل من مصر وشمال افريقية وبين ما خلفه الاسلام في غرب افريقية فليس هناك حتى عام 1900 اثر فني ضخم .

ومنذ مطلع القرن الحالي اختلف اسلوب البناء فظهر المزيد من التأثير العربي المغربي واستعملت الحجارة بصورة شاملة واصبحت المساجد اقرب الى اشكال البيوت .

وفيما يلي عرض موجز للمساجد في تلك البقاع :

1) في الفوتاد جالون (غينيا) انواع من المساجد: المحلية Diamon, Dioma وهما كلمتان محرفتان عن الكلمة العربية (الجامع) وفي هذه المساجد يصلي الناس صلاة الجمعة .

والمسجد الجامع غرفة مربعة مبنية بالاجر والملاط ، ويتراوح ارتفاعها من 5 ، 3 م الى 5 م أي من سبع عقد الى عشرة (بالقياس المحلي) ، وجبهة المسجد الجامع ليست واحدة في جميع الانحاء وطولها تابع لرغبة واتفاق ابناء المدينة ، فعرض جبهة المسجد في الدانفراي عشرة امتار ، وتقل جبهة مسجد مدينة لابه عن ذلك ، وتغطي القبة الواسعة من القش الغرفة المربعة وتصل اطرافها الى الارض لتشكل ممرا ضيقا حول الغرفة .

وقد تكون هذه القبة قطعة واحدة كما هي الحال في مسجد بيتا Pita ومسجد تيمبو Timbo او قد تبنى بانواع متشابكة متداخلة من القش تشكل طبقات مستديرة متتابعة تصغر شيئا فشيئا حتى راس القبة ، كما هي الحال في مسجدي لابة Labé والدانفراي ، ويختار العلماء وكبار اهل المدينة عادة موقع المسجد ، ويشرف الامام على البناء ويشترك السكان بالعمل فالشباب يعملون في نقل مواد البناء وتعمل النسوة في نقل الماء ، بينما يقوم الشيوخ باعداد الملاط ، ولا يأخذ احد اية اجرة على عمل ، اذ يعمل الجميع لوجه الله ، ولكن الامام والاغنياء يقدمون للعمال والبنائين ما يقيم أودهم حتى تنتهي اعمال البناء ، ويحتفل الافريقيون اثناء العمل برقصات التام تام وينحرون الذبائح ويوزعون لحومها على ابناء البلدة .

ويتجدد النحر في كل مرة يعاد فيها بناء المسجد او تجري فيه بعض الاصلاحات ، وتشتهر مدينة لابه بمسجدها الجامع وبكثرة المساجد الصغيرة فيها وكان عددها حتى عام 1922 نحو 200 مسجد ، وتمتاز قرى منطقة بيتا بمساجدها ذات الباحات الواسعة وبحدائقها المشجرة ، وفي تيمبور مركز عائلة السلاطين من آل آلفا لا تزال آثار المسجد الذي بني عام 1160هـ بادية بالرغم من الحرائق المتعددة التي تعوض لها .

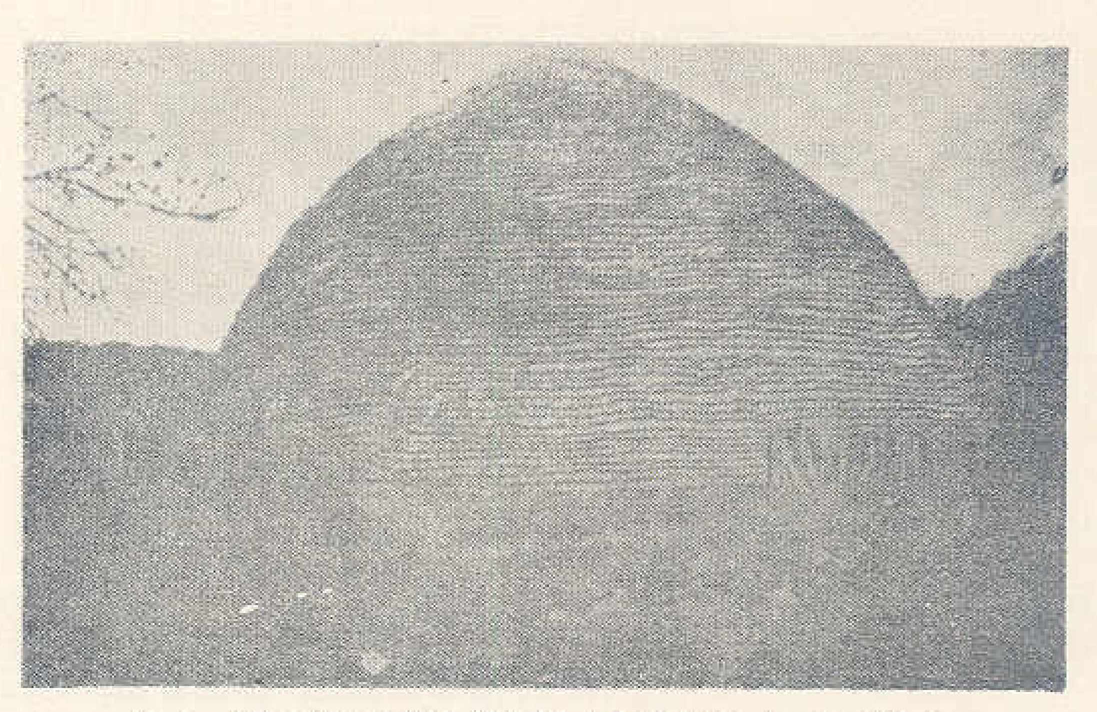
اما مسجد الدانفري فقد عرف باسم مسجد الحاج عمر الذي بناه عام 1850 ، وقد بناه المعماري السنغالي سامبا ندياي S. N. Diaye وقد هدم مرتين

عام 1862 ، عام 1904 ، ثم اعيد بناؤه . وفى هـذا المسجد يبدو التأثير الاسلامي القادم من شمـال افريقية ويبلغ محيط هذا المسجد الجامع خمسين مترا وارتفاع سقف المصلى خمسة امتار ، ويرتفـع مركز المسجد نحو ستة عشر مترا ، ويعتمد البناء على خمسة اعمدة ضخمة ، وللمسجد عشرة ابواب ، وفي منطقة الدنفراي يعرف المسجد العادي باسم ميسيدي Missidi وهي كلمة مستعملة فى المغرب ، ولهذا النوع الاف مؤلفة فى الفوتا ، وهو لا يختلف عن الاكواخ التي يقطنها الافريقيون ، وهنـاك المقام ويسمـى بالفولا نغيرو Niguérou مساحته بضعة امتار مربعة محاط باحجار او بسياج من النباتات والاشجار وارضه مفروشة بالحصى والرمال ، ويستخدم المقام لمجموعة من العائلات تجتمع فيه مساء من اجل الصلاة ، والمقام بناء يتبرع به الحاج ليكون مصلي للمسافرين فى ملتقى الطرقات او فى ظل شجرة ضخمة ، وقد رايت بالقرب من الدانفراي مقاما للحاج عمر اصبح اليوم مزارا يتبرك به المسافرون .

والمحراب ، يستعمل الافريقيون الاسم العربي ، ويتوجه نحو الشرق وهو حفرة فى الجدار يقف فيها الشيخ لامامة المصلين فى المسجد الجامع ، وفى المسجد العادي يقوم المحراب بحاجزين من الاخشاب بينهمـا بساط صغير للامام ، ويستدل على اتجاه الكعبة فى المقام باشارة توضع فى مكان معين يراه جميع المصلين .

اما المنبر فهو موجود فى المسجد الجامع ، وهو عبارة عن دكة مساحتها متر مربع واحد ، وترتفع الى ما يقارب المتر وليس فى داخل المسجد اية تزيينات فى الجدران تبعا لقاعدة البساطة فى البناء الافريقي ويطلى المسجد بالسرج التي يتبرع بها المسلمون ، اما المئذنة (سـرور Sarro) فهي عبارة عن مرتفـع صغير مبني بالاجر والطين يتراوح ارتفاعه بين متـر واحد وثلاثة امتار يصعد المؤذن الى المئذنة بواسطة درج خشبي .

والى جانب المساجد الجامعة والمساجد العادية هناك امكنة يجتمع فيها المصلون لسماع الترتيل او لقراءة الحديث والاذكار ، وتكون هذه الاماكن مدارس لتعليم العربية والقرآن .



مسجد الحاج عمر فى مدينة الدنكراي (غينيا) منتصف القرن التاسـع عشـر

2) **وفي مالي** كثير من المساجد اصابها الاهمال بسبب بطش الاستعمار فالمساجد الجامعة موزعـة بالمدن الكبرى فى الغرب ففي كايس Kayes وكذلك في المدينة Medine تحيط بالجامع حديقة كبيـرة وهناك سور يفصلها عن الخارج وهو مبني على طـراز اوربي ، فالسقف مغطى بالقرميد الاحمر ، وهو مائـل الجانبين ، والمسجـد متطـاول يتوسطه بـاب بيـن نافذتين ، اما المئذنة فهي مرتفع مبنـي بالاسمنـت المسلـح .

وهناك طراز افريقي محلي وهـو عبارة عن كوخ كبير مربع مسقوف بالقش والاغصان امام ساحة كبيره للصلاة ، ينفصل عن الطريق بحاجز خشبـي او مـن الاشجار وينتشر مثل هذا الطراز فى القرى والارياف، ويتولى العناية بشؤون المسجد الامام والمؤذن .

واكد مونقو بارك الرحالة الانكليزي الذي مر في سيغو عام (1796) بان فى هذه المدينة تسعة مساجد موزعة فى احيائها ، خمسة من هذه المساجد عاديـة واشهرها المسجد الجامع ، وهو بناء ضخم ، مربـع سوره الخارجي مقسم بعضاضات ، فى واجهته الامامية برج مخروطي هو المئذنة ، وهذا المسجد يمثل الطابع الافريقي فى البناء فهو مبني بالاجر والطين المجفف .

وفى منطقة سيغو Segou كثير من المساجـد لان سكانها من التكرور والبول Paul المتحمسين للديـن .

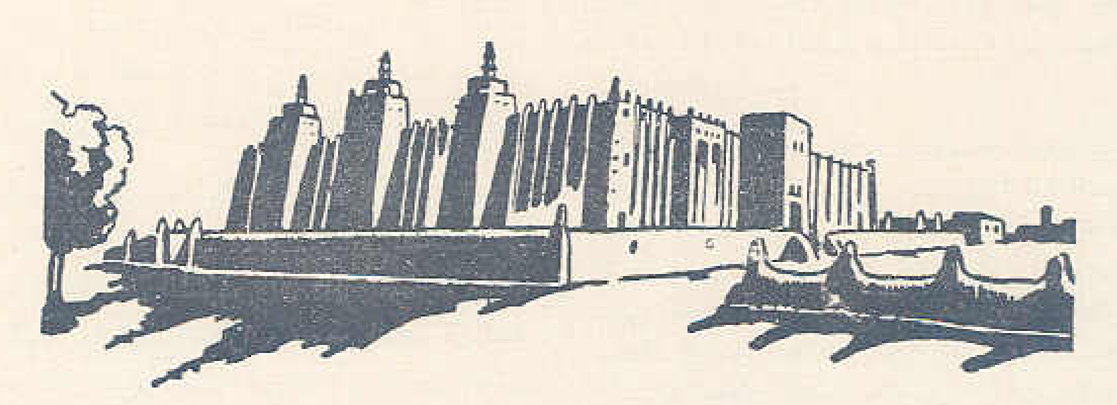
وفى باماكو عاصمة (مالي) ثلاثة مساجد اقدمها عهدا صغير بني فى اواخر القرن الثامن عشر على ايدي جماعة القادرية من قبيلة (توري) ، ويتردد عليه الآن السكان الذين ينتمون الى اصل جزائري والذين قدموا للتجارة ابان العصور الوسطى .

اما المسجد الثاني فهو احدث من الاول ذو فضاء فسيح تعلوه قبة وقد بني بالطين المجفف وحوله غرف لتلاوة القرآن وتعليمه وهو مسجد جماعة التيجانية .

اما الثالث فهو المسجد الجامع وقد بني سنة 1907 وهو بناء جميل واسع مبنى بالقرميد وله قبـة ومئذنـــة .

وتشتهر مدينة نيورد فى الشمال من مالي (قرب الحدود الموريتانية) بمسجدها الجامع الكبير ، لقـد امر الحاج عمر ببناء هذا المسجد عام 1864 وقـد اشرف على بنائه مصطفى كيتا وهو خبير بالعمـارة واشترك فى بنائه جميع اهل البلدة ، واصلح للمـرة الاخيرة عام 1916 وهو يقع مقابل بناء البريد فى البلدة، وقد بنى باللبن المجفف والطين وعند المدخل الغربـي ساحة كبيرة تبلغ مساحتها 540م2 وهو مسور بجدار من الطين الجاف بارتفاع 130 سم والمسجد الجامـع مربع الشكل طول ضلعه 30 م وليس فى السقف ايـة زينة فهو مستو يستند الى 13 ركنـا عرض قاعـدة الركن متر مربع واحد وللمسجد اثنا عشـر مدخـلا داخليا وثلاثة ابواب ، وللامام باب خاص فى الواجهـة الشرقية وهناك مكان للوضوء فى شمال المسجد .

يحمل المصلون الى المسجد فى وقت الصلاة ما يصلون عليه من جلود وبسط .



مسجد مدينة جنة من القرن الرابع عشر (مالي)

3) **فى الشمال من ساحل العاج** اكثر من ثلاثمائة مسجد واقل من ذلك العدد فى المناطق الاخرى ولا يختلف طراز العمران بين هذه المساجد الا فى الاتساع وفى عدد المآذن .

ويمكننا ان نقسم اشكال هذه المساجد الى ثلاثة اقسام :

1) المساجد الجامعة وهي مبنية جميعا بالتراب والطين ولكل منها مئذنة واسلوب عمارتها يشبه الاسلوب السوداني (وهو سائد فى مالي) .

2) المساجد العادية

3) المصليات والمعابد وامكنة التلاوة .

تقوم جوانب المساجد على دعامات مربعة يأخذ المسجد بها شكلا متوازي المستطيلات يتراوح الطول الجانبي بين 25/15 مترا ويبلغ الجدار من 8/6 امتار وهو يتجاوز السطح باشكال مسننة وهي احدى مميزات الفن العمراني الافريقي فى المساجد والبيوت.

وتقف الجدران بواسطة مجموعة من الدعامات الضخمة المتباعدة بانتظام ويربط بين هذه بالقمة الدعامات اعمدة خشبية افقية اما السقف فهو طبقة سميكة جدا من التراب المضغوط بعناية ، وفيه شقوق تتسرب منها مياه الامطار الى اقنية تلقى الماء خارج البناء ويستند السقف الى اربعة صفوف من الدعامات ذات القواعد المستطيلة باتجاه القبلة ، وهذه الدعامات تقسم المسجد الجامع الى خمسة اقسام ، ويتصل اعلى الدعامة بالعوارض الخشبية التي تدعم الالواح السميكة المصنوعة من خشب متين يدعى (الومو) والتي تغطي السقف من الداخل .

وقد يكون للمسجد مئذنة او اكثر ، وتقع احدى المآذن عادة فوق المحراب تماما ، وتكون الثانية في الشمال ، والثالثة فى الشرق وان كان للمسجد مئذنة واحدة تقع دائما فوق المحراب ، ومن النادر ان نجد للمساجد مآذن مربعة فكلها هرمية ، وجدران المآذن مسلحة دوما باخشاب متينة تستعمل عند الضرورة سلما يصعد عليه من يريد ترميم المآذن .



مسجد مدينة كونغ (ساحل العاج)

وهناك سور يحيط بالمسجد وبباحته المستديرة وتطلى الخارجية بطبقة سميكة من مادة خاصة لتقي الجدران من الامطار الغزيرة ، وليس فى داخل المسجد شيء من الزينات ، فالمصلى مظلم لكثرة الدعامات ، اما ابواب المساجد فهي مصنوعة من خشب شجر (الفروماجة) الذي يكثر فى افريقية الاستوائية ، وهي مزينة بخطوط هندسية محت معالمها الامطار الغزيرة.

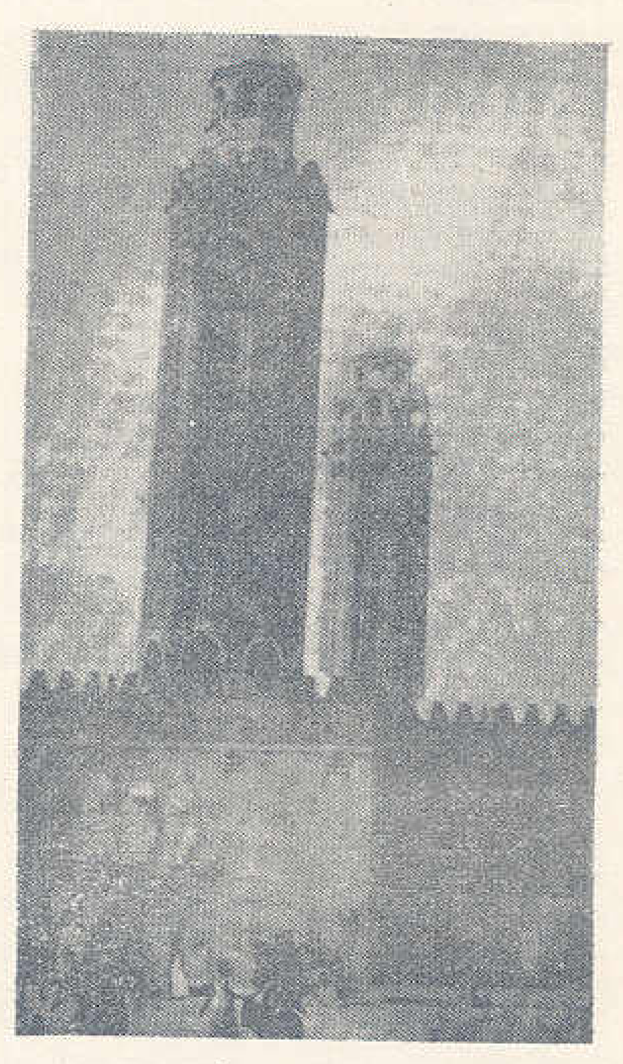
والمحراب محفور فى الحائط ينير جنباته ضوء خافت من السراج عند ما يحين موعد صلاة الصبح والعشاء والى جانب المحراب يقوم المنبر وهو دكة مرتفعة ، يتواجه المصلون عن يمينه وعن شماله وهناك رواق خاص للنسوة .

وليس فى المساجد الجامعة مكان للوضوء ، فالافريقي يغشى المسجد متوضئا ، اما المساجد العادية فانها تبنى بشكل مستدير على طراز الاكواخ المحلية ، ولكنها اكبر اتساعا من الاكواخ وامتن بناء ، وهي مغطاة بسقف هرمي من القش وبها نوافذ للتهوية، وهناك ثقب فى الحائط باتجاه القبلة يوضع فيه السراج لصلاة العشاء والليل ، وارض المسجد مفروشة بالسجاد بصورة منتظمة وعلى الجدران تبدو بعض الرسوم الهندسية .

وهناك مكان آخر للعبادة هو المصلى ومكـــــان للتلاوة وللراحة ، فهو اشبه بالندوة او المحطة وباتـي المصلون الى ذلك المكان بجلودهم وليس للصـلاة في هذه الامكنة الخشوع اللازم لان الانسان يصلـي بيـن جماعة من النائمين بينما تلقى على الارض بقايا الاطعمة التي كانوا ياكلونها .

ان الملاحظة السريعة لاثار الاسلام العمرانية في افريقية الغربية تثبت فقر هذه المنطقة وخلوهـا من الروائع التي خلفها الاسلام في كل مكان ، لاشك ان ذلك يعود الى طبيعة البلاد واقليمها وخلو ارضهـا مـن بعض المواد اللازمة للبناء (ولولا مسجد طوبة) فـي السنغال لما وجدنا اثرا عمرانيا هامـا للاسلام ، ان قسوة الاقليم قد فرضت على السكان شكلا خاصـا لعمارة المساجد ولغيرها ، يتسم هذا الشكل قبل كل شيء بالبساطة والسرعة والواقعية الافريقية الملائمة للبيئــــــة .

دمشق ـ نعيم قـداح



مسجد طوبه (السنغال) من القرن العشرين

حول قضية البعث في القرآن

تعقيب للأستاذ حسين جوزو عضو الجامعة الإسلامية بيوغسلافيا

تفضل اخونا الاستاذ جلال الهادي الزلباني بالرد على رايي فى شان البعث ، وقد نشرت مجلة « دعوة الحق » الغراء هذا الرد فى عددها (الثالث السنة السابعة ـ دسمبر 1963 ـ رجب 1383) .

ولا يسعنا الا ان نرحب بهذا الرد وان نحيي في الاستاذ جلال الهادي غيرته الاسلامية وحميته الدينية، واننا متاكدون بانه لم يقم بهذا الرد الا للبحث عن الحقيقة والصواب ، ولم يكن دافعه الا الاخلاص للاسلام والدفاع عن تعاليمه ومبادئه ، وهذا من حق كل مسلم، بل ومن واجبه .

وقد راى اخونا الكريم الاستاذ جلال الهادي ان رايي فى شان البعث غير صحيح وانه يخالف ما جاء فى كتاب الله وسنة نبينا عليه الصلاة والسلام ، من النصوص الصريحة التي لا غموض فيها ولا لبس ، فتفضل سيادته ـ هدانا الله واياه ـ بتصحيح ما ظن انه خطا فى راينا وانه لا يتفق مع ما ذهب اليه جمهور العلماء من السلف فى مسالة البعث ـ جزاه الله خير جزاء واكثر من امثاله .

غير اننا نرى من الواجب ـ ايضاحا لراينا ـ ان نلفت نظر الاستاذ جلال الهادي ونظر القراء الكرام الى بعض الامور الآتية :

ان النصوص التي اوردها الاستاذ جلال الهادي من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والتي استدل بها على ان البعث سوف يكون بالمادة والروح كانت معلومة لدينا ولم نكن نجهلها حينما خرجنا برأينا في مسالة البعث ، اننا بحثنا معاني الآيات والاحاديث المذكورة بحثا دقيقا عميقا وانتهينا فيه الى وجوب تاويلها لما ذكرناه من الحجج والبراهين العقلية ، وكانت هذه البراهين كافية لحملنا على الاخذ بالتاويل، وهناك نص يؤيدنا فيما ذهبنا اليه وهو قوله تعالى :

« نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ، ولقد علمتم النشاة الاولى فلولا تذكرون » . وقوله تعالى : وننشئكم فيما لا تعلمون دليل على ان النشاة الاخرى تكون غير مادية لانها لو كانت مادية لما صح عليها قوله : فيما لا تعلمون . لان المادة مما نعلمه لا مما لا نعلمه .

ولسنا اول من قال بهذا الراي ، فقد سبقنا فيه كثير من العلماء وفلاسفة الاسلام ، ومما قاله ابن رشد : « وبناء على ذلك لا يكون بعد الموت حياة فردية » ، معناه ان الفيلسوف لا يعتقد بحشر الاجساد اعتقادا صريحا ، اي انه لا يعتقد بان الانسان يكون فى الحياة الاخرى فردا ناطقا آكلا شاربا متزوجا كما يفهم العامة ، واسمع ما قاله فى كتابه تهافت التهافت الذي رد به على الامام الغزالي :

« والممدوح عندهم من هذه المبادىء الضرورية هو ما كان منها احث للجمهور على الاعمال الفاضلة حتى يكون الناشئون عليها اتم فضيلة من الناشئين على غيرها مثل كون الصلوات عندنا ، فانه لا يشك فى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كما قال الله تعالى ، وان الصلاة الموضوعة فى هذه الشرائع يوجد فيها هذا الفعل اتم منه فى سائر الصلوات الموضوعة فى سائر الشرائع وذلك بما شرط فى عددها واوقاتها واذكارها وسائر ما شرط فيها من الطهارة ومن التروك اعني ترك الافعال والاقوال المفسدة لها » .

« وكذلك الامر فيما قيل فى المعاد فيها هو احث على الاعمال الفاضلة مما قيل فى غيرها ، وكذلك كان تمثيل المعاد لهم بالامور الجسمانية افضل من تمثيله بالامور الروحانية كما قال الله تعالى : « مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار . وقال

النبي عليه السلام : فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وقال ابن عباس رضي الله عنه : ليس في الدنيا من الآخرة الا الاسماء . فدل على ان ذلك الوجود نشأة اخرى أعلى من هذا الوجود وطور آخر افضل من هذا الطور » .

والى مثل هذا ذهب الفيلسوف ابن سينا .

ويبدو لنا ما ذهب اليه الامام الراحل الاستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت في هذه المسألة قريب من رأينا . وقد قال في كتابه (الاسلام عقيدة وشريعة) « قد تحدث القرآن كثيرا عن نعيم الانسان وعذابه في الآخرة ، وذكر كثيرا من انواع النعيم واصناف العذاب بعبارات الف الانسان في حياته الدنيا التعبير بها عما يعرفه من نعيم وشقاء او لذة والم ، ومصادر الاسلام تؤكد ان الحياة هناك نشأة أخرى ليس لها من حياة الدنيا الا الاسماء . والذي نؤمن به انها دار النعيم أو العذاب ، وانها ليست كالدنيا بخواصها ومزاياها وانها المرحلة الاخيرة من مراحل الحياة الانسانية »

« وهكذا نجد القرآن يذكر نعيم الآخرة وعذابها بما يحمل الانسان على الايمان والعمل » .

ومن المناسب ان نذكر هنا ما قاله الاستاذ الكبير محمد المبارك عميد كلية الشريعة في جامعة دمشق في بحثه القيم (عقيدة البعث والحساب في الاسلام) نشرته مجلة « حضارة الاسلام » .

قال سيادته : « ولكن المهم ان الله حين ذكر الجنة وما فيها من نعيم ، والنار وما فيها من عذاب لم يقصد ــ وهو اعلم بما اراد ــ ان يفرض علينا اوصافها ويخبرنا عن احوالها لمجرد الاخبار عن هذه المغيبات وانما اراد تشويقنا الى الجنة وتخويفنا من النار واشعارنا بمسؤوليتنا عن اعمالنا وما ينجم عنها من نتائج . ولذلك نرى ان العنصر الثابت والفكرة التي تتردد وتتكرر في موضوع الآخرة في كتاب الله هي فكرة المسؤولية والحساب وما سوى ذلك من وصف الجنة والنار ، يرد في اشكال متنوعة وصور مختلفة في كل مرة ، ان طبيعة حياة الآخرة ونوع ما تحتويه من موجودات مجهولان عندنا ، وما ذكره الله لنا هو تقريب لافهامنا على طريق المقايسة والمشابهة بما في الدنيا من موجودات ، لان اللغة التي ولدت في هذه الحياة واعدت للتعبير عنها تعجز عن التعبير عما لا يوجد في هذه الحياة وما لم يعرفه البشر بنوع من المعرفة » .

والثابت ان كافة العلماء على اختلاف نزعاتهم وارائهم متفقون ومجمعون على ان طبيعة حياة الآخرة تختلف كل الاختلاف عن حياة الدنيا ، ففيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على بال بشر وليس فيها من حياة الدنيا الا الاسماء ، ولكنهم اختلفوا فيما ذكر في القران من امور الجنة والنار مما هو من شان الحياة المادية من الاكل والشرب والانهار والازواج المطهرة هل هو على سبيل المجاز او على سبيل الحقيقة ــ تاويل بعيد يخالف ظاهر القران والسنة . ويقولون بان نوع هذه الحقيقة وطبيعتها مجهولان لدينا لقصورنا عن تصورها الا بالتقريب والتشبيه .

واذا كان ما ذكر في القرءان من امور الجنة من الاكل والشرب والانهار والازواج لا يراد منه ما هو المعهود لدينا في الدنيا وانما المراد منه شيئا آخر لا ندرك كنهه ــ اليس هذا عين التاويل بل من ابعد التاويلات التي فيها منتهى الغموض والتعقيد .

ان القول بانكار البعث بالمادة لا يستدعي القول بالاستحالة ولا بالعجز خلافا لما ذهب اليه اخونا الفاضل الاستاذ جلال الهادي ، ان الله قادر على كل شيء ، وهو بلا شك قادر ــ على ان يحشرنا بالاجسام . ولكنه وضع سننا وقوانين تجري وتتجلى ارادته بواسطتها ، ومن هذه السنن كون الحياة في هذه الدنيا مادية وفي الاخرى روحية .

اما استدلال صلاحية ما وراء الطبيعة للحياة المادية بآدام الذي خلق من طين وعاش في الجنة ، وبمعراج الرسول فامر مختلف فيه ، لان الجنة التي عاش فيها آدام كانت في الدنيا ، وان معراج الرسول (ص) كان بالروح دون الجسد ، وعليه فلا استدلال بهما .

ولا ندري على ما يبني الاستاذ جلال الهادي دعواه بانه يستوي لدى الروح نعيم الجنة وعذاب جهنم ، وبان الروح لا تتلذذ ، مع ان الاحاسيس والمشاعر والآلام والامال من شان الروح ، لان الجسد الذي هو عبارة عن المادة لا يشعر وانما الروح هي التي تشعر وتحس ، ان الشعور والادراك من صفات الروح اللهم الا اذا سلمنا بنظرية المادية الجدلية التي تقول بان الادراك والشعور نتيجة عمليات مادية كيماوية في المخ .

اما الذرة فارى انها حجة لي لا علي ، فقد اثبتت الدراسات الحديثة المتعلقة بالذرة ان اصل المادة هو الروح اعني الطاقة ، وان المادة بالنسبة الى الروح والطاقة بمثابة الثوب من الجسم ، فالمادة تهلك في الطاقة كما ان الجسم يهلك بالموت وتبقى الروح .

حسين جوزو ــ سراجيفو ــ يوغسلافيا





للأستاذ عبد اللطيف الخطيب

في تاريخ الفكر اعلام حفظت اسماؤهم في سجل الخالدين لان الانتفاع بكتبهم القيمة لم يبق مقصورا على أجيالهم وأقوامهم ولغاتهم فحسب ، بل شمل أحباب الحكمة البالغة واشياع الراي الثاقب والقول النافذ في مختلف الامم وان باعدت بينها المسافات وفرقت بينها مذاهب الحكم أو اختلفت لغاتها وتفاوتت حظوظها من الثقافة ولما كان ((ويليام شيكسبير)) من هذه الزمرة المختارة فان الاحتفال بالذكرى المئوية الرابعة لميلاده أقيمت خلال الاسبوع الاخير من شهر ابريل لهذه السنة في اليابان والاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة والهند ومصر والارجنتين والسويد وغيرها من الاقطار الى جانب المملكة المتحدة التي خلدت هذه الذكرى بطبع صورة شاعرها الفحل على الاوراق المالية بجانب صورة الملكة ((اليزابث الثانية)) ...

وقد ارتايت بهذه المناسبة أن أكتب ترجمة موجزة للنابغة وبحثا مقتضبا حول نتاجه الخصب اسهاما متواضعا في اقامة هذه الذكرى .

توطئة

اذا نحن رجعنا بأبصارنا في أسفار التاريخ الى النصف الثاني من القرن السادس عشر رأيناه يتميز بوقائع هامة فاصلة ويقترن بشخصيات لامعة فذة كان لها الاثر البعيد في مختلف مجالات الفكر جميعا . فلقد اقترن مطلع هذه الفترة بمبدأ عهد الملوك السعديين ببلادنا قبل ان تشهد الحروب الدينية بفرنسا خلال ستة وثلاثين عاما ، وبموت « ايفان الرهيب » أول القياصرة الروس الذي جمع اطراف البلاد تحت حكمه خمسين سنة . فلما كانت السنة الحادية والسبعون من هذا القرن دارت بمضيق « ليبانطو » ببلاد اليونان معركة بحرية فاصلة تغلب فيها الاسطول الاسباني بقيادة الامير « دون خوان » ، اخي الملك « فليبي الثاني » لابيه ، على أسطول الاتراك فكانت هذه الغلبة فوزا كبيرا للنصرانية في حربها للاسلام . ولم تنصرم الا سبعة اعوام حتى دارت وقعة « وادي المخازن » حيث هلك الملك « دون سيباستيان » فذهب المغاربة باحلام البرتغال في اقامة امبراطوريته المدعوة بشمال افريقيا . وبعد عشر سنوات على هذا التاريخ هبت الاعاصير على « الاسطول الذي لا يغلب » عند ما بعثه « فيلبي الثاني » ضد انجلترا فشتتته تشتيتا كان بداية النهاية للامبراطورية الاسبانية

وكانت نار الاحقاد مشتعلة في معظم اطراف القارة الاوربية ، ثم دخلت الديانة النصرانية في مرحلة التطور فشرعت الفنون تتحرر والآداب ترتقي الى اسمى الدرجات فتنال سمعة عالمية . فاذا كان الادب الايطالي قد بلغ الذروة خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر على ايدي « دانتي » و « بوكاتشو » و « بيطراركا »

فان الادب الاسباني كان آنذاك في عصره الذهبي الزاهر، اذ شهدت تلك الفترة كلا من « ثيرفانطيس » أمير الادب الاسباني (※) و « لوبي دي فيغا » الشهير بلقب « نادرة النوابغ » و « فرنسيسكو دي كيبيدو » الحكيم والشاعرة الصوفية « سانطا طيريسا » . أما الادب البرتغالي فقد بلغ غايته عند « كاموينش » الذي توفي في السنة الثمانين من هذا القرن فدخل بقصيدته العصماء في تمجيد وطنه واثبات مفاخره في زمرة الخالدين .

وقد قصدت من اثبات تلك الوقائع المذكورة وايراد ذكر اعلامها ان ارسم هذا الاطار التاريخي والادبي المحيط بالفترة التي عاش فيها امير الادب الانجليزي تيسيرا لتصور ذلك العصر الزاخر بالاحداث والحافل بالعباقرة .

ميلاده وترجمته

تزوج « جون شيكسبير » من « مارية آردن » سنة سبع وخمسين وخمسمائة والف فكان له منها ثمانية ابناء توفي ثلاثة منهم صغارا . وكان « جون » جزارا ومقاولا . ويثبت السجل المحفوظ بكنيسة قرية « سطرادفورد اوبون آفن » ان «وليام شيكسبير» (※) قد ولد بتلك القرية يوم 26 ابريل (حسب التقويم القديم) لسنة اربع وستين وخمسمائة والف وتم تعميده بكنيسة « التثليث المقدس » نفسها . وكان اصغر الاولاد يسمى « ادموند » ؛ وقد عمل ممثلا مسرحيا مع اخيه في لندن . اما عن دراسة « وليام » فقد تواترت الروايات على انه كان يهمل التحصيل حتى قيل عنه انه لم يكن يعرف الا القليل من اللغة اللاتينية واقل من هذا القدر الضئيل من اللغة اليونانية . وقد عمل معلما باحدى المدارس ثم مساعدا لاحد المحامين لما ساءت احوال والديه المالية . ولم يبلغ الثامنة عشرة حتى تزوج من « آنا هاطواي » من بنات احدى القرى المجاورة ، وكانت تكبره بثمانية اعوام . وقد كان لهما ثلاثة ابناء اكبرهم « سوسانة » التي ولدت يوم رابع مايو لسنة ثلاث وثمانين ؛ اما التوأمان « هانيت » و « جوديث » فقد توفي اولهما عندما بلغ الثانية عشرة . (※)

ومن المؤكد ان « وليام » لم يكن سعيدا في زواجه، اذ لم تمر اربع سنوات على هذا الاقتران حتى هجر زوجته وقريته متوجها الى لندن حيث تدهورت حالته المالية وساءت سيرته خلال مدة غير قصيرة ؛ فقد قضى خمسة اعوام يحرس خيول المتفرجين عند ابواب المسارح ، كما عمل مامورا باحد هذه الملاعب قبل ان يصبح ملقنا .

ولم تحل السنة الثانية والتسعون من القرن السادس عشر حتى اصبح « وليام » ممثلا وشاعرا معروفا ذا حظوة عند الملكة « اليزابت » . وقد عمل بصورة خاصة في مسرحي « الوردة » و « الوزة » ، وكان الاشراف يخصون ملاعب التمثيل والفرق العاملة فيها برعايتهم ومساعداتهم لها على التنقل بين مختلف المدن الانجليزية . وكانت بعض هذه الفرق الممتازة تغادر الجزيرة لعرض مسرحياتها الناجحة بقاعات الدانيمارك وهولندة وفرنسا والنمسا ؛ ومن الملاحظ انها كانت تؤثر المانيا على غيرها من الاقطار في هذه الجولات الفنية ؛ كما انه من المؤكد ان هذه الفرق لم تزر ايطاليا واسبانيا . ويوجد من النقاد من يقول ان

※ ولد « ميغيل دي ثيرفانطيس » بقلعة هنارس شمال مدريد سنة سبع واربعين وخمسمائة والف ، وتوفي يوم 23 ابريل سنة 1616 اي قبل عشرة ايام من وفاة شكسبير ، والفرق الزمني راجع الى الاختلاف بين التقويمين القديم والجديد .

※ لاسم « شيك ـ سبير » باللغة الانجليزية مدلول تمكن ترجمته بمحرك الرمح .

※ راجعت تراجم عديدة للكاتب المسرحي الفذ والشاعر الفحل واعتمدت كتبا شتى مستعينا بها على تحرير هذا البحث ، وفي طليعتها كتاب « نظرة حول شكسبير » لصاحبه Derek Traversi ومجموعة تآليفه التي ترجمت كاملة للمرة الاولى الى اللغة الاسبانية سنة تسع واربعين وتسعمائة والف بفضل اجتهاد الاستاذ الكبير « لويس استرانا مارين » Luis Astrana Marin الذي حلى ترجمته الامينة البليغة بمقدمة مطولة في ترجمة النابغة ودراسة كتبه القيمة دراسة عميقة جامعة في مائة وعشرين صفحة .
وتقضي الامانة الادبية علي بان اثبت اعتمادي لمعظم آرائه وملحوظاته ضمن ما اوردت من مميزات انتاجه .

شكسبير لم يغادر الجزيرة مطلقا ولم يضع قدمه بالقارة الاوربية ابدا .

ومن المؤكد ايضا ان نشاط الكاتب الموهوب قد اقترن بالعقدين المتراوحين بين السنة الحادية والتسعين والسنة الحادية عشرة من القرن الذي يليه ، فلقد كتب فيما بين سنته السابعة والعشرين وسنته السابعة والاربعين ثلاثة وثلاثين مؤلفا ، بحيث يمكن القول بان انتاج شكسبير قد اقترن بسنوات شبابه . ولما لم تكن حقوق الملكية الادبية محفوظة للمؤلفين آنذاك فقد كثر الانتحال حتى اصبح عادة شائعة في لندن ، وقد كانت هذه الظاهرة ملحوظة على هذا العهد في مدريد ايضا باعتبارها كذلك عاصمة مسرحية . وقد اضر الانتحال ضررا بليغا بالادب والادباء المجيدين على السواء ، حتى ان معظم ما نشر من مؤلفات شكسبير في حياته كان منقولا عن نسخ حصل عليها الناشرون بدون اذن منه ، كما ان بعض الكتب قد نشرت غير منسوبة الى اصحابها . اما التعاقب الزمني لصدور مؤلفات شكسبير فقد امكنت معرفته بفضل السجلات التجارية التي خلفها الناشرون ، وكذلك بفضل الدراسة الواعية العميقة للاسلوب واللغة والتلميحات والقافية والاوزان . وتأكد ان شكسبير قد برز منذ البداية على كافة الشعراء المعاصرين فيما يتعلق باجادة القافية وضبط الاوزان . وقد طار صيت هذا النابغة فامرت الملكة « آنا » زوج الملك « جيمس الاول » في السنة الرابعة من القرن السابع عشر باقامة حفلة تمثيلية خاصة بالقصر قصرتها على تقديم مسرحية جديدة لشكسبير ! . . .

وكان من نتائج ذلك التبريز وهذه الحظوة ان تحسنت حالته المالية عقب نجاحه ممثلا ومؤلفا في لندن فخف عائدا الى القرية لاغاثة اهله بعد غيبة استمرت احدى عشرة سنة فاشترى بها الدور والضياع وجعل يزورها كل عام بعد ان ادى ديون والديه واسترد املاكهما المرهونة . ثم اقتنى اكبر دار في مسقط راسه واصبح مساهما في اكبر ملاعب التمثيل بالعاصمة .

وكان الملك « يعقوب الاول » مشغوفا بالمسرح فشمل فرقة شكسبير برعايته وجعل كافة ممثليها منتمين الى القصر الملكي ، اذ كانت هذه الفرقة تعرض مسرحياتها اثناء الاقتبالات الرسمية واعتماد الوفود الدبلوماسية الاجنبية . ويروي الرواة ان هذه الرعاية قد عادت على الشاعر بثراء واسع فاشترى اراضي خصبة للفلاحة واستأجر اراضي اخرى لآجال مديدة ، الا ان هذا الحظ الباسم قد قلب للشاعر ظهر المجن ، اذ اشتعلت النار في مسرح « الكرة » الذي كان من اكبر المساهمين فيه فأتت على جميع مخطوطات المؤلف . وقد اصبح صاحب نفوذ واسع في الاوساط الرسمية حتى انه حصل على تعويضات هامة عند ما احترقت بعض املاكه في قرية « سطرادفورد اوبون آفن » واعفي من اداء بعض الضرائب فيما بعد .

وفي خامس يونيه لسنة 1607 تزوجت ابنته « سوسانة » من « جون هول » الطبيب الشهير فرزقت منه بنتا سميت « اليزابث » وتوفيت قبل ان يدور عليها الحول فانقرضت بموتها ذرية الشاعر . ثم مات شقيقه « ادموند » في لندن فوالدته في القرية ، ولم تنصرم خمسة اعوام حتى حضر الموت أخويه « جيلبيرت » و « ريشارد » . اما ابنته « جوديت » فقد تزوجت اثناء المدة الحرام السابقة لعيد الفصح دون أن تحصل سلفا على الرخصة الخاصة فنبذتها الكنيسة كما نبذت زوجها . ولم تكتب السعادة الزوجية لهما .

وانهى شكسبير في الاسبوع الاخير من شهر مارس لسنة 1616 تحرير وصيته بعد ان قضى في اعدادها شهرين متتابعين ، فترك بمقتضاها معظم املاكه لابنته الكبرى وقسطا يسيرا لابنته الصغرى . أما الارملة فقد اوصى لها بمستفاد ثلث املاكه ما بقيت على قيد الحياة .

ويروي معظم الرواة ان شكسبير قد اصيب بالحمى عقب ليلة اسرف خلالها في معاقرة الخمر فتوفي من جرائها يوم الثلاثاء 23 ابريل 1616 الموافق لثالث مايو حسب التقويم الجديد ودفن بعد يومين عند الجانب الشمالي من كنيسة « التثليث المقدس » بالقرية التي شهدت ميلاده قبل اثنين وخمسين سنة الا ثلاثة ايام .

مـؤلفاتــــه

ويتعين علينا الآن وقد اوردنا هـذه الترجمة المقتضبة ان نفرغ لدراسة مؤلفاته التي بلغ عددها ثلاثة وثلاثين (※) كتبها جميعا خلال العقدين المذكورين سلفا . وقد كانت « برقليس » فاتحتها و « العاصفة » خاتمتها . اما اهمها فهي « الملك هنري السادس » و « مسلات الهفوات » و « اعمال الحب الضائعة » و « الملك ريشارد الثاني » و « ماساة الملك ريشارد الثالث » و « حلم ليلة صيف » و « ترويض الشرسة » و « ماساة روميو جوليتا » و « تاجر البندقية » و « الملك هنري الرابع » و « حياة الملك جون وموته » و « لا بداية سيئة للعاقبة الحسنة » و « حياة الملك هنري الخامس » و « كما تهواه » و « جعجعة ولا طحين » و « هاملت أمير الدانيمارك » و « متزوجات وندسور اللاهيات » و « طرويلو وكريسيدا » و « عطيل مسلم البندقية » و « الملك ليهار » و « ماساة ما كبث » و « يوليوس قيصر » و « انطونيو وكليوباترة » و « حكاية فصل الشتاء » .

والامر الذي لا شك فيه هو ان النابغة قد كان في انتاجه الوفير هذا متقلبا بين درجات الاجادة ، فقد لوحظ عليه التردد والحيرة في البداية . ويمكن القول بان مؤلفاته الاولى قد تضمنت مجهوداته الرامية الى اتقان فن الدراما . فقد كتب مآسي تاريخية عنيفة غلبت عليها الالوان القوية وآثر فيها قوة الجرس . واذا كانت هذه الاعمال الادبية الاولى تشتمل على عيوب في عرف النقد الحديث فانها كانت في اعتبار ذلك العهد كنزا قيمة فذة . ولم يكن بين الادباء الانجليز آنذاك من يقدر على منافسة شكسبير اذا استثنينا « كريستوف مارلو » الذي اغتيل بطعنة خنجر عند ما كان يحانة مع رفقائه ذات ليلة . وكان هذا الكاتب قد بلغ اوج شهرته لما نشر « يهودي مالطة » و « الدكتور فاوست » ، وقد ظهر تأثيره واضحا بينا في شكسبير عند ما كتب هذا « ريشارد الثالث » و « ريشارد الثاني » و « تاجر البندقية » على الاخص .

الا ان شكسبير قد تمكن من الظهور نهائيا على منافسه « مارلو » والاستئثار باعجاب الناس عند ما بلغ سنته الثامنة والعشرين فكتب « ماساة روميو وجوليتا » التي اجمع النقاد على اعتبارها معجزة الاستلهام ومنتهى الابداع في تصوير عواطف الشباب فذهبت بغيرها من الاعمال المسرحية على عهد النهضة والاحياء في انجلترا . لقد كانت هذه المسرحية اولى المآسي التي كتب ، ولو انه اقتصر عليها لكانت كافية لتخليد اسمه بين الاعلام ، بل ان صدورها كان مرحلة فاصلة في تقسيم مراحل الانتاج عند الكاتب الفرد ، فلقد كان الى يوم نشرها احد الكتاب ، اما بعد ذلك اليوم فقد اصبح منفردا بالتبريز المعجز في دنيا القلم باللغة الانجليزية . ومن المعلوم ان حوادث الماساة قد جرت بمدينة « فيرونا » في السنة الثالثة من القرن الرابع عشر ، وصدرت الطبعة الاولى قبل انصرام القرن السادس عشر بثلاث سنوات . ولقد قال « فلوبيرت » ان « فيرجيليو » قد صور المراة العاشقة بينما صور شكسبير الفتاة العاشقة وان ما عداهما من العاشقات المخلدات في الآداب العالمية فنسخ متفاوتة في البعد عن الصدق في الابداع والاجادة . واقبل كتاب الدراما في ايطاليا وفرنسا واسبانيا على موضوع الماساة فاقتبسوا منه لاعمالهم المسرحية على عهد شكسبير نفسه .

وما أن صدرت هذه الماساة الغرامية حتى اقبلت انجلترا على عهد الفن المسرحي وآثرته على غيره . ويقال ان الملكة قد حفظت عن ظهر قلب مقطوعات مطولة منها ، اما نساء الطبقة المترفة فقد جعلن يقتفين اثر « جوليتا » في زيها ورقصها وطيبها جميعا .

واما « اعمال الحب الضائعة » فانها تتضمن تلميحات الى الحرب الاهلية بفرنسا وتبين عمق احاطة شكسبير بالحياة اللندنية وبعادات مختلف طبقاتها الاجتماعية واعرافها ، كما انها تظهرنا على التشابه الموجود في الاخيلة والصور مع الموشحات واشارة للجمال الاسمر . وقد تجلى تأثير « اوفيديو » في شكسبير في « اغتصاب لوقريشيا » و « فينوس

※ نقلت بعض مؤلفات شكسبير الى اللغة العربية كماساة « روميو وجوليتا » و « تاجر البندقية » و « ترويض الشرسة » (النمرة في الترجمة العربية) . . . و « كما تهواه » و « هاملت » وغيرها . كما صدرت بعض تآليفه مترجمة ترجمة مختصرة ومتفاوتة بين التشويه والاتقان ضمن بعض سلسلات الكتب الدورية (راجع للكاتب مقال « البتر والتحريف في الترجمات العربية » المنشور بمجلة « الانوار » سنة 1951) .
وكل رجائي بهذه المناسبة ان تنعم لغتنا في القريب بحول الله بترجمة امينة بليغة لنتاج شكسبير وامثاله من الاعلام الشوامخ الخالدين تكون ثمرة تضافر الجهود بين رجال الفكر في عالم العروبة .

و ادرونيس » بصورة خاصة ، ويمكن ان نقول ان « اعمال الحب الضائعة » هي من احسن الكوميديات اللطيفة الرقيقة التي كتبها الشاعر . وتتعرض « مسلاة الهفوات » نفسها للحرب الاهلية بفرنسا ، وهي اقصر ما كتب شكسبير .

ولقد اثارت نسبة الاقسام الثلاثة لمسرحية « هنري السادس » الى شكسبير مشكلة ادبية عميقة ، اذ قال بعض النقاد انها ليست من عمله ولو انها تتميز ببعض خصائصه وانه لم يزد على ادخال بعض التعديلات على انتاج غيره . الا ان الممثلين الذين كانوا على صلة وثيقة بشكسبير والذين يرجع اليهم الفضل فى المحافظة على نتاجه الخالد ما كان لهم ان يخطئوا كل هذا الخطا الكبير الخطير . والشيء المحقق هو ان « هنري السادس » تقصر عما عداها من المؤلفات فى هذا الباب.

واهتم شكسبير بوصف حرب الوردتين والفظائع التى اتصفت بها . ومن المرجح انه بالغ فى تصوير غلظة ريشاردالثالث وقسوته ، الا ان اسلوبه فى هذه المسرحية العنيفة كان واضحا بينا حيث شرع فى الاستغناء عن القافية . وتعتبر مسرحيته حول هذا الملك من اعجب انتاجه فى ميدان المأساة ، حتى انه استقر فى اذهان الناس كما وصفه لا كما كان فى حقيقة أمره وسيرته .

ثم كتب « فينوس و أدونيس » فبرهن على انه من اكبر كتاب الشعر الغنائي فى المسرح بالعالم كله . كما كتب « اغتصاب لوقريشيا » عندما انتشر الطاعون فى لندن فامرت السلطات باقفال المسارح . وتكثر التاملات الاخلاقية فى هذه المسرحية بحيث نرى فيها ان كاتب المسرح قد تغلب على كاتب الشعر الغنائي . وكان « ادموند سبنسر » اكبر شعراء ذلك العصر فوصف شكسبير بـ « النسر » ؛ محييا التحاقه بدنيا الشعراء . ومن الجدير بالملاحظة ان النقاد المعاصرين لشكسبير قد اجمعوا على الاشادة بانتاجه الشعري وانتقصوا اعماله المسرحية .

وكانت روح العداء لليهود منتشرة فى انجلترا خلال الاعوام الاخيرة من القرن السادس عشر ، فلقد اتهم الطبيب اليهودي « طايرن » ، طبيب الملكة اليزابث بمحاولة تسميمها تنفيذا لتعليمات عملاء « فيليبي الثاني » ملك اسبانيا فأعدم . ولعل هذا الجو هو الذي دفع شكسبير الى كتابة « تاجر البندقية » ، وهي تعتبر مع « ريشارد الثالث » لا مجرد نموذج لعنف المشاعر وتعقيد الدسائس والحيل فحسب ، بل لقوة الوصف وصدق التصوير لمختلف الادوار المشخصة . كما انها تعتبر فى طليعة اعماله الخالدة ، اذ يقول النقاد انه ربما لا يوجد تصوير ادق من تصوير شكسبير لشخص « شيلوخ » . اما الفكرة التي تدور عليها المسرحية فهي ان الحق الواضح البين يستحيل الى ظلم مثير عند ما يصل ابعد مداه فيغزو مجال الحقوق الاخرى . ومن مميزات هذه المسرحية انها تطفح بجو الشباب والتفاؤل وبوصفها المتقن الجامع لايطاليا .

وندخل الآن فى مرحلة نضج النابغة الذي راى آمال الشباب تتبخر فجعل يصطلي بنار الالم . فمآسي « يوليوس قيصر » و « هاملت » و « ماكبث » عميقة فى حزنها عمقا كبيرا . ولقد قال عنها بعض النقاد انها نقلت الحقيقة التاريخية الى خشبة المسرح بعد ان حولتها الى حقيقة شعرية . فاما « هاملت » فتستمد قصتها على حكاية قديمة شائعة بين سكان جزيرة ايسلندة .

ولا يمكننا باي حال ان نغفل عن قصائد (*) شكسبير فى هذا الباب ، فان ذكرها لاول مرة يرجع الى عام ثمانية وتسعين وخمسمائة والف ثم انها (وعددها مائة وست وخمسون) مفتاح الى قلب الشاعر الذي انبعثت فى لسانه الحلو روح « أوفيديو » الوديعة . ويمكن ان نقول ان تلك القصائد ذات طابع شخصي خاص لان موضوعها يتناول الصداقة العاطفية الشديدة التي احس بها نحو شاب من بيت شريف وذي جمال فتان رائع . كما يتحدث فيها عن هيامه بغادة سمراء قبل ان ينتهي الى مراودتها للشاب ووقوعه فى حبها . ولكل تلك القصائد قيمة شعرية كبرى ، كما انها تتضمن مشكلات تاريخية ونفسية كانت موضوع الدراسة والتحقيق عند كبار النقاد الانجليزيين والالمانيين

---

* جعل لفظ SONNET بالجمع عنوانا جامعا لكل هذه القصائد ، وهو مشتق كمقابله فى كل من اللغة الفرنسية والاسبانية والايطالية من الكلمة اللاتينية SONUS التي معناها الصوت .

اما فى المدلول الادبي فيطلق فى الشعر الغنائي على القصيدة القصيرة التي تتالف من اربعة عشر بيتا ، والتي تنقسم الى مقطوعتين رباعيتين ومقطوعتين ثلاثيتين ، تراعى القافية على الخصوص بين البيتين الاول والرابع فى الرباعيتين .

اما فى الادب الفرنسي فقد اشتهر « رونزارد » بهذه القصائد القصيرة البديعة .

والفرنسيين على السواء ، وعلينا ان نقول ان القصائد المائة والست والعشرين الاولى موقوفة على الصديق بينما الباقي مقصور على الغادة السمراء . ويقول النقاد ان الشاعر ربما اسرف في وصف عاطفته الجامحة اسرافا شكليا دون ان يكون في خوارق الجنون واعماق التفكير الشعري الصائب . واجادة التعبير عن الشرف المهان والانتقام له قد جعلت هذه المأساة التي جرت حوادثها قبل ميلاد المسيح بقرنين تحيط اسم شكسبير بالشهرة الكبرى . واذا كانت مسرحية « عطيل » تفوقها في القوة و « ماكبث » ترجح عليها في العمل الدراماتيكي و « روميو وجوليتا » تغلب عليها في ميدان الفن المسرحي ومتانة الخطاب فانه لا يوجد في هذه المسرحيات كلها دور واحد يمكن ان يقارن مع دور « هاملت » في العظمة الادبية والقوة الفلسفية .

اما « طرويلو و كريسيدا » فتجري حوادثها خلال حرب طروادة ، حيث يشخص الاول دور العاشق المخلص وتمثل الثانية دور المحبوبة الغادرة . واذا كانت في خيالها شبيهة بمأساة روميو وجوليتا فان تفكيرها مقارب في عمقه لتفكير « الملك ليهار » .

وأما « عطيل » فقد عرضت لاول مرة في الحفلة التي اقيمت في قصر « البهو الابيض » بمناسبة تتويج « يعقوب الاول » ملكا على البلاد ، ولم تنشر هذه المسرحية الا سنة 1622 أي بعد وفاة مؤلفها بستة أعوام . ولعلها المأساة الكاملة الحديثة بالنسبة الى المآسي التي شخصها النابغة .

وتعتبر « ماكبث » مأساة الطمع ، وهي تفوق « هاملت » و « الملك ليهار » باعتبار طول النفس الدراماتيكي وقوته ، بحيث يمكن القول انها المأساة الشكسبيرية الكبرى . فلقد نظر الكاتب الى الانسان بعواطفه قبل ان ينظر الى غيره من الاشياء . وبطل هذه المأساة التي لا مثيل لها شخص حقيقي يحدثنا عنه تاريخ اسكتلندة ويصف لنا اغتصابه للحكم والجرائم التي ارتكبها . ولقد سلك في كتابة هذه المأساة منهج الظواهر المتناقضة بصورة أعنف بكثير مما نراه في غيرها . فالاشخاص يتحركون على جرف الهاوية . والمأساة عبارة عن صراع مستمر بين الحياة والموت . فكل عاطفة تثير الشعور المضاد لها ، وهي أثمن كنز يدخره الادب الانجليزي في ميدان الدراما ، كما انها تذكرنا كثيرا بشعر « اسكيلوس » ، ولن يوفيها الانسان حقها من الثناء مهما اطنب .

أما مسرحية « الملك ليهار » فيعتبرها « شيللي » أكمل نموذج موجود في العالم لفن الدراما ويراها معجزة أخرى من معجزات النابغة المعجز .

وكل ما أرجو هو أن تكون هذه الصفحات قد احاطت احاطة ولو يسيرة بترجمة نابغة الادب الانجليزي وانتاجه الخالد وساعدت على تقريبه من بعض القلوب والعقول جميعا .

الرباط : عبد اللطيف الخطيب

((كامونيش))

شاعر الفتوحات البرتغالية

لقد سقط سطر كامل من مقدمة هذا البحث المنشور في عددنا السابق، واذا كان القراء قد انتبهوا من غير شك الى الخلل الطارىء فاننا نعيد تلك المقدمة القصيرة مصححة رفعا لكل التباس محتمل ، وهي :

((نشرنا في العدد الثالث بحثا بعنوان : ((تاريخ حملة البرتغال على المغرب في المصادر البرتغالية)) . ونظرا لما كان بين هذه البلاد ووطننا من الاتصال الوثيق خلال قرون متعددة واحاطة شاعرها الفذ بهذا التاريخ فقد رأينا من الفائدة التاريخية والادبية ان نفرد لترجمته وانتاجه هذا الباب سعيا في الوقوف على تلك المدة من جميع جوانبها . ولعله يكفي ان يكون الشاعر الفحل قد حارب بلادنا حتى فقئت عينه اليمنى ضمن الحامية البرتغالية بسبتة وذاع اسمه في مختلف اطراف الارض لينال حظا موفورا من اهتمامنا التاريخي والادبي معا)) . فمعذرة .



في اعقاب شهر رمضان المبارك ، ومن نفس الصديق الذي سبق ان رددت على رسالته النقدية في احد اعداد هذه المجلة (*) ، وصلني خطاب تهنئة بالعيد ضمنه سؤالا يستفسر فيه عن اللامعقول ، هذا نصه : « ... وبهذه المناسبة ارجو ان تحدثني عن تيار اللامعقول الذي لا اتبين معالمه على كثرة ما اسمع عنه وعن الفضيحة التي سببها لبعض الكتاب في مصر ... »

والسؤال ذو شقين ، احدهما عن مفهوم اللامعقول وخصائصه ، والثاني عن فضيحة النقاد .

اما عن الشق الاول ، فيلزم ان نعود قليلا الى الوراء عسى ان نجد في اصول اللامعقول ما يكشف لنا بعض الغموض الذي يحيط به ويحول دون وضوح ملامحه ومعناه .

واللامعقول ذو طابع تجريدي ، والتجريدية جاءت في اعقاب الرمزية والتعبيرية ، وهي تهدف الى ابراز الخطوط الواصلة بين الاشياء لا نقليا او تصويرها كما هي في الواقع ، وتركز في ذلك على وقع هذه الاشياء في نفس الفنان ومدى آثارها عليه . ومن التجريدية تفرعت حركة اخرى هي السريالية ، حادت عن نطاق الواقع المالوف ، وتركت اصول المنطق والعقل . وقد كان نشوب الحرب العالمية اكبر مؤثر على نفوس الذين تحللوا من هذه الاصول وثاروا على القيم الاخلاقية والاجتماعية والفنية بعد ان تبين لهم عجزها عن صون كيان الانسان وحفظ كرامته وحريته . كذلك كانت الدراسات النفسية التي كشف بها فرويد سلطان العقل الباطن وتحكمه في تحديد القيم وتكييف المفاهيم دافعا قويا الى الغور في اعماق النفس الانسانية ومحاولة كبح جماحها وبالتالي ابعاد كثير من الآفات التي كرثت بها الانسان والتي هي وليدة فكره وعقله . واذن فلا سبيل غير التنقيب في اللاوعي واللاشعور والغوص في اعماق النفس الانسانية وما يكتنفها من غموض واضطراب بعيدا عن قيود العقل والقيم السائدة .

من هنا نصل الى اللامعقول ، فهو تصوير للانسان القلق الضائع الذي لا يعرف مصيره ولا يفهم وضعه في خضم الحياة الجارف ، بل لا يرى فائدة في فهم هذا الوضع او معرفة ذلك المصير فهو ابدا يائس من تخليص نفسه عاجز عن محاولة كشف علل ادوائها وعن القيام باي شيء من شانه ان يساعده على ذلك .

وادب اللامعقول حلقة من سلسلة ثورات على المفهوم التقليدي للادب والفن ودعوة الى التحرر من قواعد الفن الدرامي ومقوماته المعروفة . فكتاب مسرح اللامعقول يعتمدون على الحوار الداخلي الذي يكشف النقاب عن الآثار التي رسبت من تجارب الحياة في لا وعي الشخصيات ، فتبدو كل شخصية مستقلة بذاتيتها وتنشأ علاقات لا تلتقي الا لتستوقف المشاهدين وتتركهم يتاملون هذه الرواسب والتجارب وبالتالي يتاملون وضع الانسان وضيقه ومصيره . ففي مسرحية « الكراسي » مثلا ، او « الخطيب » كما كان يريد ان يسميها مؤلفها يوجين اونسكو ، نرى على المسرح زوجين عجوزين عانيا من الحياة ما دفعهما الى اعتزال الناس في حجرة خيالية تحوط بها المياه من كل جانب حيث يجلس الزوج الى زوجته يحكي لها حكاية يكررها ابدا دون ان تمل هذا التكرار ، ينتهي منها الى انه يتيم في هذه الدنيا وانه يجد صعوبة في التعبير عن نفسه . ومع ذلك لابد ان يقول كل شيء وان يؤدي رسالته ، ولكن الصعوبة التي يجدها في التعبير تحول دون القول ودون تادية هذه الرسالة . فهو لذلك ينيب عنه خطيبا

(*) العدد الثاني السنة السابعة .

لتبليغها ، وفي انتظار وصول الخطيب تذكره الزوجة بولده الذي هرب من البيت طفلا صغيرا وكان قد نسيه ، كما يتذكر والدته التي تركها تحتضر وحيدة . ثم يبدأ الناس الذين دعاهم — ومن بينهم الامبراطور — يتوافدون على المكان . وهم شخصيات لا مرئية يجلسون على كراسي حقيقية صفت على خشبة المسرح . ويتأخر الخطيب فيدور حوار غير منظم بين الزوجين ثم لا يلبثان ان يلقيا بنفسيهما من النافذة وينتحران . واخيرا يحضر الخطيب ليشرح الرسالة فلا يفوه بحرف واحد لانه اصم ابكم . فالمسرحية كما يبدو من هذا العرض الموجز تعبير عن الفراغ المجسم في كل شيء وعن عدم الوجود الممثل في الشخصيات التي لا يعني وجودها غير عدم الوجود سواء كانت مرئية او لا مرئية، اذ ان الاشخاص الثلاثة الذين نراهم على المسرح غير موجودين في الواقع . فالعجوزان يقولان كلاما تافها والخطيب لا يفوه بشيء ؛ فهو مثل الشخصيات التي ترى غير موجود وان اظهره المؤلف بصفته آخر من يبقى على المسرح .

ويرى بعض النقاد ان موجة اللامعقول هذه ليست غير ثورة عابرة وتمرد وقتي لن يلبث الفن بعدها ان يعود الى ما كان عليه . ويرى آخرون انها تطور لابد للمسرح منه خاصة وقد اخذت السينما والتلفزيون بامكانياتهما وطابعهما ينافسانه ويطغيان عليه . ويذهب هؤلاء الى ان قيمة مسرح العبث او اللامعقول — على عكس المسرح الواقعي التقليدي الذي ينقل للجماهير صورا من الحياة — ليست في هذه الصور ولا فيما تفهمه هذه الجماهير وانما قيمته في نفسه بمعنى انه غاية في ذاته .

وصل تيار اللامعقول للقاهرة فقدم « مسرح الجيب » مسرحيتين هما « نهاية اللعبة » لصمويل بيكيت و « الكراسي » ليوجين اونسكو . وانقسم النقاد طائفتين ، احداهما تجاوبت معه وناصرته ووجدت فيه متنفسا لحاجياتها المكبوتة ، والثانية ذهبت الى انه شاذ وتافه لن يتفاهم معه غير بعض المرضى المصابين بداء العجز والضياع . ومن هؤلاء من اطلق عليه « المسرح اللامسؤول » ورأى انه اذا نجح هذا اللون من الادب في بعض بلاد اوربا وخاصة في فرنسا حيث آثار الحرب والصراع الفكري والطبقي وحيث الجمهور واع والفنان يقدر عمله ويتحمل وحده مسؤوليته ، فانه لن ينجح في بلد نام لا زالت جماهيره متخلفة وفي حاجة الى من يوجهها ويضع لها تخطيطات ايجابية النهوض بمستواها الثقافي والفكري ؛ وان مناصرة هذا اللون معناها التخلي عن مسؤولية البناء بل معناها العمل على عرقلة هذه التخطيطات التي لن تحقق الا بتجنيد كافة المثقفين .

واما فضيحة النقاد فاثارها محرر بمجلة الكواكب يدعى احمد رجب حين كتب بقصد السخرية من اللامعقول مسرحية قصيرة على اسلوبه سماها « الهواء الاسود » . واطلع على المسرحية اديب كبير فظنها مترجمة واعجب بها ورآها مثلا عاليا في الادب الدرامي لا مجال لمقارنتها باعمال الروائيين المحليين . ودهش المؤلف لهذا التقدير الذي اوحى له بفكرة اخرى غير السخرية من مسرح اللامعقول ، هي عرض المسرحية على مجموعة من النقاد على اعتبار انها مترجمة عن كاتب سويسري يدعى فريدريك دورينمات، والنظر فيما سيبدون من آراء قصد اختبار نزاهتهم في النقد واماناتهم في تطبيق المقاييس العلمية . وعرضت المسرحية فعلا على اربعة نقاد من بينهم الدكتور عبد القادر القط ، فاجمعوا على انها تحفة في العمق والجمال وآية في الفن الدرامي الرفيع وانها درس للمؤلفين المحليين واضافة يعتز بها التراث المسرحي العربي . وكتبوا يعبرون عن هذا الاعجاب وعن تقديرهم لعبقرية الروائي العظيم دورينمات ؛ فوقعوا في الفخ وكانت الفضيحة .

فقد وقف المؤلف مشدوها امام هذا النقد الزائف وكشف حقيقة المسرحية واعترف بتفاهتها وانه كتبها واخترع لها مؤلفا سماه دورينمات . وزاد فاتهم النقاد بالجهل والتدجيل وانهم مصابون « بعقدة الخواجة » (والخواجة اصطلاح في مصر على الاجنبي) ، وانهم اعجبوا بالمسرحية لمجرد ظنهم ان كاتبها اجنبي وانهم لا يستطيعون التمييز بين الجيد والرديء وبين الفن الصحيح والتقليد الزائف .

وكتب الدكتور القط يرد على هذه التهم فقال بان الذين تلففوا هذه الفضيحة ليتندروا بها لم يكلفوا نفسهم عناء قراءة المسرحية وانهم لو قرأوها لوجدوا فيها من الجو الشاعري والرموز المعبرة ، والعبارات المحكمة الصياغة ما يجعلها مسرحية متكاملة في لون اللامعقول . ولم يكتف الناقد بهذا ، بل زعم ان المؤلف سرق المسرحية من مجلة انجليزية مترجمة عن الالمانية، واستند في زعمه الى اسم « كيبل » بطل المسرحية

حيث ذهب الى ان الاسم محرف من الاسم الالماني « كوبلـه » .

ودحض المؤلف مزاعم الدكتور القط ، فبين انه حين اختار اسم فريديريك دورنمات ليضعه على المسرحية ، كان يعرف انه اسم شائع فى القطاع الالماني لسويسرا وانه لذلك فكر فى ان تكون اسماء ابطاله من نفس البيئة ، فلجأ الى طالب مصري ـ ذكر اسمه ونشر صورته وعنوانه ـ عاش فى تلك المنطقة ليطلعه على اسماء مميزة لها . وزاد المؤلف فطلب من الناقد ان يستخرج له الاصل الاجنبي للمسرحية مقابل عشرة الاف جنيه . واعلنت مجلة الكواكب (*) ، وكان رئيس تحريرها شريكا للمؤلف فى المؤامرة ، انها رصدت هذه الجائزة لكل من يثبت ان مسرحية الهواء الاسود منقولة عن اصل اجنبي وانها تتعهد بدفع هذه الجائزة الكبرى لكل من يأتي بالاصل الاجنبي لهذه المسرحية سواء كان منشورا فى صحيفة او مجلة باية لغة من اللغات ، او كان منشورا فى كتاب لاي كاتب من الكتاب الاجانب شريطة ان يكون قد كتب الهواء الاسود بنفس الفكرة ونفس عبارات الحوار ونفس اسماء الابطال . واهابت المجلة بالدكتور القط ان يسعى لنيل هذه الجائزة بعد ان اعلن ان المؤلف قد نقل هذه المسرحية من مجلة انجليزية .

امام هذا التحدي وقف حمار الناقد وصحبه وبدأوا فى المراجع واخذوا يثبتون بالامثلة والبراهين ان الناقد قد ينخدع فيحكم على اثر مزيف بما لا يستحق ، وانه اذا كان العقاد قد انطلت عليه ابيات مزيفة باسم ابن الرومي ، واذا كانت بعض اعمال شكسبير غير موثوق بنسبتها اليه ، فانه لا يعنيهم مطلقا ان تنطلي عليهم حيلة كحيلة الهواء الاسود .

وجاء الكاتب صلاح حافظ يقف بعد ذلك بين الخصوم ويضع الفضيحة فى الميزان ، فكتب فى مجلة آخر ساعة (*) يرى ان القط ورفاقه من خيرة النقاد الدارسين اصحاب المقاييس العلمية ، وانه ليس من الممكن اتهامهم بالجهل ولا من مصلحة المسرح والثقافة فى مصر تشويه كفاءتهم او قدرتهم بوضعهم هذا الموضع الساخر السخيف . وذهب الناقد الوسيط الى ان هؤلاء النقاد لم يصفقوا للهواء الاسود لانها حملت اسما اجنبيا ولكن لانها من طراز اللامعقول وهم من طراز هذه المدرسة ، وانهم لم يصفقوا للهواء الاسود ايضا لانهم جاهلون بالمقاييس العلمية لفنون المسرح ، وانما صفقوا لان مدرسة اللامعقول نفسها لا تخضع للمقاييس العلمية ولا يمكن فى ضبابها ان يتضح العالم او غيره مواطن الحق والباطل والعبث والفن . ولولا ان النقاد الاربعة متحمسون للامعقول وان هذا اللامعقول غير ملائم للمقاييس ، لما كان ممكنا ان يخطئوا الحكم جميعا وفى وقت واحد بشان عمل واحد ثبت انه زائف وتافه .

وبعد ، فليست هذه الفضيحة سوى صورة لصراع قائم بين الشباب والشيوخ سبق ان تمثل فى حملات شنها الجيل الصاعد من النقاد بقصد تطهير الوسط الفني والادبي من اولئك الذين يبيعون ضمائرهم ويتاجرون بالكلمة .

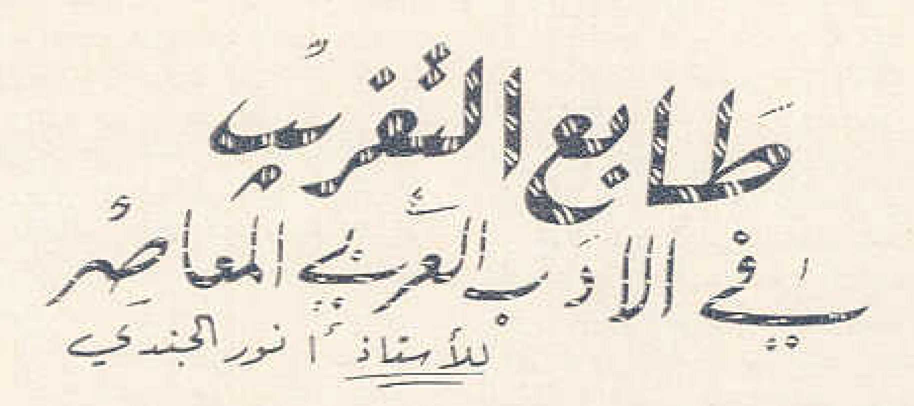
ولا شك ان نقاد الهواء الاسود وكثيرين غيرهم يخطئون فى غير قليل من الاحكام التي يصدرونها ، ربما على كتابات لم يقراوها ، ولكنهم معذورون بعض الشيء ، فاضطرارهم الى كسب العيش والى المحافظة على مكانتهم فى المجتمع تدفعهم الى الاسراف فى المجاملة والتملق والنفاق ولو على حساب القيم العلمية والمقاييس النقدية . ولعل السبب يرجع فيما يبدو الى ضيق المجال الذي يفسح لهم والى عدم التقدير الذي يلاقونه من اوساط الادب والاجهزة القائمة عليه ، والى المنافسة التي يتعرضون لها من طرف النقاد التجار الذين اتخذوا الصحافة مجالا للمساومة على اقلامهم يبيعونها بابخس الاثمان . لذلك فهم يلجاون الى المترجمات ـ حتى ولو كانت مزيفة ـ يحاولون بنقدها اثبات وجودهم وفرض شخصيتهم ، علما منهم ان جمهور القراء والادباء يكبر الواردات الاجنبية ـ مهما كان نوعها او مصدرها ـ وينظر اليها بتقدير واعجاب على اعتبار انها من الادب العالمي الممتاز .

والحق ان قضية الهواء الاسود وضعت نقادا كبارا فى الميزان ، ولكنها فى نفس الوقت ، وبالنسبة الى مصر ، حكمت على اللامعقول وكشفت عن فشل تياره فى التسرب الى نفوس النقاد والادباء والجماهير .

القاهرة : عباس عبد الله الجراري

---

* عدد 6 ـ تاريخ 16 ـ 4 ـ 1963
* عدد 1486 تاريخ 17 ـ 4 ـ 1963



ليس من الغريب ان يتأثر الادب العربي المعاصر بالاداب الاوربية فى الاسلوب والمضمون الى حد كبير ، ولكن الذي يلفت النظر ويستثير الانتباه هو ذلك الطابع الواضح من التغريب ، ومحاولة القضاء على القيم الاساسية للفكر العربي الاسلامي ومسخها او السخرية منها او هدمها لاحلال قيم اخرى بدلا منها ، لقد كان الاحساس الغامر فى فترة ما بين الحربين هو الشعور بالتخلف عن الغرب ، وكان التطلع الى الحرية والاستقلال مشوبا بالرغبة الى السبق فى كل ميدان حتى نصل الى درجه الغرب فنقف فى صفه وبذلك تتحطم نظريته فى الوصاية والحماية التي يحاول ان يتعلل بها من اجل البقاء فى ارضنا .

غير ان الوسائل فى الوصول الى درجة الغرب فى الحضارة كانت تضل الطريق احيانا فى نظر بعض الباحثين والادباء الذين كانوا يعتقدون اننا لا نستطيع ان نحقق الحرية والقوة وبلوغ درجة التساوي مع الامم الغالبة الا بنقل الحضارة والثقافة الغربيين نقلا كاملا ، وانكار كل صلات الماضي ومقومات كياننا الاصلي من ناحية اللغة والتاريخ والدين والفكر ، فهناك الحديث عن ان المصريين امة غربية وليست شرقية او اننا من امم البحر الابيض المتوسط لا صلة لنا بافريقيا ولا بآسيا ، ومن هنا فلا بد ان نذهب مع هذه الحقيقة الى غايتها فنتنكر تنكرا كاملا للشرق وننضم لاوربا فى منظماتها ونزدري ادبنا القديم فهو ادب القرون الوسطى، والدين فهو خرافة ، ومن اجل هذا يجب ان نقبل على النظريات الغربية ونؤمن بها ونشك كل الشك فى كل ما يتصل بماضينا فلا نصدق ما فيه من بطولات او قيم ، وانها بطولات لا قيمة لها فى عالمنا الجديد ، اما القيم فانها قيم الصحراء .

وان التحقيق العلمي يحتم علينا ان لا نصور التاريخ بصورة الحماسة والعاطفة وان علينا ان نتخلى عن مشاعرنا الخاصة حين النظر فى هذا التاريخ .

ويتصل هذا بآراء المتعصبين من المغتربين الاوربيين ، فالعرب والشرق هم من الجنس السامي المعروف بعمق الفكر والاهتمام بالتفصيلات دون النظر الى الامور ككل .

ويجري مع هذا احتقار الدعوة الى الوحدة والاعلان فى قوة عن نزعات تمزيق الكيان كالفرعونية فى مصر ، والفينقية فى الشام ، والاشورية فى العراق ، والبربرية فى المغرب .

ثم ان العرب مدينون لليونان ، وان فكرهم الفلسفي ماخوذ عن اثار اليونان ، وان عصر الأمويين عصر شك ومجون ، وهكذا ، وفى مجال التربية كانت الدعوة دائما آراء (ديوي) التي تفصل الدين عن المدرسة ، كان هذا التيار كله عنيفا ومثيرا ، وربما كان دافعه كسب الشهرة ومغايظة الجماهير ، وربما كان وراءه هدف كبير من خلق جو فكري مضطرب شاك ، وفى الاغلب كان كبار الكتاب يرضخون لاراء المستشرقين، وكان فى صدر هؤلاء الدعاة طه حسين ومحمود عزمي وسلامة موسى واحمد امين واسماعيل مظهر وحسين فوزي وزكي نجيب محمود .

ولكن هذه الحملة التغريبية لم تكن الا شبهات وشكوكا لقيت كثيرا من المراجعة والمناقشة والمعارضة ودارت من حولها المعارك الحامية ، ثم تغير الراي فيها من بعد بالنسبة للكتاب انفسهم فان هيكل واسماعيل

مظهر ومنصور فهمي وزكي مبارك تحولوا عن آرائهم التغريبية ، وتحول محمود عزمي عن الدعوة الفرعونية الى الدعوة العربيـــة .

بل ان النظريات التي اعتمد عليها كتاب التغريب واستوردوها من الغرب قد سقطت فعلا ، فنظريات دارون وفرويد وماركس اصابها التحول والتغيير والقيت عليها شبهات كثيرة ، وتحول الجارون في تيار البحث عنها الى آراء جديدة وسقطت نظرية الجنس التي حملها دارون ، كما سقطت نظرية الاجناس التي حملها جوبنيو ، وانكر العلماء بعد بحث مستفيض الفروق الجسمية والذهنية بين الساميين والآريين .

وتبين الدكتور منصور فهمي انه خدع حين استسلم لآراء استاذه الباحث اليهودي في نظريته عن تعدد زوجات النبي ، وعاد طه حسين وسلامة موسى يجريان في ركب القومية العربية بعد ان هاجماها بشدة . وثبت كذب الصراع بين العلم والدين ، ولم يصدق القول بان العصر الاموي عصر شك ومجون ، وان الاعتماد في دراسة عصر كامل على بعض الشعراء الهازلين لا يمكن ان يعطي صورة هذا العصر ، وتحطمت كل اعمال التنكر لعظمة التاريخ العربي والتراث العربي بعد ان اكتشف دعاة التغريب ، بان كتابا غربيين منصفين ــ غير خدام للاستعمار ــ قد اعلنوا رأيهم في تقدير هذا التاريخ وهذه البطولات وتقييمها على اساس علمي صحيح .

وفشلت الدعوة الى الاسلوب العلمي في البحث بعدما تخطاه دعاة التغريب انفسهم فاعلنوا حماستهم وتعصبهم في مهاجمة القرآن والاسلام والعروبة والتاريخ العربي واللغة العربية .

وعندما تكشف ان كثيرا من المستشرقين المتعصبين كانوا يفرضون الفروض ويبحثون لها عن اسانيد ودلائل من عبارات مقتضبة من القرآن او الحديث او المصادر القديمة .

واتكشف ايضا مدى الدعوة التغريبية في انكار فضل العرب على الحضارة وفضل المصريين على اليونان .

وهوجمت بعنف الدعوة الى ترجمة القصص الاباحية بالاضافة الى قصص الشعراء المجان في العصر الاموي والعباسي ، وفي هذا يقول رجل من زعماء المدرسة الحديثة هو المازني : القارىء ان يتساءل لماذا يؤثر الدكتور طه حسين نحوا آخر من انحاء الادب العربي وليس هذا كله ما فيه ولا هو خيره ، لماذا عنى على وجه الخصوص بقصص الزناة والزواني ــ كما يقول هو « بين العواطف والشعور من جهة وبين العقل من جهة اخرى ، وبين العواطف والشعور الفردية من ناحية وبين القانون والاوضاع الاجتماعية من ناحية اخرى ، وبين العواطف وبين الواجب وبين العقل وبين الدين ثم بين القانون وبين الدين ايضا ، الا ترى ان صنيعه في اختيار هذه القصص كصنيعه في اختيار من كتب عنهم من العباسيين ! فكما انه ترك ابا تمام والبحتري والشريف ومهيارا والمتنبي والمعري من فحول شعراء العرب وفضلائهم ووقع على اهل المجون والخلاعة والاستهتار ، كذلك لم ينتق من كنوز الادب العربي الا هذه القصص الحافلة بضروب الاثام والمنكرات » .

انه ما من عصر يمكن ان يكون له جانب واحد كما يريد ان يصور لنا العصر العباسي وانه لم يخل زمن قديم او حديث من مثل ما يصف الدكتور .

وقد صور مستر جب في دراسته « عن الادب المصري » (فبراير 1930 ــ السياسة الاسبوعية) افتتان الكتاب والقراء بتيارات معينة في الادب الفرنسي لا بالادب الفرنسي في جملته ، صلة وثيقة بين روح الادب العربي وآثار مذهب الرومانسيتزم اذا تصورنا الثمرة التي قد يؤدي الى انتاجها التلقيح بهذه العناصر السلبية والمتشككة في الثقافة الفرنسية الحديثة ، فان المرء لا يسعه الا ان يشاطر المحافظين خوفهم من ان يكون (التخريب) هو كل ما تقضي به الدراسات الاوربيـــة .

* * *

وقد جرت الدعوة الى نسيان القومية والدين كشرط اساسي من شروط البحث العلمي ، ويرد على هذا الدكتور محمد احمد الغمراوي فيقول : « ان الباحث يستطيع ان يراعي الدقة العلمية التامة في البحث وهو متذكر دينه كل التذكر ، ويعتقد صحته كل الاعتقاد ، غير مجوز على قرآنه خطأ او على توراته ، بل ان التدين الصحيح يزيد الباحث المخلص اذا امكن حرصا على الحق واستمساكا به اذا وصل اليه ، ان

التدين الصحيح والعلم الصحيح ممكن اجتماعهما اذن وكثيرا ما اجتمعا ، كما ان العاطفة العلمية القوية والعاطفة الدينية القوية لا تتعارضان بل تتضافران في خدمة العلم » .

❊ ❊ ❊

وفي مجال كتابة السيرة ظهرت الدعوة التغريبية واضحة ، فطه حسين الذي هاجم الشعر الجاهلي واعلن شكه ورميه في كثير من الوقائع والحقائق الواضحة في التوراة والقرآن ، يتطور بعد سنوات من هذا الرأي الى كتابة هامش السيرة محييا بها اخبار واحاديث وصفها بان العقل لا يطمئن اليها ولا المنطق ؛ وقد وسع على نفسه في القصص ومنحها من الحرية في رواية الاخبار واختراع الحديث .

وقد اعترض الدكتور هيكل في اتخاذ النبي وعصره مادة لادب الاسطورة ، واشار الى ما اتصل بسيرة النبي ساعة مولده وما روى لما حدث له من اسرائيليات روجت بعد النبي ثم قال : لهذا وما اليه يجب في رايي ان لا يتخذ مادة لادب الاسطورة فانما يتخذ من التاريخ واقاصيصه مادة لهذا الادب ما اندثر او ما هو في حكم المندثر وما لا يترك صدقه او كذبه في حياة النفوس والعقائد اثرا ما ، والنبي وسيرته وعصره يتصل بحياة ملايين المسلمين جميعا ، بل قلذة من هذه الحياة ، ومن اعز فلذاتها عليها واكبرها اثرا في توجيهها ، وطه يعلم اكثر مما اعلم ان هذه الاسرائيليات انما اريد بها اقامة اساطير ميثولوجية اسلامية لافساد العقول والقلوب من سواد الشعب ، ولتشكيك المستنيرين ودفع الريبة الى نفوسهم في شأن الاسلام ونبيه ، وقد كانت هذه غاية الاساطير التي وضعت عن الاديان الاخرى ، ومن اجل ذلك ارتفعت صيحة المصلحين الدينيين في مختلف العصور لتطهير العقائد من هذه الاوهام .

ويمكن القول بان القضايا التي واجهتها دعوة التغريب هي الاسلام وتاريخه واصوله ، القومية العربية ، اللغة العربية ، انكار فضل العرب على الحضارة ، اتهام العقل العربي ، نظرية الجنس والكشف في الادب ، نظرية الاجناس ، معركة الحروف اللاتينية ، معركة الفرعونية والفينيقية ، انكار فضل المصريين على اليونان ، تحريف السيرة باذاعة الاساطير ، القضاء على القيم في مجال التاريخ والبطولة والتشكيك في القرآن وتاريخ الرسول ، اذاعة دعوة الأدب للأدب ، قصة الذهاب الى آخر الخط مع الحضارة ، اتهام الدين ومعركته مع العلم .

وقد كانت هذه الدعوات متصلة في العالم العربي كله في خلال الفترة التي نؤرخها ومنذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر الى اوائل الحرب العالمية الثانية ؛ ونستطيع ان نؤكد ان كل نظرية من هذه النظريات قد واجهتها مراجعة علمية صحيحة مدعمة بالبيانات والاسانيد ، وان الشكوك التي بعثتها هذه النظريات قد تبددت وان عددا من المثقفين قد تحول عن آرائهم ، وان عددا من كتاب الغرب كان هدفه العلم والعلم وحده واعلن راية الحق ، ومن هنا اهتزت الدعوة واصابها التخلخل .

ولا يمنع هذا من الاشارة بان كثيرا من دعاة التغريب قد تحول عن آرائه تحت حكم الظروف والتطورات السياسية ولكن بعض هؤلاء لم يزل مصمما على رايه ولم يزل يقف في صف التغريب .

القاهرة : انور الجندي



اللغة العربية كمال قوميتنا

للأستاذ عبد اللطيف خالص

دور اللغة في حفظ كيان الامم عظيم ، وعملها من اجل صيانة التراث الوطني خطير ومساهمتها في ابراز ملامح شخصيات الشعوب جليلة . هذه حقيقة لا يستطيع انكارها مكابر وليس للذي يريد تجاهلها من سبيل لان اللغة عنوان حضارة الامم وشعار مجدها والدليل القاطع على ما ساهمت به هذه الامم في الميدان الفكري والمضمار الحضاري والكيان الثقافي العالمي . واللغة صورة حية تتجاوب فيها ثقافة الشعوب وتنصهر في بوتقتها حضارتها ، وهي المرآة الصافية التي ينعكس عليها بصدق واخلاص الوجود القومي والذاتية الوطنية .

كل هذا جعل من اللغة احدى المقومات الاساسية والخصائص الضرورية والميزات التي لا يمكن لشعب من الشعوب ان يتطور بدونها او يتقدم وهو يتخلى عنها ، فهي المقياس لنمو الامم والميزان النابض الذي يرسم لنا مظاهر الحياة الثقافية والموجه الذي يتلمس حركاتها ويرتب خطواتها وكيف لا يكون هذا شان اللغة وهي الوسيلة الاولى لربط الاتصال بين افكار بني الانسان والسبيل التي تعبد طرق تلاقي الشعوب وتجمع بين افراد الامة الواحدة كما تجمع بين افراد البشرية كلها وتوحد صفوف المواطنين في قطر من الاقطار كما توحد بين بني الانسان في كل زمان ومكان .

ولعل هذا ما دفع ببعض رجال اللغة وفقهائها في اوربا الى اعتبار اللغة كورقة نقدية حيث راوا ان هذه الورقة لا تعتبر ذات قيمة الا بمقدار ما يعاد لها من ضمانة مالية او ذهبية في الخزينة العامة للدولة كما ان اللغة لا تعد ذات قيمة في حد ذاتها الا بمقدار الافكار التي تمثلها والآراء التي تعبر عنها والمعاني والنظريات التي تقدمها .

حقا ! ان اللغة تخون المعاني في كثير من الاحيان وان الكلمات مهما كان اصلها ومصدرها هي اشارات وتلميحات كثيرا ما ينقصها الوضوح والدقة والعناية التي يتوخاها الذين يستعملون هذه اللغة ويرغبون في التعبير عما يختلج في انفسهم وما يخامر خلدهم من شعور ومعان لان الكلمات والمفردات تبلى على كثرة الاستغلال والرد ولا تقوى على مجابهة صولات الزمان وجولاته كما ان بعض التعابير تصبح كليشهات وقوالب يستغلها العاجزون والكسالى الذين لا يريدون ابتكار الجمل وتطوير اللغة وتحسين وسائل التعبير حتى يصبح لهم تعبير ذاتي يميزهم عن بقية الكتاب والمفكرين وارباب القلم وحتى يساهموا بنصيبهم بالخلق والابتكار في تجديد هذه اللغة . واذا كان عجز اللغة يتجلى في بعض الاحيان في وسائل التعبير حيث يتحسر كثير من الفنانين على عدم استطاعتهم التعبير ، بوضوح واخلاص عن عمق تفكيرهم وسعة فكرتهم فان هذا العجز يتجلى كذلك في الحالات النفسية العصبية التي يعيشها فرد من الافراد كحالة الغيظ او حالة الفزع والاضطراب او حالة الفرح والمرح حيث تختفه هذه الحالات فيصبح عاجزا عن التعبير عما يعتريه ويصير كالابكم المصاب بعي او حصر لا يستطيع أن ينبس ببنت شفة او ينطق بكلمة نظر الهول ما الم به وخطورة ما يحس به . كل هذا يدلنا على امكانية اللغة بكلماتها الشيقة

والفاظها الرشيقة وجملها البديعة ومفرداتها المختارة من التعبير عن اعمق ابعاد ما يشعر به الانسان وسبر اغوار ما يعتريه من مشاعر قوية واحساسات شديدة تنقله من عالم الاشياء العادية والاحوال الطبيعية الى عالم اخر يعد أبعد مدى رغم كونه اقل صدى . اذن فعلاقة الاشارة بالكلمة هي خلق جديد ابتكره الفكر البشري ، وقد تم هذا الخلق بطريقة تدريجية حتى اصبح ما نسميه اليوم باللغة التي تعيش في تطور مستمر وتقدم متصل وتدرج دائم .

واذا اردنا ان نرجع الى العهود الاولى التي عاشها الانسان على ظهر هذه الارض فاننا سنجد ان الانسان القديم بدا يبحث عن نفسه اولا ثم اخذ يشعر بذاته ثانيا ثم صار يحس مشاعر واحساسات لم يستطع ان يعبر عنها فجأة ولكنه سرعان ما انطلق عقال لسانه فاخذ يخترع الاشارات التي يمكن ان يعبر بها عما يعانيه ويكابده ويخامره ويخالجه ، ومن هنا تدرج نحو التعبير الحقيقي والكلام المعقول فكانت اللغة .

فاللغة اذن آخر ما انتجه الفكر البشري ولكنها سرعان ما تطورت فاخذت تتطور معها الافكار والعقول البشرية حتى صار لكل قوم تعبيرهم الذاتي ولغتهم الخاصة . فاللغة هي التي سمحت بتحريك الافكار وتطور الفكر البشري في مدارج الرقي . فلولا اللغة لما خرج الانسان الاول من عزلته ووحدته ولولاها ما استطاع ان يتصل بالمخلوقات الاخرى ليقارن بين افكارها وافكاره ومشاعرها ومشاعره . وبواسطة اللغة تمكن الوعي الجماعي من الظهور وقدر للانسان ان يعيش فكريا ويخلد حسب آرائه وافكاره على مر الدهور والعصور . وما ضمان الاتصال بين الاجيال الماضية السابقة والاجيال الصاعدة اللاحقة الا هذه اللغة التي نتداولها اليوم فيما بيننا ونستعملها في مخاطبة بعضنا البعض لانها كانت المحرك الاساسي لمشاعرنا والمعبر الامين لاحساساتنا والصلة الوثقى بيننا وبين من سبقونا في هذا الوجود كما ستكون العروة المكينة بيننا وبين من سياتي بعدنا من الاجيال الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

هذه آراء حول اللغة القصد منها اظهار اهميتها وابراز مجالي حركتها رغم ما يعتريها من عجز وما يعتورها من فتور في كثير من الاحيان لان القصد من اللغة ربط الاتصال بين الناس اجمعين والتقاء البشرية باكملها . ولكن اللغة عرفت من التطورات والتقلبات مع ما عرفه الانسان في مختلف مراحل نموه وتطوره . فقد كان الناس امة واحدة في العهود الاولى ولكنهم سرعان ما تفككوا وتفرعوا فصار لكل قوم وجهتهم وقبلتهم التي هم عليها . فنشات من جراء ذلك اجيال بشرية موحدة الاصل معددة الفرع وصار لكل فرع من الناس لغتهم الاصلية يتوارثونها ابا عن جد وجيلا بعد جيل الى ان اصبحنا نرى هذه الشعوب المختلفة اللهجات المتعددة اللغات المتلونة الالسنة . ولكن هذا لم يمنع من بقاء امم عديدة وشعوب كثيرة تنتسب لعائلة لغوية واحدة حيث بقيت تجمع بينهم لغة واحدة في اصلها كاللاتينية بالنسبة لكثير من الشعوب الاوربية والسامية بالنسبة للعرب والعبرانيين والفرس وغيرهم فقد كانت السامية واللاتينية تكونان اللغة الام بالنسبة لهذه الشعوب التي رغم اختلاف نطقها وتباين قواعدها ونحوها وافتراق كتابتها ظلت تستمد أصولها من هذه اللغة الام .

والواقع ان اللغة العربية التي تعتبر من اللغات السامية لم تتكون بين عشية وضحاها ولكنها تأسست مع مرور الزمان وتوالي الايام حتى عرفت الازدهار الكامل والرقي الشامل عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم الذي نزل عليه القرآن الكريم بلسان عربي مبين ما فتيء ان عم سائر الارجاء والبقاع التي وصلت اليها الدعوة الاسلامية ؛ فقد تعين على المومنين الجدد ان يقراوا القران كتاب الله كما تعين عليهم ان يدرسوا حديث رسول الله ؛ وكان القرآن والحديث عربيين خالصين فلم يسع هؤلاء الا ان يدرسوا اللغة العربية حتى يتسنى لهم التمكن من القرآن والحديث ، وكان هذا الاقبال داعيا لانتشار اللغة العربية على قدر انتشار لواء الاسلام . وهكذا شهدت اللغة العربية توسعا عظيما جعلها لغة التخاطب والكتابة والمراسلة من اقصى شرق الامبراطورية الاسلامية الى اقصى غربها فترجمت اليها كتب عديدة ونقلت اليها وبواسطتها الى اوربا حضارة اليونان وثقافة الفرس وحكمة الهند .

ولم يكن حظ المغرب باقل من الاقطار الاخرى التي شملها الفتح الاسلامي لذلك راينا هذه البلاد تتقبل الاسلام وترحب بتعاليمه السامية كما راينا ابناءها يفتحون صدورهم لاخوانهم المسلمين الذين هدوهم النجدين واخرجوهم من الظلمات الى النور .

وما ان شرح الله صدور المغاربة الى الخير الذي كان يمثله الدين الجديد حتى اقبل هؤلاء المغاربة يتعلمون القرآن ويدرسون السنة ويتمعنون فى الدراسات الاسلامية حتى اصبحوا يتوفرون على علم غزير شاركوا به فى حلبة الثقافة الاسلامية حيث لم يتخلف منهم واحد عن الانكباب على العلوم الاسلامية والكرع من مناهلها الزاخرة الصافية .

ولم يكن باستطاعة المغرب ان يشارك بدلوه فى الحضارة الاسلامية الا اذا كان ابناؤه عالمين باسرار اللغة العربية وكنوز بيانها وبلاغتها لذلك نجدهم يتكبون على تعلم هذه اللغة وتحصيلها كما نجدهم منكبين على العلوم الاسلامية يتلقفون دررها الغالية وعجائبها السامية ياخذون كل جديد فيها ويعملون بدورهم على ازدهارها وتطورها حتى كان لهم نصيب وافر فى علوم القراءات والتفسير والحديث والسيرة وعلوم الحديث والنحو والتصريف واللغة العربية والبيان والاصول وعلم الكلام والفقه والفرائض وغيرها من العلوم الانسانية كالهيأة والمنطق والعروض والطب .

ويكفي للدلالة على ما نقول ان نلقي نظرة على الاسر العلمية التي عرفها اقليم سوس العزيز والتي ذكرها فقيدنا الغالي الشيخ محمد المختار السوسي رضي الله عنه فى موسوعته الكبرى « المعسول » لنعرف ان مساهمة المغرب فى ميدان الحضارة الاسلامية لم يكن ضئيلا فقد عرف اقليم سوس وحده عائلات بربرية كالتمليات والصوابيات والسملاليات والبعقيليات والتازرواليات والرسموكيات والحامديات والهشتوكيات والماسيات والتيزنيتيات الاجلوليات والجراريات والسكتانيات والبعمرانيات والافرانيات والعبدلاويات والتمانرتيات والمجاطيات وغيرها من العائلات والاسر العلمية التي كان لها دور الطليعة فى ارساء دعائم اللغة العربية فى هذه البلاد ووضع قواعد الحضارة الاسلامية فى هذه الربوع المغربية .

ولم يكن اقليم سوس هو الوحيد الذي عرف ابناؤه هذه المشاركة فى الدراسات الاسلامية فقد كانت مختلف نواحي المغرب مسرحا لنهضة علمية عربية اسلامية كان هدفها تثبيت اركان الاسلام وتمكين اللغة العربية فى المغرب الذي عرف اسماء لامعة فى ميدان الحضارة الاسلامية . وقد برزت هذه الاسماء فى مختلف الميادين الادبية والعلمية والسياسية ، وما عبد الله بن ياسين والمهدي بن تومرت والمولى الرشيد قبلهما وعبد المومن بن على الموحدي الا امثلة حية على مدى ما ساهم به المغرب فى مضمار تركيز اللغة العربية والعلوم الاسلامية فى هذه الناحية الغربية من العالم الاسلامي . واما ابن حبوس والقشتالي والقاضي عياض وابن طفيل ومالك بن المرحل والجراوي وابن خلدون واليوسي وغيرهم الا دلائل ناطقة عن النصيب الوافر الذي حظي به المغرب فى التمدن الاسلامي بصفة عامة وميدان العلم والادب بصفة خاصة .

بعد هذه المقدمة الوجيزة يحق لنا ان نتساءل عن مصير هذه اللغة العربية التي طالما كافح هؤلاء الاجداد الافذاذ لتثبيت قدمها فى المغرب والتي اصبحت اليوم تعاني الامرين من طرف ابنائها الجاهلين بمقدرتها والمنكرين لعظمتها وفضلها . فما هي أسباب تضعضع هذه اللغة فى هذه السنوات المتأخرة ؛ وما سبب اعراض طائفة مهمة من الشباب المثقف عنها ؟ وما يتعين علينا القيام به لمواجهة هذا الخطر المحدق بنا والرامي الى طمس معالم هذه اللغة وهدم بنيانها المؤسس والمرتكز فى هذه البلاد منذ ما يقرب من اربعة عشر قرنا ؟

قبل ان نتصدى للجواب على هذه الاسئلة المهمة التي نريد ان نفردها بمقال خاص نود ان نؤكد اننا في هذا البحث نتوخى التحري اللازم ولا نسير الا على ضوء الحقائق العلمية المجردة التي تنبذ التعصب الاعمى والتحيز المقيت . فنحن نومن اشد الايمان بان اللغة كائن حي يعتريها ما يعتري الكائنات الحية فى كل مكان وزمان فهي تبدأ ضعيفة صغيرة فى فجر حياتها ثم تسير فى طريق النمو والترعرع حتى تزدهر وتتطور فى عهد الشباب والفتوة ثم تكبر وتهرم بعد ما تصل الى طور الهرم .

اذن فهذه الحالات الثلاث امر محتم لا مفر منه وليس الى انكاره من سبيل ، ومن الواجب ان نجعل هذه الحقيقة امام اعيننا قبل الخوض فى غمار الدراسة لانها ستساعدنا فى مختلف اجزاء هذا البحث ولا تجعلنا نتعثر فى سيرنا الوئيد حتى ندرك الغاية المقصودة والهدف المنشود .

وفى هذا الصدد يجب ان نجعل نصب اعيننا حقيقة صارخة وهي أن النكسة التي اصابت اللغة

العربية ليست خاصة ببلادنا ولكنها عمت سائر الاجزاء التي كانت العربية هي لغتها الرسمية ؛ وهذه النكسة ترجع الى عهد الانحطاط والتدهور الذي اصاب الامة العربية جمعاء منذ اندرست معالم الدولة العربية في المغرب والمشرق وعفت معاقل الحضارة العربية والاسلامية في مختلف الانحاء وانمحت آثار الازدهار الادبي العربي والتقدم العمراني الاسلامي في كل من مصر وسوريا والعراق والقيروان والمغرب والجزائر والاندلس .

ولم تكن هذه النكسة قصيرة الامد ولكنها كانت مديدة العمر بعيدة المدى ، وقد عرفت اللغة العربية في عهد الانحطاط محاولات جزئية لانتشالها مما كانت تتخبط فيه ، ولكن التقدم التقني الذي عرفته الاقطار الاوربية والنهضة العلمية الحديثة السريعة وظهور الالة وتوالي الاكتشافات الفنية كل ذلك جعل هذه المحاولات لا تؤتي اكلها لانها كانت محاولات بطيئة رغم جراءة اصحابها وحماسهم واعمالا فردية او وطنية لا تشمل العالم العربي باجمعه .

وتدخل هذه النكسة التي اصابت اللغة العربية في اطار التخلف الاجتماعي والتدهور الاقتصادي الذي تعرفه سائر اقطار العالم الثالث المتخلفة ماديا ومعنويا والذي يعتبر العالم العربي جزءا مهما منها كما تعتبر اقطار امريكا اللاتينية والبلدان الافريقية من بين اجزائها المعروفة .

ولقد عاشت اللغة العربية منذ اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن تجارب طيبة كان القصد الاول منها احياءها اولا وجعلها تواكب التقدم العلمي المعاصر ثانيا ، واستقرارها في الاقطار الناطقة بها ثالثا .

وقد كان دور المجامع العلمية العربية عظيما في هذا المضمار لان هذه المجامع قامت بمحاولات جليلة اسدت نوعا من الخير الى لغة الضاد ، ولكن نقطة الضعف في هذه المحاولات تكمن في انها كانت محاولات فردية تختلف بين مدينة واخرى وتفترق بين قطر وآخر .

ولعل هذا ما جعل هذه المحاولات تؤتي اكلها في سوريا وحدها مثلا بينما ظلت تتعثر في الاقطار الاخرى لا فرق في ذلك بين مصر او العراق او لبنان .

اما اقطار المغرب العربي عموما والمغرب خصوصا فقد كانت اثناء هذه المحاولات لا زالت تغط في نوم ثقيل وراء ستار حديدي جعله المستعمرون عليها حتى تبقى في منأى عن كل ما يجري في الشرق حتى اذا ما تم تحرير هذه الاقطار من الوجهة السياسية وجدت نفسها في شيء اخطر من الاستعمار السياسي ونعني به الاستعمار الفكري الذي جثم بكلكله الثقيل على صدورنا كما جثم كلكل ليل امرىء القيس على الشعر العربي مدة غير يسيرة من الزمن .

فما هو وضع اللغة العربية في المغرب ؟ وما هي المحاولات التي تبذل في هذا الشان وهل تنتظر نتائج طيبة وراء كل هذه المحاولات ؟ ذلك ما سنحاول الاجابة عنه في مقال مقبل بحول الله .

يتبع

الرباط : عبد اللطيف احمد خالص

حنين المشرقي إلى المغرب

بقلم: الأستاذ شريف الراس

قد يكون من ابرز الوان الحنين الوطني لدى ابن المشرق العربي حنينه الى المغرب العربي ، فهو حنين ، على عفويته ، جارف وصادق ونابع من اعماق النفس .. وقد يكون المرحوم امين الريحاني من ابرز المشارقة الذين عبروا عن هذا الحنين العربي الخالص، اذ ان امين الريحاني — هذا الرحالة العربي العظيم — يقول فى مقدمة كتابه الذي وصف فيه رحلته الى منطقة الريف من المغرب الاقصى :

(كانت رغبتي بزيارة المغرب شديدة وحادة ، تنفذت الى اقصى نواحي النفس ، وصارت تحن كقلب العاشق الى ذلك البلد العربي الذي دعاه اجدادنا بالمغرب الاقصى) .

ويقول فى مكان آخر من الكتاب ذاته : (المغرب الاقصى .. ما كان اشد الحنين اليه) .

على انه كان لدى امين الريحاني دافع آخر لزيارة المغرب ، هو غير هذا الحنين العفوي الطبيعي الذي يجرف الانسان دون ان يستطيع هذا الانسان اخضاعه لتحليل المنطق او العقل او المنفعة ، ذلك الدافع هو ايمان الريحاني بضرورة تعارف ابناء العروبة فى سبيل تقاربهم : هو دافع عقلي واضح نابع من اعتقاد الريحاني بان (التنافر بين البلدان العربية مصدره الجهل والتباعد ، ولا يزيل هذا التنافر سوى التقارب ، فالتفاهم فالحب فسلسلة من الكتب تعنى باحوالها كلها وتعرض لجميع مناحي الخير والضعف فيها ، تكون خير سفير لتعاطف هذه الاقطار وتقاربها) .

على ان الايام تسخو على الريحاني بان يطفىء بعضا من لهيب حنينه ، وذلك عند ما اتيح له فى عام 1939 ان يزور جزءا يسيرا من المغرب ، وما كان يدعى بمنطقة الريف المرتبطة بالحكم الاسباني يوم ذاك . وليتها سخت عليه بان يزور المغرب كله ، اذن لسعدنا ، نحن العاجزين عن ذلك الحج الضروري ، بالتعرف — عن طريق ذلك الاديب العربي العظيم — على جزء غال وهام وحبيب من وطننا العربي الكبير المهم

... فى (سبتة) يلقي ابن المشرق اللبناني هذا اول مغربي عربي بالبرنس والعمامة : (وهو يمشي والسبحة فى يده مشية الامراء او المتعبدين ، بخطوات الرفق والسكينة . فحييته انا المسيحي فرد التحية باحسن منها . وحدثناه فما استنكف ولا اقصر . فعلمنا انه شريف من الشرفاء العلويين ، وانه مستخدم فى الحكومة المخزنية اي الخليفة اي العربية المغربية ... هذا الشريف الدركي كان يسبح ساعة الغروب بسبحة وقعت من نفسي موقع الاعجاب والطمع فمددت اليها يدي فقدمها لي فقلت : احب ان احتفظ بها ذكرا منكم لانكم اول من شاهدت فى ارض المغرب من اهل المغرب فقال : هي لكم .

ثم ودعنا الشريف وانصرف . اما مرافقي الاسباني فقد اخذته الدهشة وصار يسائل نفسه : كيف هذا ! كيف هذا !! .. كرم عجيب ، تساهل عجيب !! .. ثم سالني : كيف اعطاك الشريف سبحة وقد علم انك نصراني ؟ . فقلت اخاطبه : ان للعرب فى كل مكان لغة يتفاهمون بها ويتآخون) .

ويؤكد الريحاني فى تضاعيف كتابه هذا ان عرب المغرب انما يمزجون العروبة بالاسلام فى كفاحهم ضد المستعمر الاجنبي الفرنسي او الاسباني — المسيحي

على كل حال – ولكنهم ينظرون الى المسيحي العربي نظرة مغايرة تماما ، فهو عندهم عربي قبل كل شيء : هو أخ في القومية والكفاح والقضية الواحدة .

واليوم ، وبعد اكثر من عشرين عاما على تاريخ حادثة (سبحة سبتة) هذه ، فان الشبان اذا ما زار بيت امين الريحاني في بلدة الفريكة في لبنان – وقد تحول الى شبه متحف صغير – فانه سيجد السبحة هاجعة امام صورة والد الريحاني ، وسيقرا في الكتاب بطاقة التحية التالية : (فيا ايها الاخ المغربي ان لبنان يسلم عليك . ويا ايها العربي الكريم ان العروبة تحييك . ويا ايها الاخ العلوي ان للانفس التقية التائقة الى العلا مذهبا واحدا قوامه مكارم الاخلاق) .

الى هنا ثم اطوي الحديث عن كتاب رحلة امين الريحاني الى المغرب العربي . اطويه لثلاثة اسباب . اولها لا يتحدث عن غير منطقة الريف كما ذكرت ، وثانيها ان في الكتاب شيئا من التحيز للحكومة الاسبانية ، واغفال مستغرب لثورات وطنية نظيفة ونضال شعبي باسل قام بها اخواننا في المغرب ثم جاء الاستقلال تتويجا لها .. وثالثها انني ما انشات هذا المقال لاعرض تلخيصا لكتاب الريحاني ، على الرغم من قيمته وفائدته وجلال قدر مؤلفه العظيم ، وانما انشات هذا المقال لاثبت فيه كلاما طالما قلته منذ سنوات للاخوة المغاربة الشباب الذين سعدنا بالعيش معهم اربع سنوات تحت اروقة جامعة دمشق : كلاما في ضرورة ايجاد السبل الناجعة في تقريب المسافات المكانية والشعورية بين العربي الذي في المشرق والعربي الذي في المغرب ، وتسهيل اسباب اللقاء لقاء واسعا بينهما ، خصوصا وان الحواجز بينهم مصطنعة وليست طبيعية ولا ضرورية ، اذ هي حواجز وحدود من نتاج المستعمر الاجنبي المعادي للعرب ، المتعمد تفتيتهم وايهامهم بالانتساب الى كيانات اقليمية محلية ضيقة ، والالحاح عشرات السنين على ترشيح تلك الاوهام وبناء سلوك خاص عليها .

اذ انه لمن المذهل فعلا ان يكون الاتصال بين المشارقة والمغاربة منذ اكثر من الف سنة ، حيث الناقة مطية المسافر ، اسهل واشمل واعم من هذا الاتصال المعاصر الشحيح بين عدد ضئيل جدا من مشارقة العرب ومغاربتهم وفيما بينهم ، على الرغم مما ابتكرته الحضارة الحديثة من وسائل اختصار المسافات وتسهيل الانتقال ، وشيوع اسباب اللقاء الشعوري كالاذاعة والصحافة والكتب ؟! .

ام انه بسبب نظرة اجدادنا الى السفر على انه (جهاد) كانوا يرحلون كل تلك الرحلات البعيدة الشاقة المجهدة ، الفردية والجماعية ، ثم بسبب نظرتنا اليوم للسفر على انه (متعة) اصبحنا نتجه شطر البلاد التي توفر لنا المتعة او ما نظنه المتعة ونغض الطرف عن اقطار عربية تعاني مثل ما نعاني من فقر وجدب وشقاء وعجز في الاقتصاد ووهن في العلم والثقافة والعمران ، هي جميعا حصيلة استعمار اصحاب بلاد المتعة لها ؟!.

في القديم ، منذ فجر الدعوة المحمدية وحتى عصر الانحطاط : كم الفا بل كم عشيرة او قبيلة عربية رحلت من المشرق الى المغرب ؟ وكم الفا بل كم مجموعة بشرية من المغاربة ، من تونس والجزائر والمغرب الاقصى وشنقيط رحلوا الى المشرق ليحجوا الى بيت الله الحرام او ليطفئوا حنينهم العميق الى بلاد احبوها وقدسوها ، ثم ليقيموا في بلدان المشرق عدد ما شاء الله لهم ان يقيموا ؟ ونحن لو حصرنا السؤال ذاته في اهالي واحات شنقيط فقط من هؤلاء ، فهل نجد مدينة من مدن المشرق العربي خالية من اسرة شنقيطية يدل الاسم والكنية دلالة صريحة على ارومتها حتى يومنا هذا ؟ .

ثم هل يمكننا ان نقارن بين عدد الرحالة العرب المعاصرين الذين رحلوا من مغرب بلادهم الى مشرقها او بالعكس ، وبين امثالهم من العرب القدامى ؟ .. واطرح السؤال ذاته بالنسبة للكتب والاسفار .

دلوني – في سجل المغاربة المعاصرين – على خالدين عظاما من امثال : ابن بطوطة وابن عربي وابن خلدون ، وارشدوني الى انوار تشبه الانوار التي اشعوها في تاريخ ثقافة امتهم حيث هم مغاربة في المشرق ، وخذوني – في دمشق – الى ضريح يقدسه اهل دمشق ويتبركون به باجل واحب مما يقدسون قبر محيي الدين بن عربي !! وقل القول ذاته عن سجل المشارقة المعاصرين بالنسبة لمغرب بلادهم .

قد يقال : انسيت الامير عبد القادر الجزائري ، ومحمد عبد الكريم الخطابي .. هذان البطلان المغربيان اللذان امضيا العمر في المشرق ؟ انسيت ان مثلهما عديدون ؟ .. فاجيب : كانوا (منفيين) نفيا الى

الشرق . واضيف : الا ما اغبى المستعمر الذي ظن الحج منفى ؟ .. وقل القول ذاته عن المشارقة المعاصرين الذين (تفاهم) المستعمر الى مغرب وطنهم ، واسأل سؤال الاستغراب ذاته .

اذن فقد انقلب الحج الى منفى .

اذن — ايضا — ينبغي امعان النظر والفكر في هذه المسألة دون سواها ، لعله يصح الانطلاق بعد ذلك الى الحلول السليمة : ان المستعمر الذي سيطر على مقدرات امتنا العربية ، بعد مئات السنين من عصور الجهل والانحطاط والشلل العام ، فتت وطننا الواحد وجزاه ، وخلق كيانات اقليمية ، وعزل مشاعرنا وتطلعاتنا الفكرية في كل كيان اقليمي عن مشاعرنا العامة الاصلية ، ثم ربط ثقافتنا وتفكيرنا ومشاغلنا بعواصم غير دمشق وبغداد والقاهرة مثلا ... حتى اصبحت رجل المواطن اللبناني تطرق شوارع باريس التي تبعد عن بيروت الاف الكيلومترات ، اكثر بكثير مما تطرق شوارع دمشق التي لا يفصلها عن لبنان اكثر من مائة كيلومتر .

اذن — ثالثا — فالحل يتطلب من الانسان العربي المعاصر ان يثور على ذاته ، فيحطم كل ما تركه المستعمر الاجنبي في نفسه من قيود مصطنعة ، وان يتفوق على ذاته تفوقا انقلابيا بطوليا حتى يعود الى طبيعته الاصلية وهويته العربية الصافية ، فيصبح باعماقه وتفكيره متطلعا ، وهو ابن دمشق او الدار البيضاء الى الدار البيضاء او دمشق ، اكثر من تطلعه وارتباطه الثقافي بباريس او لندن ... وما لم يحدث ذلك التفوق الانقلابي الجبار فان الحنين يظل حنينا . وان الحنين لا يجدي ولا يصمد في وجه الواقع التفتتي المؤلـــم .

ان الحنين — على قوته الجارفة واصالته العميقة — لا يكفي .

والعرب مدعوون اليوم الى دعم هذا الحنين وتغذيته بتقارب وتعارف واتصال واسع ومستمر ، قد لا يكون عزيزا على حكوماتهم وضع البرامج والسبل التي تكفل تحقيق متطلباته .

دمشق : محمد شريف الراس



شواهد الانتحال في شعر المهلهل

بقلم : الاستاذ محمد بن تاويت

سبق ان أتينا بشواهد الانتحال في شعر امريء القيس ، واقتصرنا منها على ما ورد في قصيدته « قفا نبك » كما اقتصرنا منها على ما كان الداعي فيها قرآنيا، ولهذا كان عنواننا « العناصر القرآنية في قصيدة قفا نبك »

اما الآن فنتناول شعر المهلهل ، الذي تشبه قصته ، الى حد ما ، قصة سهراب ورستم ، الواردة في الشهنامة

ودواعي الانتحال فيها ، تختلف في جوهرها عن تلك الدواعي التي رأيناها في قصيدة امريء القيس ، حيث ان الانتحال هنا لم يكن له من داع ، الا الناحية الفنية في القصة ، لسد ما كان فيها من فجوات ، كان لابد للشعر من أن يتحمل عهدتها ، ففعل ... (*)

والشعر الذي نسب الى المهلهل ، او نسب المهلهل اليه ، كما يقول الرواة ، متفاوت في هذه « الهلهلة » لدرجة ان بعضه ، بل جله يصل الى حد الاسفاف ؛ واحسن قصيدة نجدها في ذلك الشعر ، هي قصيدته التي مطلعها :

اهاج قذاء عينيك الاذكار
هدوءا فالدموع لها انهمار

فلنلتمس شواهد هذا الانتحال في هذه القصيدة

فالبيت الاول منها ماخوذ من مطلع قصيدة الخنساء في رثاء اخيها صخر :

قذى بعينيك ام بالعين عوار
ام ذرفت ان خلت من اهلها الدار

كأن عيني لذكراه اذا خطرت
فيض يسيل على الخدين مدرار

لقد اعترض الدارسون على قول المهلهل « اهاج »، بعدم وجوده في اللغة ، بهذا المعنى ، وانما هو بمعنى أيبس ، متعدي هاج الموجود مضارعه في الآية الكريمة : « كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا » فاعتبروا الجملة خبرية ، حتى تتناسب مع « عيني »

والواقع ان الجملة طلبية استفهامية ، بالهمزة المقدرة في مطلع الخنساء ، ومد القذاء المقصور في هذا المطلع للضرورة ، وناسبه رواية التجريد في «عينيك»، وان كان يجانسه في السياق ، قوله في البيت الثاني : وصار الليل مشتملا علينا ، مما يحوجه الى الالتفات

وكون الدموع تنحدر على خديه ، أشبه بشعر الخنساء ومثيلاتها ، ممن يقبل منهن ان يفيض سيل الدموع على خدهن ، اما مسعر الحروب ، كالمهلهل الذي يقول :

وابكي والنجوم مطلعات
كأن لم تحوها عني البحار

فبحار الدموع لا تقبل الا من مثل عائشة التيمورية التي تقول في رثاء ابنتها :

ان سال من غرب العيون بحور
فالدهر باغ والزمان غدور

(*) لا يفهم من القصة ما هي عليه الآن ؛ بل كانت تعتبر عنصرا هاما في كتابة التاريخ ، ولهذا نجد أغلب شعر المهلهل في كتاب الكامل لابن الاثير .

أما المهلهل ، فما أراه الا متورطا في هذا ، حيث اقحموه في شعر المراة الخنساء ، وما هو بقائل لهذا الشعر ، ان كان له وجود ، ثم يقول .

وبت اراقب الجوزاء حتى
تقارب من اوائلها الحدار

اصرف مقلتي في اثر قوم
تباينت البلاد بهم فغاروا

فهذا ماخوذ من قول الخنساء :

فبت ساهرة للنجم ارقبه
حتى اتى دون غور النجم استار

تبكي لصخر هي العبرى وقد ولهت
ودونه من جديد الترب استار

ثم يقول :

دعوتك يا كليب فلم تجبني
وكيف يجيبني البلد القفار

الى ان يقول :

لدى اوطان اروع لم يشنه
ولم يحدث له في الناس عار

فهذا ماخوذ من قولها :

يا صخر وراد ماء قد تناذره
أهل الموارد ما في ورده عار

على ان قوله : « وكيف يجيبني البلد القفار » يناسبه ايضا قولها السابق : « ودونه من جديد الترب استار »

ثم يقول :

ابت عيناي بعدك ان تكفا
كأن غضا القتاد لها شفار

وتقول الخنساء :

تبكي خناس فما تنفك ما عمرت
لها عليه رنين وهي مفتار

ويقول :

فلا تبعد فكل سوف يلقى
شعوبا يستدير بها المدار

وتقول الخنساء :

لا بد من ميتة في صرفها غير
والدهر في صرفه حول واطوار

ويلاحظ على بيت المهلهل ، انه استعمل تعبيرا للنساء في قوله : « فلا تبعد » قال شاعرهم :

ما كان ينفعني مقال نسائهم
وقتلت دون رجالها لا تبعد

فهذه العبارة تقولها ربة البيت لبعلها ، حين يودعها مسافرا ، وتظل هي في بيتها ، ثم صارت تستعمل حتى في السفرة النهائية كما يلاحظ على قوله « يستدير بها المدار » تعبيرا علميا ، اراد به ان يحل محل « والدهر في صرفه حول واطوار » فلا شك انه متاخر عن هذا والنتيجة ان هذه الابيات واضح فيها الاخذ من قصيدة الخنساء ، وهو اخذ لم يتورع حتى من المعاني والتعبيرات النسوية .

وهنالك قصيدة اخرى ، نجد لها اثرا في قصيدة المهلهل هذه ، وهي رائية الافوه الاودي التي مطلعها :
ان ترى راسي فيه قزع

وشواتي خلة فيه دوار
ففيها يقول مثلا :

بينما الناس على عليائها
اذ هووا في هوة منها فغاروا

انما نعمة قوم متعة
وحياة المرء ثوب مستعار

فيقول المهلهل :

يعيش المرء عند بني ابيه
ويوشك ان يصير بحيث صاروا

أرى طول الحياة وقد تولى
كما قد يسلب الشيء المعار

ويقول الافوه :

ترك الناس لنا أكتافهم
وتولوا لات لم يغن الفرار

فيقول المهلهل :

انفدو يا كليب معي اذا ما
جبان القوم انجاه القرار

والى جانبي هذين فهناك اخذ من غيرهما في قصائد اخرى ، مثل قوله في احداها :

نرمي الرماح بأيدينا فنوردها
بيضا ونصدرها حمرا اعاليها

فهذا ماخوذ من قول عمرو بن كلثوم :

بانا نورد الرايات بيضا
ونصدرهن حمرا قد روينا

وقوله في اخرى :

طفلة شنة المخلخل بيضا
ء لعوب لذيذة في العناق

فاذهبي ما اليك غير بعيد
لا يواتي العناق من في الوثاق

آخذا من قول الاعشى :

حرة طفلة الانامل ترتب
سهاما تكفه بخلال

فاذهبي ما اليك ادركني الحلـ
ـم عداني عن هيجكم اشغالي

وقوله :

حتى تلف كتيبة بكتيبة
ويحل اصرام على اصرام

حتى نرى غررا تجر وجمة
وعظام روس هشمت بعظام

آخذا من قول الفرار السلمي :

وكتيبة لبستها بكتيبة
حتى اذا التبست نفضت لها يدي

فتركتهم تقص الرماح ظهورهم
من بين منعفر وآخر مسند

وقوله من اخرى :

الا ابلغ بني بكر
رجالا من بني ذهل

بدائم قومكم بالفند
ر والعدوان والقتل

كاجرى رهط جساس
كحذو النعل بالنعل

فهذه الابيات ماخوذة من قول الفند الزماني :

صفحنا عن بني ذهل
وقلنا القوم اخوان

فلما صرح الشر
فأمسى وهو عريان

ولم يبق سوى العدوا
ن دناهم كما دانوا

ومثل قوله من اخرى :

بيس من عاش في الحياة شقيا
كاسف اللون هائما ملتاحا

آخذا من قول ابي نواس :

ليس من مات فاستراح بميت
انما الميت ميت الاحياء

انما الميت من يعيش كئيبا
كاسفا باله قليل الرجاء

اما كاسف اللون فمستحيل ان يكون هذا

من بدوي كالمهلهل

ومثل قوله فى اخرى :

وقفت على ثنتين احداهما دم
واخرى بها منا تحز الغلاصم

فما انت الا بين هاتين غائص
وكلاهما بحر وذو الغي نادم

فمنقصة في هذه ومذلة
وشر شمر بينكم متفاقم

آخذا من قول جعفر بن علبة :

فقالوا لنا ثنتان لا بد منهما
صدور رماح اشرعت او سلاسل

فقلنا لهم تلكم اذن بعد كرة
تغادر صرعى نوؤها متخاذل

وقول تابط شرا :

هما خطتان اما اسار ومنة
واما دم والقتل بالحر اجدر

ومثل قوله :

اكليب ان النار بعدك اخمدت
ونسيت بعدك طيبات المجلس

آخذا من قول عبد الله بن عمر العبلي :

اذا عن ذكرهم لم ينم
ابوك واوحش في المجلس

وغير الشعر فقد اخذ من القرآن فى قوله :

تكب القوم للاذقان صرعى
وتاخذ بالترائب والصدور

قال تعالى : « يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا » ويخرون للاذقان (*) يبكون . وقال تعالى : « يعرف المجرمون بسيماهم فيوخذ بالنواصي والاقدام » وقال : « من بين الصلب والترائب » ، فبعيد جدا ان يكون هذا غير متعمل فى البيت الواحد الذي جمع استعمالين قرآنيين وكلمة لغوية كذلك ، وقوله :

حتى يعض الشيخ من حسراته
مما يرى جزعا على الابهام

آخذا من قوله تعالى : « ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا »

وقوله :

ينوء بصدره والرمح فيه
ويخلجه خدب كالبعير

---

* لاحظوا فى هذا الاستعمال ان اللام بمعنى على ، وحاولوا ان يثبتوا ذلك ببيت ادعوه ـ منتحلين ـ لامريء القيس من قصيدته « قفا نبك »
فقالوا .

فاضحى يسح الماء حول كتيبة   يكب على الأذقان دوح الكنهبل

واترك للقاريء ان يتصور للادواح اذقانا .

آخذا من قوله تعالى : « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة » فهذا واضح من قوله : « ينوء بعندره .... كالبعير »

وهناك شواهد اخرى من نوع آخر، وهي ماوردت مخالفة للاستعمال العربي ، أو كانت غير معروفة في العربية ، يقول :

ورجعنا تجتنيء القنا في ضمر
مثل الذئاب سريعة الاقدام

فالمعروف فى العربية اجتنا عليه اي اكب عليه يقيه من مكروه ، ربما يتعرض له ، ويقول :

فازالهم عنا كليب بطعنة
في عمرو بابل من بني قحطان

فقوله عمر بابل غير معرف فى الانساب والعربية .

تطوان : محمد بن تاويت



سياسة المغرب الخارجية في عهد بني مرين

للأستاذ ابراهيم حركات

1) مع باقي اقطار المغرب العربي :

من الطبيعي ان تكون الصلات الثقافية والسياسية والاقتصادية مع الحفصيين وبني عبد الواد اوثق منها بالنسبة الى المغرب مع دول اخرى . وقد كان بنو عبد الواد دولة قوية يحسب لها المرينيون حسابها منذ البداية ، والواقع ان المنافسة بين الفريقين ترجع الى عهد قديم حتى ان عبد المومن قد اخضع المرينيين بفضل مساعدة بني عبد الواد ، مما جعل المرينيين يلتجئون الى الصحراء وينتظرون اول فرصة تسنح لهم حتى يزحفوا شرقا وشمالا لمجابهة بني عبد الواد والموحدين عند ضعفهم حتى اذا بدأ المرينيون يشكلون نواة الدولتهم كان بنو عبد الواد يساعدون الموحدين وهم في النزع الاخير من دولتهم ، على صد الزحف المريني . ومن اهم اسباب التوتر التي ظلت قائمة بين الجانبين التجاء بعض الثوار من هذا الفريق الى الآخر . وكان هدف المرينيين من بسط نفوذهم على المغرب الاوسط ، وضع حد لفتنة الاعراب وتوحيد السياسة والادارة في القطرين معا . وفي جميع الاحوال ظلت العلاقات الاقتصادية والثقافية اقوى ما تكون بين المغرب الاقصى والاوسط فكثير من علماء هذا القطر تنقلوا للتدريس والعمل بالقطر الآخر وبالعكس .

اما تدخل المغرب في افريقية فقد كان نتيجة لانضمام المغرب الاوسط والاقصى تحت حكم دولة واحدة هي الدولة المرينية ، ولم يكن ثمة من مبرر للتدخل افضل من قيام وزير الحفصيين ابن تافراكين بهذه البادرة فهو الذي شجع ابا الحسن على التدخل في افريقية ، ومع ذلك فقد احجم ابو الحسن عن هذا التدخل قبل حدوث ازمة ملكية نشأت بعد وفاة صهره ابي يحيى والواقع ان ابا الحسن قد احسن صنعا عندما صاهر العائلة الملكية بتونس فقد وطد بذلك العلاقات التقليدية بين المغربين الادنى والاقصى ، كما اتيحت الفرصة للعلماء الذين صحبهم الى افريقية عند فتحها ، حتى يطلعوا اخوانهم الافريقيين على ما وصلوا اليه من تقدم فكري ويتعرفوا هم بدورهم الى علم وافكار زملائهم بتلك الديار . وقد جدد فكرة توحيد المغرب العربي ابو عنان الذي لم يجد تضامنا يذكر ، من وجوه دولته في سبيل تحقيق هذه الخطة . وحاول ابو فارس الجوطي بعد ان بلغت الدولة المرينية دور الضعف والانحطاط ان يحقق الفكرة نفسها كما فعل اجداده مع الملوك الاولين من بني مرين ولكنه اكتفى بسيطرة رمزية بعد ان بدأ تدخله في المغرب بشكل مباشر . ومن ثم ففكرة توحيد المغرب العربي لم تكن تراود احلام ملوك المغرب الاقصى فقط ، بل كانت مبدأ لاكثر الدول التي حكمت في مختلف ممالك المغرب العربي .

اما عن العلاقات الثقافية مع المغربين الاوسط والادنى فقد كان كثير من طلبة العلم ينتقلون للدراسة في هذا القطر او ذاك ، كما تنقل كثير من علماء الاقطار الثلاثة للتدريس ، فاحمد بن عيسى القاضي درس عليه عالم تلمسان ابو العباس الغبريني ، وكانت وفاته بتونس سنة 682 هـ واحمد بن مرزوق الخطيب لقي حظوة عظيمة في بلاط المرينيين وهو عالم تلمساني توفي سنة 781 هـ وابو محمد عبد الله المرجاني كان من اساتذة محمد بن الحاج الفاسي صاحب المدخل ومحمد بن سليمان السطي من قبيلة اوربة اخذ عنه ابن عرفة من علماء افريقية والمقري وابن مرزوق من علماء تلمسان ، وقد توفي غريقا مع حاشية ابي الحسن ، والفقيه محمد الحسني السبتي المتوفى سنة 760 هـ من اساتذة ابن

زمرك الاندلسي وابن خلدون وغيرهما ، وابن عبد الله العبدري صاحب الرحلة درس على عدد من علماء المغرب الاوسط والادنى كابن عبد المعطي استاذه في الادب وهكذا فان سلسلة علماء وادباء المغرب العربي الذين تنقلوا فيما بين اجزائه لتلقي العلم او تدريسه يصعب ضبطها .

2) مع الاندلس :

بدا تدخل المرينيين في الاندلس سواء في الميدانين السياسي او العسكري بشكل مباشر منذ عهد يعقوب حيث عقد الصلح مع المسيحيين مرتين بطلب منهم على ان يعقوب لم يشرع في تدخله بالاندلس قبل ان يستصرخه على النصارى بنو الاحمر انفسهم سنة 573 . ولا يمكن اثبات ما اذا كان يعقوب يرغب في مجرد توسيع مملكته بهذا التدخل ، على ان احدا من ملوك بني مرين لم يفكر في اقصاء بني الاحمر عن الحكم ، ولو لم يكن لعمل يعقوب بالاندلس من نتيجة اكثر من ايقاف زحف النصارى لامد طويل على الاقل لكان ذلك كافيا في حد ذاته من طرف دولة كانت لا تزال في نشاتها ، اما ابو يعقوب فقد سلم الى بني الاحمر كل الاراضي التي كانت تحت حكم والده باستثناء رندة والجزيرة وطريف ، وفي الواقع رد ملك غرناطة على هذا الجميل بان تعاون مع القشتاليين على الاستيلاء على طريف سنة 691 هـ .

ومنذ عهد يعقوب انتقل بنو ادريس بن عبد الحق الى الاندلس ، فرارا من بطشه ، واصبح لهم نفوذ ظاهر في تلك الديار منذ عهد يوسف وشجعهم على تزعم المرينيين هناك ملوك بني الاحمر الذين فوضوا الزعامة الرسمية اليهم ابتداء من عبد الحق بن عثمان ، وكانوا يتولونها بظهير يوقعه ابن الاحمر (*) ويصادق عليه عادة سلطان المغرب ، واشتهر منهم عثمان بن ابي العلاء الذي عينه محمد بن الاحمر على سبتة اغاظة لبني مرين وكان الملك الغرناطي قد استولى عليها في عهد يوسف الذي عجز عن استرجاعها ثم ادريس بن عثمان الذي قتل خنقا في سجن مكناس سنة 770 هـ على ان المرينيين كان لهم دائما ممثل حكومي في الاندلس ، ويختار عادة من الشخصيات البارزة في الدولة ، ومنذ عهد احمد بن ابي سالم بدأ سلطان غرناطة يباشر شؤون الغزاة بنفسه ، وبذلك سقطت وظيفة شيخ الغزاة التي كان يتولاها بنو ادريس المرينيون .

ومن البديهي ان تظل الصلات بين المغرب والاندلس في مختلف الميادين وثيقة كذي قبل خصوصا في الميدان الثقافي ، وهكذا فان مالك بن المرحل درس على عدد من علماء الاندلس من بينهم ابو علي الشلوبي كما درس ابن الخطيب على جملة من علماء المغرب كالقاضي حسن بن يوسف السبتي (*) وعبد المهيمن الحضرمي الذي استكمل هو نفسه ثقافته بالاندلس على يد علماء وادباء كابي جعفر بن الزبير وابي اسحاق الغافقي .

3) مع السودان :

كانت علاقة المغرب بالسودان في عهد المرينيين تتسم بطابع الود والمجاملة ، ففي عهد السلطان ابي سعيد عثمان حج ملك مالي كونكو موسى ثم رجع من حجه سنة 725 هـ (1325م) فمر بالمغرب وصحب معه الشاعر الساحلي الغرناطي الاصل ، وكان فنانا معماريا مشهورا وكانت مساكن بلاد مالي يومئذ عبارة عن توابل من الطين وسقوفها من القش فبنى له جامعا بمحراب هرمي الشكل وكان بناؤه من الآجر المجفف بواسطة الشمس وكان اول بناء اثري من نوعه ، وقد ظل هذا النموذج السوداني منتشرا حتى الآن (*) .

ولما فتح ابو الحسن تلمسان ارسل كونكو موسى وفدا لتهنئته يصحبه ترجمان من الملثمين المجاورين لمالي (*) واكرم ابو الحسن وفادة السفارة المالية واعد لسلطان مالي هدية من تحف المغرب مما كان في ملكه الخاص ثم بعث بدوره وفدا يحمل هذه الهدية ، ومن بينه مولاه عنبر الخصي وكاتب الديوان ابو طالب ابن

---

* نفح الطيب ج 1 ص 427
* نفح الطيب ج 7 ص 156
* هبرين 1924
والناصري ج 3 ص 152
* ابن خلدون ج 7 ص 554

محمد بن ابي مدين وصحب الوفد عدد من اعراب معقل الذين كانوا يعيشون في الصحـــراء .

ولما وصلت هدية ابي الحسن الى مالي انشغــل البلاط السوداني بفتنة داخلية حتى تولى منسا جاطـة فرد على هدية المغرب باخرى وكــان ضمنهــا زرافـة جميلة ، وقد وصلت هذه الهدية في عهد السلطـان ابي سالم سنة 762 هـ فجلس بمجلس العـرض وامـر ان يحتفل سكان العاصمة بقدوم الوفد ، ثم نادى الناس في الخروج الى الصحراء لمشاهدة الزرافة ، وقام عدد من الشعراء بانشاد قصائد في مدح السلطان والتنويه بهذه المناسبة وكان الوفد يحثو التراب على راســه تحية السلطان وتقليدا لهم اذ ذاك ، واقاموا في ضيافة ملـك المغرب مدة طويلة ثم رجعوا عن طريق مراكش والسوس الى بلادهـم (*) .

وفي اواخر عهد ابي زيان الاول التجأ الامير عبـد الحليم الثائر بسجلماسة الى ملك مالي دياتـا سنـة 1366 م ولما كان المرينيون قد بدأت تضعف دولتهـم يومئذ فانهم لم يقوموا برد فعل ضد مالي بسبب لجوء هذا الامير اليهم ، لذلك ظل حسن الجوار مستمرا بين الدولتيـن .

4) مـــع المشـــرق :

كانت مصر محطا للحجاج الافارقة القادمين مـن الديار المقدسة واليها ، وكان المغرب يوفد الى البقـاع المقدسة وفدا رسميا يصحب ركب الحجاج . وفي عهد السلطان ابي يعقوب تشكل اول وفد رسمي في الدولـة المرينية (*) وامر السلطان بانتساخ مصحف رائــق الصنعة كما يقول ابن خلدون « واستكثر فيه من مغالق الذهب المنظم بخرزات الدر والياقـوت » وبعث بهـذا الوفد سنة 703 يصحب المصحف المذكـور مع هدايا قيمة ضمنها الخيل العراب و 400 من المطايا ، وصحب الوفد قاض شهير هو محمد بن زغبوش ودليل يدعـى ابا زيد الغفائري وتوجه الوفد الى مكة لتسليم المصحف الى شريفها لبيدة بن ابي نمي اما باقي الهدية فقد وجه الى السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذي رد عليهـا بهدية اخرى ثمينة ضمنها ثيابا وفيلا وزرافة ، وتراس وفد الامير التليلي الذي وصل الى المغرب سنة 706 هـ وكان يصحبه عدد من افراد الترك ، وقد استقبل الوفد المصري بالمنصـورة حيث حظـي بتكريـم السلطـان الذي لم يلبث ان توفي فتولى خلفه ابو ثابت البر بهـم واحسن صلتهم حتـى اذا كانـوا عائديـن سنة 708 اعترضهم اعراب بني حسن ونهبوا ما كان معهم بدسيسة من ابي حمو صاحب تلمسان وقد ظل المغرب محافظا على حسن صلاته بالمشرق رغم توقف مصر مدة طويلة عن ارسال وفودها الى المغرب بسبب ما لحـق وفـد الناصر من اهانة .

على ان افضل مرحلة مرت بها العلاقـات بيـن المشرق والمغرب هي عهد ابي الحسن الذي تبادل مـع ملوك الشرق سفارات عديدة ، وقد ذكرت بايجاز امـر هذه السفارات في اخبار ابي الحسن ، وكانت اولاهـا سفارة ابي الحسن سنة 736 التي تراسها ابو عبد الله محمد بن الجراح وكان القصد منها اخبار الملك الناصر بعزم والدة ابي الحسن على الحج واطلاعه على انتصاراته وجهاده بالشمال الافريقي والاندلس .

وفي سنة 738 توجهت حظية والد ابـي الحسن الى الحج (*) وصحبت معها هدية جليلة قال عنهـا المقريزي في السلوك : نزل لحملها من الاصطبل السلطاني (بمصر) ثلاثون قطارا من بغال النقل سوى الجمال وكان ضمنها اربعمائة فـرس وسيف ذهب مرصـع ولجـم مسقطة بالذهب والفضة ، وقدرت هذه الهدية بما يزيد على مائة الف دينار . ومـن الطريـف ان ننقـل بعض ما اورد المقريزي عن ضيافة ملك مصـر للحرة ومـن صحبها من وفد السلطان ابن الحسن فقد « كان مرتبهم كل يوم عدة ثلاثين راسا من الغنم ونصـف اردب ارز وقنطار حب رمان وربع قنطار سكر وثمان فانوسيات شمع وتوابل الطعام وحمل اليها برسم النفقة مبلـغ خمسـة وسبعين الف درهم واجرة حمل اثقالهم مبلـغ ستين الف درهم الخ ... »

وتقول رسالة الناصر الى ابي الحسن في موضوع هذا الاستقبال :

---

* ابن خلدون ج 7 ص 644
* ابن خلدون ج 7 ص 468
* النفح ج 6 ص 138

« فقد استقبلناهم على بعد بالاكرام واحللناهم من القرب في أعلى مقام وصرفنا الى تلقائهم وجه الاقبال والاهتمام وعرفنا حقهم اهل الاسلام ونشرنا لهم بفنائنا الاعلام ويسرنا لهم باعتنائنا كل مرام وامرنا بتسهيل طريقهم وتوصيل البر لفريقهم .... »

ثم يقول بعد كلام آخر :

« وشوهد من تعظيمنا لهم ما يحسدهم عليه ملوك الزمان بكل مكان وكتبنا على ايديهم الى امراء الاشراف بالنهوض في حقهم والوقوف ... وكذلك كتبنا الى امراء المدينة المشرفة الخ .. »

وقد رجع هذا الوفد بهدية من الناصر الى ابي الحسن وضمنها اقمشة من الحرير وخيمة عظيمة صنعت بالشام وتحتوي على مختلف المرافق من غرف للنوم وابراج للاشراف على الطرقات ، وتمثال مسجد بمحرابه ومئذنته وخيمة اخرى تظل اكثر من خمسمائة فارس (*) .

وفي سنة 740 وجه ابو الحسن مصحفا ثانيا وقفه على قراء المدينة المنورة ، وفي شعبان 745 وجه ابو الحسن الى الصالح بن الناصر سفارة جديدة تصحب ركب الحاج مع الاميرة مريم اخت ابي الحسن ويرافقها الكاتب ابو الفضل بن ابي مدين وكان ضمن رسالة ابي الحسن الى الملك الصالح تعزيته في والده الناصر وطلب تدخل الملك المصري من اجل مراقبة الاوقاف التي وقفها ابو الحسن على المصحفين اللذين حبسهما على الحرمين الشريفين ، كما تعرضت الرسالة لموضوع جهاده في الاندلس واحتلال النصارى للجزيرة الخضراء ثم يهنيء ابو الحسن زميله الشرقي بتولي الملك ومما جاء في هذه الرسالة الطويلة قوله :

« وعند عودنا من تلك المحاولة تيسر الركب الحجازي موجها الى هنا لكم رواحله فاصدرنا اليكم هذا الخطاب اصدار الود الخالص والحب اللباب وعندنا لكم ما عند احنى الاباء واعتقادنا فيكم في ذات الله لا يخشى جديده من البلاء وما لكم من غرض بهذه الانحاء فموفى قصده على اكمل الاهواء موالى تتميمه على اجمل الآراء » .

وجاء في جواب الملك الصالح الذي كتب في رمضان 745 من انشاء خليل الصفدي قوله :

« واما ما وصفتموه من امر الجزيرة الخضراء وما لا قاه اهلها ومني به من الكفار حزنها وسهلها فانه شق علينا سماعه الذي الكى اهل الايمان وعدد به نوب الزمان كل قلب بانا مل الخفقان وطالما قرنتم بالظفر ورزقتم النصر على عدوكم يجر ذيل الهزيمة وفر ولكن الحروب سجال وكل زمان لدوائه دولة ولرجاله رجال ولو امكنت المساعدة لطارت اليكم عقبان الجياد المسومة وسالت على عدوكم اباطحهم بقسينا المعوجة وسهامنا المقومة (*) .

وتتناول رسالة الصالح فقرات خطاب ابي الحسن بالجواب واحدة تلو الاخرى وتتخلل عباراتها عواطف الود والاخاء شان رسالة ابي الحسن ايضا .

وفي سنة 747 وجه ابو الحسن ركبا آخر مع سفارة الى المشرق وكان قاضي المركب هو تقي الدين عبد الله الهرغي (*) ووجه السلطان المغربي مع هذا الوفد مصحفا ثالثا الى بيت المقدس وهو يتالف من ثلاثين جزءا وقد كتبه بخط يده كما اجرى اوقافا وارزاقا على حفاظه والساهرين عليه وهذا المصحف موجود حتى اليوم ببيت المقدس وهو في مجلدات ضخام ومكتوب بحروف كبيرة بيد انه لم يتم نسخه كله بخط ابي الحسن .

وفي سنة 479 وجه ابو الحسن سفارة الى الحسن الناصري ملك مصر آنذاك يطلب منه اعتقال ابن تافراجين وزير الحفصيين وكان قد ظاهر العرب على ابي الحسن عند دخوله الى افريقية .

ولما كانت سنة 793 زار احد امراء معقل واسمه يوسف بن علي ملك مصر في ذلك العهد وهو الظاهر برقوق فتدخل ابن خلدون الذي كان في بلاطه ليبعث معه هدية الى السلطان ابي العباس احمد بن ابي سالم (*) فاصحبه قماشا وطيبا وقسيا وطلب منه

* التعريب بابن خلدون ملحق ج 7 ص 1168
* نفح الطيب ج 6 ص 120 و 129
* نفح الطيب ج 6 ص 135
* ابن خلدون مجلد 7 ص 1170
* مجلة تطوان ع 1 ص 139

ان ينتقي له خيولا عرابا من المغرب وكعادة ملوك بني مرين فقد جلس ابو العباس في مجلس العرض لاستقبال هدية الظاهر وعرضها بمحضر افراد الشعب وبدا بدوره يهيء هدية اخرى ضمنها الجياد المطلوبة ليحملها يوسف بن علي المذكور الى السلطان برقوق بيد ان المنية عاجلته فبعث الظاهر برقوق رسولا تركيا هو قطلو بغا الى كل من ملك تونس وتلمسان والمغرب سنة 799 وحمله الى كل منهم خطابا واستقبله السلطان ابو عامر المريني بالحفاوة واستكمل الهدية التي كان قد اعدها ابو العباس ثم سفرها مع المبعوث التركي .

وفيما يخص العلاقات الثقافية فقد ظل التبادل العلمي قائما بين المرينيين ودول المشرق ، وهكذا فان احمد بن عيسى الغماري تابع دراسته بالمشرق على يد علماء اجلاء كالعز بن عبد السلام ، واتصل ابن بطوطة خلال رحلته الى المشرق بعدد من شيوخه وعلمائه ، كما ذاكر العبدري خلال تجواله بالمشرق ايضا كثيرا من علمائه كزين الدين المالكي والمحدث العراقي وكان لابي عبد الله محمد بن الحاج الفاسي صيت عظيم بمصر حيث توافد عليه طلابها لتلقي العلم عنه كما كون مدرسة دينية مذهبها كما يقول الاستاذ كنون (*) « ان تعتني باعمال القلوب اشد العناية وتعمل على تنمية الاجور بالنيات الحسنة فضلا عن ملازمة سبيل السنة في الحركات والسكنات واسقاط الدعوة بالمرة وتحكيم الشرع في الظواهر والبواطن وعدم الاغترار بلوائح الغيوب او الكرامات » .

5) مع الدول المسيحية :

كان للدول المسيحية علاقات متنوعة مع دولة بني مرين ولم تكن الحروب التي جرت بين المرينيين ونصارى اسبانيا لتمنع من انشاء روابط سليمة بين الجانبين وقد عاش في المغرب كثير من النصارى من مختلف بلاد اروبا منذ عهد الموحدين على الخصوص ثم تكاثرت جالياتهم في عهد بني مرين بمختلف نواحي المغرب فكان خطرهم بداخل البلاد اكثر من خطرهم الخارجي ولا ادل على ذلك من ثورة الاسبان بسلا في عهد يعقوب بن عبد الحق سنة 658 هـ ثم النفوذ الذي بلغه جيشهم لدى الدولة ؛ وفي عهد هذا السلطان انعقد الصلح مرتين بين المغرب وقشتالة سنة 676 و 681 ثم انعقد للمرة الثانية مع سانشو سنة 684 في عهد يعقوب ايضا ومع ان الحرب استؤنفت بعد ذلك بين المرينيين ونصارى اسبانيا فلم يمنع ذلك من التعامل بين الجانبين في الميدان الاقتصادي والتجاري .

وكان لجمهوريات ايطاليا صلات تجارية واقتصادية وطيدة مع المغرب وقد اهدى بعض الجنويين الى السلطان يوسف حوالي سنة 692 هدية قيمة من بينها شجرة مموهة بالذهب اهدي مثلها للمتوكل العباسي وصنعت الطيار تصوت عليها بحركات هندسية (*) .

وكان لابي سعيد عثمان اتصالات دبلوماسية بفرناندو ملك اراغون (*) اما ابو عنان فقد اقترح على ملك البرتغال ان يعقدا حلفا عسكريا ضد قشتالة وان يجتمع اسطولهما ببحر الزقاق (البحر الابيض المتوسط) واهدى اليه ابو عنان كثيرا من تحف المغرب ومصنوعاته ومركبا ذهبيا انيقا بيد ان الهدية لم تبلغ الى صاحبها حيث هلكت بتلمسان (*) .

وللمغرب علاقة قديمة مع فرنسا واقدم المستندات التي عثر عليها بهذا الصدد ترجع الى القرن الثاني عشر م وقد بدات محاولة عقد صلات تجارية لمرسيليا وغيرها من اقطاعيات فرنسا مع المغرب منذ عهد علي بن يوسف . ففي سنة 1138 عقدت مرسيليا مع جمهورية جنوة معاهدة تجارية ، ووعد المرسيليون الجنويين ان يؤدوا لهم تعويضات لمدة عشر سنوات عن كل الخسائر التي قد تحل بهم اذا هم تمكنوا من عقد معاهدة سلمية لصالحهم مع علي بن يوسف على ان يلتزموا هم من جانبهم بمنع قراصنتهم من مهاجمة السفن المغربية التي تقترب من اقليمهم .

وخلال القرن الثالث عشر كان ميناء سبتة محط انظار مختلف جمهوريات ودول اروبا كالجنويين والبنادقة والمرسيليين والمونتبوليين ؛ وكان المرجان وسمك الطون يجذبان الصيادين الاجانب الذين كانوا ياتون لاستيراد بضائع مختلفة من المغرب كالصوف والخرفان والخيل والجلود والزرابي والاحزمة المزخرفة والقطن والشمع بينما يصدرون الى المغرب الحرير

---

* محمد بن الحاج الفاسي من سلسلة الاستاذ عبد الله كنون ص 10
* الاستقصاء ج 3 ص 74
* هسبريس 3 سنة 1960
* ابن خلدون ج 7 ص 633

والكتان والسلاح احيانا والخمر والخردوات والملف وكان للمرسيليين فندق خاص بهم في سبتة خلال هذا القرن .

وقد عمل يعقوب المنصور المريني على عقد حلف مع فيليب الثالث الملقب بالجسور اذ في ايام المنصور ثار دون سانشو (سانجة) على والده الفونس العاشر الذي طلب مساعدة خصمه السابق المنصور وكان يومئذ بالجزيرة الخضراء وبالفعل ساعده المنصور على استرجاع عدة مدن كان ولده قد احتلها . وحينئذ وجه المنصور خطابا الى فيليب سنة 1282 م يطلب منه ان يساعد بدوره الفونس العاشر وذلك لصالح أبناء اخته ورثة عرش قشتالة ، كما يذكره الخطاب بضرورة التعاون والتآزر وانه ساعد الفونس العاشر من اجل الواجب رغم اختلاف دينهما لا من اجل مصالح سرية . على ان المصادر العربية القليلة لا تذكر شيئا عن هذه الرسالة التي حفظ نصها العربي وعرض سنة 1946 في معرض ديبلوماسي بفرنسا ، وقد كتبت سنة 681 وتقع في اربع صفحات من القطع الكبير .

وفي عهد ابي الحسن سنة 1339 عقد المغرب معاهدة سياسية تجارية في تلمسان مع وفد ملك ميورقة وكذا مع ممثلي ملكي مونتبولي ورسيون .

وينص هذا الاتفاق على وجوب عدم التعرض بسوء من الجانبين لرعايا الطرفين وللبواخر الغريقة التي يملكها احد الفريقين ، كما سمح لرعايا ميورقة بالتجارة في المغرب ولكن منع عليهم ان يصدروا منه القمح والسلاح والخيل والجلود المملحة والمدبوغة .

وقد ضعفت العلاقات الاقتصادية مع فرنسا في النصف الثاني من القرن 14 م ثم استؤنفت في اواخره وخلال القرن الخامس عشر .

كما عثر على نص رسالة وجهها شارل السابع الى ملوك وامراء المغرب وبجاية وتونس ووهران وكان سلطان المغرب يومئذ عبد الحق آخر ملوك بني مرين ولم يضبط تاريخ هذه الرسالة الذي يرجح انه كان سنة 1456 وهي تطلب من سلطان المغرب عقد صلات تجارية وان يسمح للموانيء المغربية باستقبال البواخر الفرنسية ويضمن سلامة الرعايا الفرنسيين ، كما يضمن شارل للمغرب نفس هذه الامتيازات .

وتعتبر الرسالة المذكورة اول خطاب موجه من ملك عام لفرنسا الى ملك مغربي ، بشأن صلات بين بلديهما .

اكادير : ابراهيم حركات



الأصول القديمة
لعلاقات المغرب بافريقيا

للأستاذ محمد احمد الغربي

لم يعد مقبولا فى نطاق المباحث التاريخية الزعم بان هناك عالمين فى افريقيا احدهما شمال الصحراء ينتسب للبحر الابيض المتوسط ويرتبط باروبا منذ اعرق الازمنة ، وثانيهما جنوب الصحراء انطوى على نفسه داخل الغابات الكثيفة ، والضباب الدائم وانزوى فى الادغال والمستنقعات مديرا ظهره للشمال والغرب معا . وقد يكون ذلك الزعم له ما يبرره اذا تعلق الامر بالحدود الاصطناعية التي تبتدىء حيث يبتدىء نفوذ رجل ابيض وتنتهي حيث يبتدىء حكم رجل ابيض آخر ، او اذا تعلق الامر بالاتحادات العضوية التي عرفتها الآونة الاخيرة بعد أن ارتقت بعض الدول الافريقية الى مراتب السيادة القومية . ولكن اذا اراد اي كان ان يكون ذلك التمايز هو القاعدة لا فى النطاق السياسي الحاضر ولكن فى مجال التطور التاريخي فان الامر لن يعدو أن يكون ستر الشمس بالغربال أو وضع حجارات نخرة فى طريق تيار جارف .

ويمكن ان نسمح لانفسنا بارجاع علاقة المغرب جباله وصحرائه) بافريقيا الغربية الى عهود اعمار المغرب والسودان نفسيهما بالسكان . فهناك نظريتان ايطنولوجيتان) تتغلبان على جميع النظريات الجغرافية الاخرى ، احداهما تتعلق باصل سكان المغرب الاقدمين اي البربر والثانية باصل سكان السودان الاقدمين اى البانتو .

ويوجد شبه اتفاق بين علماء الاجناس على ان سكان افريقيا الغربية الاقدمين كانوا يقطنون اول الامر – وربما كان ذلك منذ اربعة آلاف سنة – فى افريقيا الشرقية التي هي مصدر كل اجناس افريقيا ، وكانوا يقتاتون من ثمار الغابة التي يقطنونها ولم يكونوا يعرفون أساليب الزراعة لان اوانيهم كانت لا تزيد على قطع من الصوان المنحوت . وبعد نحو الف سنة من ذلك ، قدمت هجرات البانتو الجدد الى الصومال عن طريق البحر

ويظن ان مصدر تلك الهجرة كان هو جنوب غرب الهند لان بعض القبائل الهندية التي تعيش غرب (قدراس) فى الهند تشبه تلك الاقوام فى صفاتها الجسمانية والاجتماعية وعاداتها وتدعى القبائل الدراوية) . واستقر البانتو الجدد فى جنوب الجزيرة العربية ثم انتقلوا الى الصومال عن طريق باب المندب، وهناك قاموا بمحاربة ومطاردة سكان تلك الجهات وكانوا على نوعين : البانتو القدماء واتجهوا الى افريقيا الغربية والبيغمة الاقزام وقد توغلوا فى غابات الكونغو حيث لا زالوا يعيشون الى يومنا هذا .

وقد كان لاحتكاك البانتو الجدد بالاقوام التي كانت تعيش فى مهرة واليمن طيلة سنوات عديدة قبل اهتدائهم الى افريقيا آثار مهمة على سكان شرق افريقيا تظهر الى حد اليوم فى كينيا والحبشة ، وبصفة خاصة على البانتو القدماء الذين تأثروا بعادات الاسياد الجدد اثناء ما كانوا يعملون عندهم ويحرثون لهم اراضيهم .

وفى اثناء ذلك حدث فى بلاد اليمن ان سد مارب اطاحت به مياه الفيضانات فانطمست جنتا اليمين والشمال وباتت القبائل اليمنية الحميرية تفكر فى هجرة بلادها والانتشار فى بلاد الله الواسعة ، فقامت هجرتان يمنيتان احداهما سلكت الطريق التجاري القديم عبر عسير وجبال الحجاز وصحراء الشام واتجهت الى مصر ، من حيث دخلت الى المغرب واعمرت جباله وبطاحه وسهوله ، اما الثانية فانها اخذت الطريق التاريخي للهجرات البشرية فدفعت بمراكبها فى باب المندب ودخلت الى الحبشة واستقرت هناك ردحا من الزمن ثم انتقلت الى شمال السودان الحالي وقطنت وادي (الحلفا) ، ويظن انها قد استوطنت هناك طويلا لانه لا يمكن لحد اليوم التفريق بين بعض برابرة المغرب وبين سكان النوبية فى اقصى صعيد مصر . ونتيجة

لاحداث تاريخية لا محل للتطويل فيها هنا ارتحل هؤلاء الحميريون الى بلاد التشادو النيجر وبعدها شقــوا طريقهم نحو المغرب الاقصى وغرب الجزائر .

واذا اردنا ان نقسم الى يومنا هذا سكان المغرب الاولين او سكان التشاد مثلا فاننا سنجد عنصرين رئيسيين وذلك تبعا للتغيرات الديموغرافية التاريخية.

فبرابرة المغرب ينقسمون من حيث صفاتهم الجسمانية وحتى الاجتماعية الى قسمين : (النــوع الاول مائل الى الصفات السوداء والثاني الى الصفات الاقل دكنــة .)

اما سكان تشاد ــ الذين اخذناهم كمثال على التشابه والاحتكاك فنجدهم يتكونون من صنفين مختلفين كذلك صنف يعيش حول مدينة فورلامي وله كل صفات البربر السمر وهؤلاء هم ولا شك احفاد من تخلف عن الهجرة الى المغرب منذ الفين وخمسمائة سنة تقريبا ؛ وصنف اسود البشرة افريقي اللمحات وهو الذي رحل من افريقيا الشرقية قبل ذلك .

اننا لا نسوق هذه الحقائق العلمية التاريخية لملء الوقت ولا نرفه على القارىء بهذه الاخبار التي قد تشبه بطرافتها وقائع الاساطير ، وانما نأتي بها من اعماق التاريخ وغابر الزمن حتى نتمكن من وضع نقطة تقريبية لبداية الاتصال والالتحام بين شمال القارة الافريقية وغربها . فالامر كما ترى لا يتصل بمعاهدة ولا بسياسة ولا باقتصاد ولكنه تباشر بشري ولحمة دموية لا تنفصم بين ما يسمونها شعوبا بيضاء حول حوض البحر المتوسط ؛ وشعوبا سوداء جنوب الاقليم الموريطاني . ان ذلك التواصل لم ينتج عنه تقارب من العادات ولا ادخال بعض الاساليب الحضارية وايقاد النار واتخاذ الادوات الحديدية من حجارة البوكسيت المعدنية الموجودة في السودان ، ولا تلقين اللهجة الحميرية للافارقة ولكنه نتج عنه فوق ذلك تداخل دموي وتغير فيزيولوجي ، فلم يعد الرجل اليمني ــ قبل ان يدخل الى المغرب ــ رقيق الشفاه اشقر الشعر ازرق العينين رشيق القامة ؛ كما ان الرجل التشادي او المالي مالت تقاسيمه الى التغيير واصبح خاضعا لتبديل يجب ان نسميه هنا (الافرقة) .

صحيح ان العرب اليمنيين الاقدمين المعروفين اليوم بالبربر قد وجدوا كل صعوبة في التلاؤم مع طبيعة الغاب والمستنقعات والاقطار الدائمة الرطوبة الشديدة، ووجدوا كذلك ان دوابهم ستكون في خطر دائم من لسعات ذبابة (تسي تسي) التي تنميها وتجعل حدا لقدرتها على العمل والجر ؛ ولهذا فضل من بقي منهم في افريقيا الغربية ان ينحاز الى الجبال او الى الصحراء ، فالناحية الاولى تشابه طبيعة اليمن العليا حيث تخف وطأة المناخ وتمكن زراعة الارض ، والناحية الثانية تحاكي طبيعة اليمن المنخفضة حيث يجد العربي الظاعن تجاوبا مع هذه الرمال ويتضاعف نشاطه للتنقل والكد من اجل الحصول على العشب والماء ومن اجل ذلك نجد كل الجبال الهامة من شمال غرب افريقيا (كتيستي والعير في شمال التشاد والهجار في مالـي) مسكونة بعناصر حميرية قديمة تعتبر اليوم احدى فروع صنهاجـة .

ان فكرة الافريقيتين تسقط ولا شك امام هذه الحقائق التي ننقل اغلبها عن المؤلفين الاجانب وبعضها عن ابن خلدون ، واذا استطعنا ان نصل الى هدفنــا فنحن نجد ان كلمة (علاقات) غير كافية للتعبير عن وحدة الشعوب الافريقية على الرغم من عامل المناخ الذي يبدل الصفات الجسمانية .

حـادث اغتيال يقوي العلاقـات

ان انكماش الامبراطوريات المغربية وانصرامها عن اهتمامها بما وراء حدودها الجنوبية التي كانت تمر بخط تقريبي يبتديء من ساحل البحر بالقرب من مصب نهر السينغال الى الشرق واتجاهها الى المشاغل الخارجية في الاندلس والمغرب العربي ؛ ان ذلك الانكماش والانصراف لم يقف دون استمرار الصلات التجارية والدينية بين الشمال الافريقي والغرب الافريقي ، فالفترة الانقطاعية ــ كما يسميها بعض المؤرخين ــ سمحت للاسلام بأن ينتشر عن طريق الاقناع والشرح لا بوسائل الغزو والفتح . وكان هناك الكثير من الدعاة المغاربة والتونسيين يتجشمون صعاب الطريق ويطوون المراحل الى حيث يجتمعون بالقبائل ؛ وهناك تقدير بان ثلاثة ارباع سكان الغرب الافريقي دخلوا الى الاسلام في الفترة المتراوحة بين مقتل ابي بكر بن عمر في امارة التكانت عام 1085 م وبين مجيء القائد جوذر باشا على راس جيش السعديين .

وكانت حادثة مقتل ابي بكر بن عمر في حد ذاتها دافعا بعجلة الاسلام وعامل تراحم وتآلف بين المغاربة والسودانيين فقد ارسل احد زعماء قبائل (الموسي) التي كانت توجد في الداهومي الجنوبية بعض اتباعه الى التكانت ومعه السحرة والادلاء ليقتل الزعيم الابيض

الذي اتى يعقده تسخر بالسحر وقوى الطبيعة ونادى بجمع من يوافقه ويؤمن بافكاره فى جبهة قوية لمحاربة القبائل الاخرى . ووصل الشخص الى حيث كان أبو بكر يصلي بمكان يدعى (المقاسم) على بعد خمسة وخمسين كلمترا من مدينة تجكجة عاصمة التكانت ، وسدد الى ظهره سهما مسموما ارداه شهيدا .

فتلك الحادثة آثارت ثائرة القبائل السوداء التي كانت قد دخلت الاسلام على يد هذا الامير المرابطي ، فقامت تطالب بدمه واشترطت ان تفقأ عيني جميع أولاد زعيم قبيلة الموسى ، ولما كان ذلك الشرط لم يقبل من سيدة قبائل الداهومي فان الحرب قد اشتعلت بين الوثنيين والمسلميين ولم تلبث القبائل التي حالفت قبيلة (ساراكولا) المسلمة المطالبة بدم ابي بكر ان اسلمت بكيفية مباشرة واصبحت قوة جديدة للاسلام بافريقيا الغربية والمراحل التي اجتازتها الدعوة – التي هي وجه غير مباشر للصلات بين المغرب وافريقيا – يشرحها هوبرديشان الذي كان حاكما فى جابوتي وساحل العاج والسنغال والذي بدا حياته مدرسا بالقسم الثانوي فى الدار البيضاء حيث يقول لم تقف دعوة المرابطين عند اعتناق قبائل (الساراكولا) عقيدة الاسلام ولكنها تخطتها حتى بعد انتهاء السلطة السياسية للمرابطين فى المغرب والصحراء وافريقيا .

وقد حدث – يقول دشاد – ان اعتنق امير القبائل الماندانج الدين الاسلامي ، فرارا من ثورة شعبه عليه عندما فشل فى انزال المطر بارضه واسس احد خلفائه (سوندياتاكيتا) فى القرن الثالث عشر امبراطورية (مالي) التي امتدت الى أعالي النيجر ، فاصبحت مملكة غانة خاضعة له . وخلف سوندياتا هذا (مانساوله) ولقب بالملك الاحمر ، وقد ادى مناسك الحج فى مكة . والواقع ان بلاد السودان تمتد فى قلب افريقيا دون أن تعترضها حواجز طبيعية . وبها من النبات والسكان ما يسهل للمسافرين التزود بالمؤونة والهدايا والاعوان واجتيازها فى غير عناء . وقد كانت هذه الامكانيات فى حوزة ملوك الماندانج ، اذ كانت عندهم مناجم التبر التي استغلوها فى بامبوك حتى ان احدهم وهو (جونجوموسى) لما خرج ليؤدي فريضة الحج فى القرن الرابع عشر عن طريق ساحل البحر الابيض المتوسط ، اظهر من ابهة الملك والبذخ ما بهر اعين العرب فى تلك الانحاء . وكانت صلاته بالمغرب وثيقة ، وقصد بلاطه جماعة من العلماء والادباء . وفى هذا العهد خضعت مملكة (السونرهاي) التي اسسها زعماء قبائل (لمتونة) فى حوض نهر النيجر الاوسط (جاو وتمبكتو) لسلطة امبراطورية (مالي) . ثم استرد ملوك السونرهاي استقلالهم فى القرن الرابع عشر . وفى اوائل القرن السادس عشر الميلادي ادى احد ملوكهم (مامادوتوريه) (أي محمد توريه) فريضة الحج في موكب حافل ضخم ، وقابل وهو فى طريقه الى مكة خليفة المسلمين اذ ذاك . ولما عاد من الحج اعاد تنظيم ملكه على اساس ما رآه من النظم الاسلامية فى الممالك الشرقية التي مر بها ، وضم الى مجلسه العلماء والادباء . ومنذ ذلك العهد بدات تشتهر مدينة تمبكتو . ومد ملوك (السونرهاي) فتوحاتهم على طول نهر النيجر حتى (داهومي الشمالية) ولكنهم اصطدموا فى الجنوب بمقاومة قبائل (الموسى) ولم يفلحوا فى نشر الدعوة الاسلامية بينهم .

واذا اعتبرنا ان تقبل الافارقة للدعوة الاسلامية ودخولهم فى عدادها زرافات ووحدانا وقيامهم بالمنافحة عنها والكفاح لتثبيت الوتها فى جميع اصقاع افريقيا مرده الى اقتناع الافارقة وتلقائيتهم واستجابتهم وحماسهم لفكرة المساواة والاعتقاد بالوحدانية فقط ؛ فاننا نكون قد اغفلنا ناحية هامة نظن انها من الحوافز الاساسية لانتشار الاسلام فى وقت مبكر وبسرعة عجيبة . تلك الناحية هي الوشيجة التي تربط الافارقة السود باخوانهم البرابرة . فبالاضافة الى الامتزاج الذي رافقته الهجرات البربرية الكبرى من اليمن الى المغرب عبر خط مدار السرطان يجب ان نذكر الهجرة الثانية للبربر من المغرب الى الصحراء والسودان . فمنذ القرن الخامس قبل الميلاد بدات تتوارد على تلك الاصقاع قبائل زناتة وصنهاجة وتبعا للعصبية القبلية فان التقليد والاقتداء كان لهما دور كبير فى حمل الافارقة على اعتناق الاسلام والاستفادة من ذلك الدخول فى تقوية اواصر القرابة والاتصال .

وقد ذكر المؤرخون ان الملك البربري اللمتوني (تيلوبوتان) الذي عاش فى القرن التاسع الميلادي كان يخضع له جميع البرابرة من جبال الاطلس بالمغرب الى نهر النيجر ، وكان هذا الملك يتخذ من مدينة (اوغشت) السودانية عاصمة له اما العاصمة الثانية فكانت قريبة من مدينة سجلماسة الحالية .

وقد ظل هذا التمازج قائما حتى اثناء عهد الموحدين والمرينيين وقد اصبح فى عنفوانه بعد دخول عرب معقل أراضي موريطانيا وقيام الصلات السياسية والتجارية بين امبراطورية مالي ودولتي المرينيين والسعديين .

سلا : محمد احمد الغربي

إلى اين تسير الحركة الشيوعية العالمية - 3 -

للأستاذ المهدي البرجالي

الشيوعيون بين ارادة التضامن وواقع الخلاف الاتجاهي الموجود :

المظاهر المتناقضة التي تتجلى من خلال كل ذلك التطورات الملحوظة في طبيعة التحول السياسي عند الدول الشيوعية خلال السنوات العشر الماضية : ظهور العامل الايديولوجي في ذلك بصورة اكثر مما كان عليه الامر في السابق ـ نماذج حزبية اربعة لها دلالتها في هذا المقام :

1 ـ **الحزب الشيوعي الروماني .**

2 ـ **الحزب الشيوعي البولاندي .**

3 ـ **الحزب الشيوعي الفرنسي ـ الايطالي .**

4 ـ **الحزب الشيوعي السويدي .**

الافاق المترائية من خلال هذه الاحوال الفكرية والعقائدية المتجددة داخل الحركة الشيوعية العالمية .

اذا كان النزاع الروسي ـ الصيني ـ الالباني هو مظهر واحد من جملة مظاهر عديدة ومختلفة تدل في مجموعها على وجود نوع من التحول العام ـ تقل اهميته او تكثر ـ اخذ يسود الحركة الشيوعية العالمية، ويؤثر على اوضاعها ، وتوازن الاحوال في حظيرتها بكيفية تزداد اطرادا وامتدادا ، اذا كان النزاع بين الماركسية السوفياتية والماركسية الصينية ـ الالبانية هو بهذه المثابة ، اي انه مجرد مظهر واحد من مظاهر عديدة تزخر بالمعاني والمدلولات من هذا القبيل او ما في حكمه ، وتنطوي على مغاز واعتبارات لها خطرها في هذا الموضوع من اساسه ، فما هي اذن هذه المظاهر التي تتضافر كلها على تاكيد « الازمة » الشيوعية الراهنة ؟ وما هي طبيعة الحقائق والاحوال التي تعكس وجود هذه « الازمة » وتشير الى تطورها ؟ وهل من الممكن اعتبار الحقائق والمظاهر الموجودة هذه ، على انها ذات قيمة مرحلية ، او انها ـ بالعكس ـ تمتد الى جذور المصير الشيوعي اي انها ذات تاثير مصيري شامل ؟ وكيف يمكننا استبانة ذلك من خلال التطور الاجمالي في عموم الحركة الشيوعية العالمية الراهنة ؟ .

ليس من اليسير ـ على اي حال ـ على مذاهب حقيقية ، متكاملة العناصر والمقومات ، يمكن ان تكون قد تبلورت داخل الحركة الشيوعية الدولية ، وادت عمليا الى انقسامها الآن على الاقل من ناحية مظهرية ، لا يمكن من تكوين استنتاجات سريعة وواسعة المدلول من هذا النوع ، فالكتلة الشيوعية الدولية لا تزال

تحتفظ ـ على وجه العموم ـ بحالة ما من التماسك العقائدي الظاهري تقل اهميته او تكثر ، وليس هناك ما يدل على ان هذا التماسك هو آخذ الآن سبيله الى الانحلال بصورة جدية ، وحتى من الناحية السياسية والدولية فالذي يتبين الآن للمرء بوضوح ان قدرا مهما من مظاهر التضامن في هذا المضمار بين الدول الشيوعية هو متوافر فعلا اما مباشرة ، كما يمكن استجلاء ذلك مثلا من موقف الاتحاد السوفياتي ، الذي اعلن عنه في اوائل مارس الماضي حول الموضوع المتعلق بامكانية توسيع نطاق العمليات العسكرية في الهند الصيني ومدها الى شمال الفيتنام مع هذا البلد الشيوعي الاسيوي في ذلك رغم ان نظام « هوشي مينه » يعتبر اقرب الى مؤثرات السياسة الصينية ، واما بصورة ضمنية كما يتمثل ذلك في اتحاد وجهتي نظر الصين وروسيا حول هذا الموضوع ، وحرص السوفييت ـ من جهة اخرى ـ على مواصلة تاييدهم لمبدا ادخال الصين في هيئة الامم المتحدة ، وتحتفظ « رومانيا » من جهتها ـ وهي عضو في حلف « فارسوفيا » الموالي الروس ـ تحتفظ هذه الدولة الشيوعية ، بعلائق لا باس بها مع الصينيين والالبان على الرغم من عدم انحيازها اليهم بصورة جدية ، اما الدول الشيوعية الاخرى الواقعة في شرقي اوربا ـ كبولندة وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا وغيرها فانها لا تزال ترتبط دائما في علاقاتها مع بعضها البعض ، وفي علاقتها مع الروس ايضا ، لا تزال ترتبط في كل ذلك بالقيم والمقاييس السياسية التي توحد فيما بينها منذ نهاية الحرب اي منذ قيام الانظمة الشيوعية في هذه الاقطار ، فحلف « فارسوفيا » لايزال دائما باستمرار يضم في حظيرته الروس ، الى مختلف الدول البلقانية الاخرى ، باستثناء البانيا التي يبدو انها لم تسحب هي نفسها منه بصورة رسمية ، وان كانت لم تعد تساهم في نطاقه باي نشاط يذكر ، ومنظمة « الكوميكون » الاقتصادية وهي الاداة التنظيمية الدولية التي يراد منها دائما ان تعيش على تنسيق الفعاليات الاقتصادية عند عموم الدول الشيوعية القائمة ، وتوفير الشروط الضرورية التي يمكن ان تقود الاقتصاديات الشيوعية المختلفة ، الى ان تصبح اكثر تناسقا وتكاملا على وجه من الوجوه ـ هذه المنظمة ما برحت تجمع على صعيدها دولا شيوعية عديدة ، على الرغم مما يوجد بينها ـ في بعض الاحيان ـ من اختلاف في المصالح ، وتفاوت في بعض اساليب التسيير والعمل ، وعلى صعيد المنظمات العالمية كهيئة الامم المتحدة ـ مثلا ـ يبرز باستمرار نفس التناسق المطلق في مواقف الاتحاد السوفياتي والدول الشيوعية الاخرى الممثلة داخل الهيئة الاممية سواء من حيث طبيعة الافكار التي تتضمنها الخطب الملقاة او من حيث الاتجاهات التي تتبناها حالة التصويت بمجلس الامن ، والجمعية العمومية .

وقد تواترت الملاحظات ـ في غضون السنة الماضية ـ حول الاتجاه العام الذي بدات تتخذه بعض الانظمة الشيوعية في اوربا والذي يتمثل في الاخذ بنوع من الليبرالية السياسية والاجتماعية والفكرية ـ مثل ما يجري في هنغاريا لحد الآن ، حيث سجلت تطورات مهمة في هذا المضمار ، حملت بعضا من الملاحظين في الغرب على التفكير بامكانية حدوث توازن في تلك البلاد بين الشيوعيين الحالمين ، والعناصر الاخرى غير الشيوعية ، الا ان التاكيدات التي ادلى بها « كادار » رئيس الحكومة المجرية في حديث له مع احدى الصحف الفرنسية الكبرى ، اواخر ببراير المنصرم ـ هذه التاكيدات لم يكن من شانها ان تثبت الظنون التي علقت ببعض الاذهان حول امكانيات من هذا القبيل لان التاكيدات المجرية ، بهذا الشان كانت تنسجم فعلا مع الخط الشيوعي المالوف ومن المؤكد ان الوجهة « الليبرالية » الملحوظة في هنغاريا خلال السنوات الاخيرة ، لاتعني اي اتجاه يمكن ان يتبناه النظام القائم في موضوع التعاون مع الغرب بصورة مطلقة ، او بالاقل امكانية التدرج نحو اي توازن في الحكم بين الشيوعيين والعناصر الاخرى غير الشيوعية والحالة « المجرية » هذه يمكنها ان تساهم في تاكيد القول ـ كحالات شيوعية اخرى من هذا النوع ـ ان قدرا مهما من التماسك ما زال متوفرا داخل الجماعة الدولية الشيوعية باوربا ، وحتى بين هذه الجماعة والجماعة الاخرى من الدول الشيوعية باسيا ، وتبدو ـ بهذا الصدد ـ ظواهر مفاجئة ايا اهميتها فعلى الرغم مما يبدو من ميل ظاهري للفيتنام نحو النظرية الصينية ، فقد امكن للحزب الشيوعي الفيتنامي مع ذلك ان يجري بموسكو في اواسط ببراير الماضي ، محادثات سياسية مع ممثلي الحزب السوفياتي ادت في الاخير الى توقيع بيان مشترك يردد عبارات التضامن المعتادة عند الشيوعيين وان كان البيان ذاك لم يحدد اي التزام للطرفين فيما يتعلق بالمشاكل العقائدية الناشئة ، والوقائع المنبثقة عنها في حظيرة الحركة العمالية الدولية ، وفي الامكان ملاحظة بعض الحقائق من هذا القبيل عند الزعامات الشيوعية غير الحاكمة سواء

الاقطار الغربية او غيرها ، ان معظم هذه الاحزاب تحتفظ بموقف موال للنظرية السوفياتية في نزاعها مع الصين ، وعلى الرغم ايضا من ان البعض منها كالحزب الشيوعي الفرنسي قد استباح كثيرا من الحدة والعنف في التعبير عن معارضته للتحجر المذهبي والتحلية SECTANISME التي يؤكدون انها تتمثل في الموقف الصيني ـ الالباني ، على الرغم من كل ذلك فقد استقبلت الاحزاب الشيوعية غير الحاكمة اعتراف فرنسا بنظام « بيكين » بقدر غير قليل من الحماس الطبيعي او المفتعل ، وبرز الحزب الشيوعي الايطالي ـ وهو من الاحزاب الشيوعية الغربية المغالية في مناوأتها للنظرية الصينية ـ برز هذا الحزب ـ خلال شهر يبراير المنصرم ـ بنشاط ملحوظ في البرلمان الايطالي يستهدف من ذلك حمل هذا البرلمان وبالتالي ايطاليا على اتخاذ خطوة مماثلة لما اقدمت عليه فرنسا في موضوع الاعتراف بالنظام الشيوعي الصيني وقد استطاع الشيوعيون الايطاليون ان يحظوا في موقفهم بمساندة بعض الكتل البرلمانية الايطالية ككتلة الحزب الاشتراكي الجديد وبعض النواب الجمهوريين الاشتراكيين والاشتراكيين الشيئيين كذلك والواقع ان مختلف الاحزاب الشيوعية بما فيها الحزب الشيوعي الصيني نفسه تحتفظ بقدر ما من ارادة التضامن بين الشيوعيين على الرغم مما هو ناشب من خلافات ذات خطورة تعتبر وسواء أكان ذلك راجعا لاعتبارات عقائدية حقيقية ام انه يعود فقط الى اسباب تكتيكية محض ، فان الاقوال التي يدلي بها رؤساء الحكومات الشيوعيون في مثل هذه المواضيع كثيرا ما تدور حول قضية التضامن الشيوعي وضرورة الحفاظ عليه امام اية حالة من حالات الخلاف الناشب وقد ذكر رئيس الحكومة المجرية كجواب عن سؤال وجه اليه بهذا الصدد : (.. هناك مجال داخل الحركة العمالية الدولية للجدل والنقاش ، لكنه ليس من المناسب الجهر بكل شيء امام اللا الدولي ومن الممكن ـ على اي حال ـ ايجاد اساس للاتفاق بين الطرفين الشيوعيين المختلفين مع الامد الطويل ..) ولا يختص الشيوعيون الموالون للجانب السوفياتي بهذا الامل في امكانية التغلب على الخلافات الشيوعية القائمة بل ان المسيرين الصينيين يعبرون احيانا عن افكار من هذا النوع بما فيهم رئيس الوزارة الصينية نفسه الذي يعتقد انه من الجائز ـ بالرغم عن الاحوال الراهنة ـ تطور الاتجاه داخل العالم الشيوعي لتحقيق تقارب بين وجهات النظر المتباينة طبقا للمقاييس والاعتبارات التي تقوم عليها المذهبية الماركسية اللينية ، وقبل عدة شهور ، اعرب رئيس الحكومة الرومانية كذلك عن افكار تقرب من هذا المعنى وذلك حينما اكد في اوائل نونبر الماضي ضمن مقال له بمجلة « مشاكل السلام والاشتراكية » : (.. انه من اللازم الاقلاع عن الجدل العلني بين الاحزاب الشيوعية المختلفة ، وذلك ليمكن العمل على فحص النقط المتنازع حولها بكل رصانة وهدوء ، وتهييء الشروط الضرورية في نفس الوقت لدعوة لمؤتمر جديد يضم مختلف الاحزاب الشيوعية والعمالية ...)

وقد راج الحديث كثيرا عن امكانية عقد مثل هذا المؤتمر الذي يراد له ان يؤدي الى تحقيق مقابلة صريحة صريحة وحاسمة بين وجهات النظر الشيوعية الرائجة ، بما فيها من « دوكماتية » وتعديلية وغيرها ، ومحاولة التوفيق بين نظريات هؤلاء واولئك وهناك ـ الى جانب فكرة من هذا الباب فكرة اخرى تقتضي عقد مؤتمر عام يضم ـ بصفة خاصة ـ الاحزاب الشيوعية ـ التي ـ وان كانت لها نظريات مختلفة او شبه مختلفة الا انها لا تصل بسلوكها واتجاهاتها الى درجة العمل على انشقاق شيوعي سواء بشكل او آخر ، وفائدة مؤتمر من هذا النوع تتمثل فيما يمكن ان يؤدي اليه من تنسيق مواقف الاحزاب الشيوعية غير « الدوكماتية » وتركيز عوامل التفاهم فيما بينها وتنمية استعدادها لمواجهة اي انشقاق ممكن قد يقوم به الدوكماتيون سواء على المستوى الحزبي او الدولي وقد ظهرت كثير من الاحتمالات حول عقد مؤتمر شيوعي من هذا القبيل وكان من آخر هذه الاحتمالات ما تردد في بعض الاوساط الدولية من ان مؤتمرا شيوعيا على مستوى الذروة قد يلتئم في بودابيست خلال الاسابيع القليلة المقبلة ، وذلك بالطبع لمحاولة فحص آخر التطورات في الخلاف العقائدي الموجود وما يمكن ان يتخذ في شانه من مواقف تلتزم بها الاطراف الشيوعية المعنية ، او بالاقل الاحزاب الموالية بشكل او بآخر لوجهة النظر الروسية.

* * *

ان هناك مجالا واسعا لاستعراض كثير من الافكار والاتجاهات على شاكلة ما تقدم .. هذه الافكار والاتجاهات التي تكاد تشكل قاسما مشتركا بين الاطراف الشيوعية المتنابذة في الوقت الحاضر والتي تدعو سواء هذا الطرف او الآخر الى الاحتفاظ بنوع من ارادة التضامن بين الشيوعيين على الرغم من

وجود النزاعات الناشبة لكن ما هي القيمة العملية التي تنطوي عليها ارادة التضامن هذه بين الشيوعيين؟ وهل من الممكن ان تكون اقوى مفعولا واشد جاذبية فى الاخير من مجموع عوامل النزاع الحاضر ؟ ثم ، وكما عرضنا له فى مطلع هذه الحلقة من الموضوع : ما هي مظاهر التحول الموجود فى حظيرة الحركة الشيوعية الدولية خارج نطاق النزاع الصيني السوفياتي الحاضر؟ وما تاثير ذلك على قضية التطور الشيوعي العام في مختلف ارجاء العالم ؟ .

ان الذي يلحظه المراقب ـ بهذا الصدد ـ هو ان ارادة التضامن التي يعبر عنها فى كثير من الاحيان كل من هؤلاء واولئك من الشيوعيين دوكماتيين وتعديليين، الملحوظ ان التعبير عن ارادة التضامن هذه يكاد ـ يسير سيرا متوازيا مع ارتفاع لهجة المخاصمات العقائدية الجارية واشتداد المضاعفات السياسية والدولية الناشئة عن ذلك بل واتجاه الاحوال احيانا بشكل يوميء للكثيرين بان امكانيات انفصام حاسم داخل الدولية العمالية المعاصرة ليس مستبعدا بتاتا ان لم يكن محتمل الوقوع فى وقت من الاوقات وقد نلمح بعض الاثار من روح الانفصام هذه وذلك فى بعض الآراء التي تتضمنها الكتابات الشيوعية المختلفة سواء منها التي تعبر عن راي الدوكماتيين او التي تعكس فكرة التعديليين ان المتامل فى مثل هذه الكتابات لا يلاحظ فقط ان ثمة فروقا فى وجهة النظر وطريقة التقييم والاستنتاج داخل اطار المذهبية المشتركة (الماركسية ـ اللينينية) بل يلاحظ ـ الى كل ذلك ـ ان هناك اتجاها تعكسه مثلا الصحيفة الرسمية الالبانية فى تحليل لها نشر فى اواخر مارس من العام المنصرم ـ ويرمي هذا التحليل ـ بالمفهوم الذي يبلوره ـ الى التمييز بين شيوعيتين تكاد ان تكونان متناقضتين تمام التناقض واشده وضوحا شيوعيتان يتجلى الفرق بينهما ـ يؤكد الالبان ذلك ـ كما يتجلى الفرق بين الصراحة والمنافقة بين الماركسية اللينية والتعديلية الحديثة بين المادية الدياليكتيكية التاريخية وبين البراجماتية الميتافيزيقية بين الدولية العمالية وبين الغرور القومي الذي تمليه روح الدولة الكبرى بين التعاونية الشيوعية وبين التحكمية السلطية اي بين حالة يرى هؤلاء انها هي التي تمثل الشيوعية الحقيقية وحالة اخرى يرون انها تتناقض والشيوعية الصحيحة على خط مستقيم ، وحتى بعض مظاهر التفاهم التي اشرنا اليها من قبل بين بعض الاحزاب الشيوعية المختلفة ـ هذه المظاهر لا يمكن ان تدل على حقائق شاملة وقارة دائما ؛ فالحزب الشيوعي لشمال الفيتنام الذي يظن انه ياخذ بجانب ما من جوانب النظرية الصينية والذي رأيناه بالرغم من ذلك ، يوفد ممثلين له الى موسكو فى الفترة الاخيرة وقعوا ـ بعد محادثات ومشاورات ـ بيانا مشتركا مع الشيوعيين السوفييت ينعكس من خلاله بعض التفاهم بينه وبينهم ـ هذا الحزب وقع هو نفسه (مايو 1963) بيانا مشتركا مع الصينيين تضمن حملة من أشد الحملات على « التعديلية الحديثة » ووسمت يوغوسلافيا فى تناياه بسمات المروق من الماركسية اللينينية والابتعاد نهائيا عن نطاق العالم الشيوعي ، ومن الواضح ان النظام اليوغوسلافي قد كان يتخذ عند الكتلة الصينية الالبانية قبل سنة فقط كذريعة لنقد السياسة السوفياتية كما كانت البانيا من جهتها تستغل كذريعة من قبل الروس يوجهون من خلال الحملة عليها نقدهم غير المباشر الى وجهة النظر الصينية وكل ذلك كان قبل الدخول فى المرحلة الجديدة التي اصبح فيها النقد متبادلا بشكل مباشر وسافر بين الجانبين المتنابذين فعلى اي المقاييس يمكن اذن تقييم موقف الحزب الشيوعي الفيتنامي ؟ وما هي جملة الحقائق التي يمكن استخلاصها من كل ذلك ؟ الواقع ان الحالة المتمثلة فى هذه الصورة ليست قائمة بمفردها مستقلة عن اية حالة اخرى مماثلة ذلك انه منذ بداية الازمة الشيوعية الراهنة غداة انفصال يوغوسلافيا عن « الكومينفورم » سنة 1948 وانخراطها فى دائرة المسلك العقائدي والدولي الذي ما انفكت تلتزمه بصورة مستمرة الواقع انه منذ الازمة الحاضرة غداة الانفصال اليوغوسلافي وما بعده ، الى حالة المنابذة الحالية بين السوفييت والصينيين والالبان ـ ظهرت كثير من الاعراض اللافتة للنظر فى حظيرة العالم الشيوعي وبدت من خلال التطورات والاحداث الجارية خيوط سياسية وفكرية عديدة لها اهمية متفاوتة وترتسم من خلالها صور وملامح قد لا تكون لها اهمية عملية ومباشرة فى بعض الاحيان ولكن بمماثلتها لبعضها البعض والنظر اليها من خلال عموم الازمة الشيوعية الحاضرة يمكن للملاحظ ان يكتشف فيها نسبة من الاهمية لا يسوغ نكرانها ، وفى وسع المرء ان يذكر ـ بهذا الصدد ـ جملة من التطورات المهمة التي عرفتها احزاب شيوعية كثيرة خلال السنوات العشر الاخيرة وما تدل عليه هذه التطورات من معان وحقائق ، فى امكان المرء ان يعرض مثلا لاتجاه الاوضاع السياسية التي افضت فى هنغاريا الى نهاية عهد « راكوني » منذ عدة سنين ، وقيام

الاحوال التي ادت بالحزب الشيوعي المجري الى ما هو عليه الآن،وفى الامكان كذلك استعراض التحولات الفكرية والعقائدية التي تمت قبل ذلك فى حظيرة رابطة الشيوعيين اليوغوسلافيين ، وادت الى ظهور التعديلية « التيتية » كما هي معروفة اليوم بل انه من الجائز الى ذلك كله امعان النظر فى جملة التارجحات المذهبية التي وقعت داخل الاتحاد السوفياتي نفسه ، عقب وفاة « ستالين » وخاصة فى الميدان الاقتصادي حيث ما فتئت الاتجاهات تضطرب من عهد « مالنكوف » الى العهد الحالي متارجحة بين ايثار الصناعة الثقيلة على الخفيفة ، او تقديم الصناعة الاستهلاكية على التجهيزية، او افساح المجال للزراعة على حساب الصناعة عموما ، او البقاء على الحالة عكس ذلك وهكذا دواليك فى وسع المرء ان يعرض لكثير من مثل هذه الوقائع مما يتصل بالتحولات السياسية داخل المعسكر الشيوعي وما لهذه التحولات من صلة بتطور الافكار ووجهة الاختيار سواء عند هؤلاء او اولئك ومع كل هذا فليس المقصود من اطلاق القول هكذا ان التحولات السياسية الملحوظة عند الشيوعيين تدل دائما ــ وبالضرورة ــ على وجود تطور فكري حقيقي بكل ما يقتضيه من تغيير فى الاختيارات المبدئية ، وطبيعة الاتجاهات فى العقيدة والسلوك وغير ذلك ، فالواقع ان عددا كبيرا من التحولات الواقعة والتي يمكن ملاحظتها فى هذا القطر الشيوعي او ذاك انما تكون ناشئة ــ فى عمومها عن حالات صراع سياسي عادي الدوافع محدود المقاصد ، تكمن وراءه عوامل شخصية او طائفية او اقليمية اكثر مما تبعث عليه عوامل مذهبية عميقة الجذور ، تتصل على وجه او آخر بحالة من حالات التطور الفكري الذي يساهم عادة فى تعديل الوجهات العقائدية واغنائها بعناصر جديدة قابلة ــ بدورها للتغير والتبلور غير ان الظاهرة التي تستلفت النظر فى السنوات الاخيرة قد اخذت تشاهد فعلا نوعا من التطور المحسوس فى هذا المضمار ذلك ان قضايا التحول السياسي التي اصبحت تظهر عند الشيوعيين بين الآونة والاخرى يبدو انها قد غدت تنطوي على بعض الاهمية من ناحية الاصول الفكرية التي تنطلق عنها والملابسات الايديولوجية التي قد ترتبط بها اي انها اصبحت تمتزج باعتبارات فكرية وعقائدية لها قيمتها وان كانت هذه الاعتبارات ــ من حيث مالها من عمق وتأثير ــ تختلف كثيرا فيما بين بعضها البعض ، فبوادر الصراع داخل عدد من الديموقراطيات الشعبية خلال الفترة الاخيرة وما يتلو مثل هذا الصراع عادة من تحوير

وتطهير كل ذلك لم يعد يتعلق فقط بمجرد المنافسات السياسية العادية او داخل ــ كما قد يظن ــ فى عداد المضاعفات التي تنشأ فى الغالب كنتيجة لاستفحال نظام عبادة الشخصية او ما هو من هذا الباب وانما يرجع الامر اكثر من ذلك فى مثل هذه الحالات ــ كما حدث خلال السنتين الماضيتين ببلغاريا وتشيكوسلوفاكيا يرجع الامر الى التصادم بين بقايا النزعة الستالينية بكل ما تمثله من مبادىء واتجاهات فى ميدان الحياة السياسية وبالاخص الداخلية منها وبين العناصر التي يبدو انها قد اصبحت تحتضن « اللاستالينية » على وجه من الوجوه متأثرة ــ فى ذلك ــ بالحقائق الجديدة التي اصبحت تعرفها « موسكو » بعد وفاة ستالين او مستوحية اياه من واقع التطورات الوطنية والدولية السريعة فالتطورات السياسية الهامة التي حصلت فى بلغاريا وادت الى اقصاء وجه سياسي بارز كـ « نشير فينكوف » وسيطرة « جيفكوف » الرئيس البلغاري الحالي وذلك فى غضون سنة 1962 هذه التطورات لم تكن فى الحقيقة نتيجة نزاع محدود بين شخصيتين بقدر ما كانت نزاعا بين عقليتين ومذهبين توجد لهما انعكاسات مماثلة فى كثير من الديموقراطيات الشعبية الاخرى ولا شك ان ما عرفته تشيكوسلوفاكيا هي الاخرى خلال السنة الماضية من تغيرات سياسية افضت الى اقصاء « سيروكي » واعادة الاعتبار قانونيا ان لم يكن سياسيا الى شخص كـ « سلانسكي » كان محكوما عليه وعلى غيره بتهمة « التيتية » وما تحلمه من معنى « التعديلية العصرية » اي المفهوم الذي يرفضه كافة الشيوعيين المحافظين لاشك ان مثل هذه التطورات التي عرفها الحزب الشيوعي التشيكي اخيرا هي ذات اهمية ملحوظة ولا يمكن اغفال المعاني التي تنطوي عليها، والحقائق الجديدة التي تعكسها .. هذه الحقائق التي نجد لها كذلك انعكاسات تقل اهميتها او تكثر فى عدد من دول الديموقراطيات الشعبية على ان هناك ــ مع ذلك ــ حقيقة يجدر الالتفات اليها بهذا الصدد وهي أن مجرى التطور السياسي الذي حدث ببلغاريا وتشيكوسلوفاكيا ــ اذا كان قد تم على شكل تصفيات شخصية تنعكس منه خلالها بعض التغيرات الجزئية فى العقلية والتسيير ــ هذه التغييرات التي ترمي فى الغالب الى الانسجام مع الخطة السوفياتية الجديدة وتوقيف التيارات المعاكسة لذلك على الصعيد المحلي ــ اذا كانت مظاهر التطور السياسي بهذين البلدين وغيرهما تبدو على هذا النحو العادي فانها تبدو فى حظيرة احزاب شيوعية اخرى اكثر جذرية واشد

اتصالا بمجرى التحولات الجديدة في حظيرة الحركة الشيوعية الدولية ، ذلك ان الامر لا ينحصر عند مثل هذه الاحزاب في شكل صراعي داخلي تجابه فيه الاتجاهات المتناقضان نحو الستالينية واللاستالينية بل ان الامر يتعدى ذلك بحيث يدس جوانب معينة من جوانب الاتجاه الذي يتخذه الحزب الشيوعي في علاقاته الدولية وفي طبيعة الصلات التي تربطه بالاحزاب الشيوعية الحاكمة الاخرى اي بالدول الشيوعية المجتمعة في نطاق الكومينفورم وحلف فارسوفيا ومن اقرب الامثلة على حالة من هذا القبيل الحزب الشيوعي الروماني الذي هو بالطبع من عداد الاحزاب الشيوعية الحاكمة وهناك من الاحزاب الشيوعية الحاكمة ايضا من يحافظ — بالفعل — على درجة من الانسجام في المواقف العامة التي تتخذها الكتلة الشيوعية المتضامنة مع السوفييت ، الا انه يحتفظ — مع ذلك — في مضمار السياسة الداخلية وخاصة الاقتصادية منها بقدر من الحرية في التفكير والعمل يشذ به احيانا عن الوتيرة المتبعة في الديموقراطية الشعبية الاخرى ولكن ذلك لا يؤدي به الى درجة المروق من الاطار الجامع لهذه الديموقراطيات والخروج من حظيرتها سواء في النطاق الاقليمي او الدولي العام ولعل الحزب الشيوعي البولندي هو من بين الامثلة البارزة من هذا القبيل وهناك الى جانب كل ذلك الاحزاب الشيوعية غير الحاكمة ومن بين هذه الاحزاب يوجد عدد ممن تجري في حظيرته تطورات فكرية وايديولوجية هامة تفوق في راديكاليتها واتساع مداها كل ما يلاحظ عند كثير من الاحزاب الشيوعية الحاكمة ويمكننا ان ناخذ نموذجا لهذا الصنف من الاحزاب الشيوعية حزبين اوربيين الاول من منطقة الاطلسي وهو الحزب الشيوعي الفرنسي الذي يمكننا ان نلحق به كذلك الحزب الشيوعي الايطالي لما بينهما من تشابه في التفكير والاتجاه ودرجة التعرض لعوامل التحول والثاني من المنطقة الاسكندنافية وهو الحزب الشيوعي السويدي الذي عرف في الشهور الاخيرة تطورا ايديولوجيا صميما من شانه ان يلفت النظر بصورة فريدة وسنحاول في السطور القادمة ان نلقي نظرات ولو عابرة على مجمل الاحوال المتطورة التي تتمثل في هذه النماذج الاربعة من الاحزاب الشيوعية العالمية ، وهذه النماذج — كما راينا — يوجد من بينها حزبان حاكمان وحزبان اخران بعيد كل منهما عن ممارسة اي نوع من انواع الحكم ، اما الحزبان الحاكمان فهما :

1) الحزب الشيوعي الروماني وقد اصبح هذا الحزب — وبالتالي الدولة الرومانية — يستأثر باهتمام خاص عند المتتبعين للماجريات الشيوعية الحاضرة ومن الامور التي تثير النظر بهذا الشأن ان رومانيا هي من بين الدول الشيوعية القليلة التي لاتزال تحتفظ بعلاقات ديبلوماسية مع البانيا . هذا بينما سحبت اكثر الديموقراطيات الشعبية الاخرى في اوربا الشرقية اجهزتها التمثيلية من « تيرانا » ولا تكاد توجد لها صلة مباشرة الآن بالالبانيين سواء في المستوى الحكومي ، او على الصعيد الحزبي ، وقد اثارت السياسة الرومانية في السنة الفارطة عناية الملاحظين الدوليين وذلك حينما احجم رئيس الدولة الرومانية اذ ذاك عن المشاركة في اجتماعات بروتوكولية وسياسية بالمانيا الشرقية ضمت ابرز المسيرين الدوليين ، بما فيهم رئيس الوزارة السوفياتية نفسه ، والمهم في ذلك ان تغيب الرومانيين قد كان ناشئا — كما اعتقد البعض في داخل رومانيا نفسها — عن الرغبة في تجنب اجتماع عقد في غيبة الصين والبانيا بل انه لم يكن يضم في القالب الا الاحزاب المناوئة للنظرية الصينية ، هذا وفي نفس الوقت الذي كانت فيه العلائق بين الصين ، وبقية العالم الشيوعي ، قد بلغت الذروة — خلال السنة الماضية — من حيث حدة مصادمتها واتساع النطاق السياسي والدولي الذي تمتد عليه ، في نفس الوقت كانت الصلة بين الرومانيين والصينيين عادية بل وتزداد تطورا نحو حالة امتن واحسن نظرا لما وقع من تعدد الزيارات بين الجانبين وتبادل الصلات المتزايدة سواء على المستوى الحزبي او الحكومي ، ومن احدث مظاهر الاتصال التي سجلت بهذا الشأن هي الرحلة التي قام بها وفد روماني الى بيكين في غضون شهر مارس المنصرم ، واجرى خلاله رئيس الحكومة الرومانية محادثات سرية مع المتصدرين الصينيين .. محادثات اعتقد الكثيرون انها قد تكون دارت حول موضوع النزاع الايديولوجي الشيوعي وامكانية اجراء وساطة بهذا الصدد بين الصينيين والسوفييت غير انها اكدت — في ذات الوقت — طبيعة النهج الخاص الذي يتبعه الحزب الشيوعي الروماني في موضوع المنازعات الشيوعية الحاضرة ، فهل يمكننا ان نستنتج من ملاحظة هذا النهج ، والافاق التي يعكسها ان السياسة الرومانية تميل على شكل من الاشكال الى موالاة الصين ضد السوفييت ومن ينحو منحاهم من الشيوعيين ؟ اغلبية المراقبين لا ياخذون بهذا الراي على الرغم من بعض الظواهر العارضة ذلك انه اذا كان الحزب

الشيوعي الروماني لم ينتهج مسلك الديموقراطيات الشعبية الاخرى في مناوآتها لـ « الدوكماتيين » وانهاء مختلف الصلات الدولية بهم ، فان هذا الحزب يبدو حريصا في نفس الوقت على الاحتفاظ بدرجة مماثلة من العلاقات مع السوفييت ، والموالين للنظرية السوفياتية، هذا الى ان رومانيا لا تزال على اي حال تمارس عضويتها الكاملة في جهاز حلف فارسوفيا الذي يقوم على رعايته شيوعيو اوروبا الشرقية في الدرجة الاولى هذا بينما لم تعد البانيا مثلا اي الكتلة المهتمة بـ الدوكماتية والمناوئة للسوفييت — لم تعد تمارس اي نشاط ملحوظ داخل هذا الحلف ، وعلاوة على ذلك ، فان الرومانيين يحتفظون ايضا بعضويتهم الدائمة في منظمة « الكوميكون » (مؤسسة التنسيق الاقتصادي بين الدول الشيوعية) وهذه المنظمة مقاطعة هي كذلك من جانب البانيا على اعتبار ان اكثرية دول اوروبا الشرقية التي تساهم في عضويتها ، موالية للسياسة السوفياتية في موضوع النزاع مع الدوكماتيين ان رومانيا اذن — على الرغم من مواصلة تعاونها مع الكتلة الصينية الالبانية — بعكس الدول الشيوعية الاخرى — فانها لاتفتأ تحافظ — في نفس الوقت — على ارتباطها بالسوفييت وحلفائهم ، وذلك على نحو لا يبيح الاعتقاد بانه من الممكن ان تميل الى التكتل ضمن محور « بيكين — تيرانا » على الاقل في الظروف الراهنة ، ولذلك فان هناك من المراقبين من ينزع الى وصف السلوك الروماني في الازمة الشيوعية الحاضرة ، بانه سلوك الشيوعية المحايدة ، او كما يمكن ان يقال انه من « الحياد الايجابي » بين المعسكرين الشيوعيين المتنابذين على اننا اذا ما سلمنا مبدئيا بهذا الاطلاق الوصفي في حق النهج الذي يتبعه الحزب الشيوعي الروماني ، فان ذلك لا يفهم بالضرورة ان موقف هذا الحزب توحي به رغبة في اجتناب الخوض داخل المعركة القائمة وكفى ، ان الملاحظ — بهذا الصدد — هو ان بعض الظواهر اللافتة للنظر ، تميز بها مسلك هذا الحزب — خلال السنوات الاخيرة وذلك في علاقته مع حلفائه في الاقطار الشيوعية الاخرى ، فثمة — بالفعل — صراع بارد بين رومانيا ، وبقية الاقطار « الشقيقة » يختلف — في جوهره واعراضه عن الصراع الناشب بين السوفييت والصينيين وهذا الصراع البارد ليس ناشئا — كما تؤكده الماجريات الحاضرة — عن احتمال تحيز الحزب الشيوعي الروماني للكتلة الصينية — الالبانية او ما يتصل بقضايا هذا النحو ، وانما هو منبثق عن اعتبارات غير ذلك يمكن وصفها بانها اعتبارات رومانية بالدرجة الاولى وهذه الاعتبارات

ان كان من الجائز ان يكون لها تاثيرها منذ زمن بعيد الا انها لم تجد لها مجالا للظهور الا بعد استفحال الخلافات الروسية الصينية .. هذه الخلافات التي يذكر بعض المعقبين — ان رومانيا لا تعنى فيها بالتحيز لجانب او آخر بقدر ما تعني بخدمة قضاياها القومية الخاصة ، اما موضوع الصراع الناشب بين الرومانيين وحلفائهم فيتركز في المشاكل الاقتصادية والتجارية واما محوره الاساسي فهو منظمة « الكوميكون » التي انشئت منذ سنين عديدة لهدف اساسي وهو تحقيق التناسق بين السياسات الاقتصادية للدول الشيوعية بحيث يؤدي الامر الى ان تصبح هذه السياسات تحمل معنى التكافل والتكامل لا معنى التنافس والتزاحم ، فالدول الصناعية كـ « تشيكوسلوفاكيا » عليها مثلا — بموجب روح « الكوميكون » اذا كانت محتاجة الى استيراد مواد خام ، او منتوجات زراعية — ان تستورد ذلك من شركائها الذين لهم ثروة معدنية او اتجاه زراعي كرومانيا مثلا وهذه الاخيرة — عوض ان تسعى الى بناء هيكل صناعي وطني ، ينبغي لها ان تحجم عن ذلك ، لتتفرغ الى تطوير امكانياتها الزراعية وذلك لكي يمكنها ان تمد البلدان الشيوعية الصناعية بالمنتوجات الفلاحية التي تحتاجها هذا الى ان توسعا صناعيا رومانيا في المستوى التقبل لن يكون من شأنه — بالضرورة — ان يحل مشاكل رومانيا الاقتصادية — كما يفكر القائمون على « الكوميكون » بل انه يمكن ان يؤدي الى تعقيدات مالية وتجارية وتقنية عديدة ، نظرا لضآلة رصيد رومانيا من كثير من المواد الاولية باستثناء البترول (كالفحم مثلا) وفداحة التكاليف التي يسببها ذلك ثم قلة الارباح التي تدرها منشآت من هذا الصنف ، كما تدل على ذلك امثلة من بعض المصانع المقامة من قبل في بعض الديموقراطيات الشعبية كبولونيا مثلا ، وقد عرفت رومانيا هي بدورها في السنوات الاخيرة وخاصة خلال سنتي 1962 و 1963 — عرفت ازمة زراعية طارئة ، نشأت عن نقص المحاصيل خلال تلك السنين الامر الذي يجب ان يؤكد عزمها — كما يرى « الكوميكون » على زيادة اعتنائها بوجهتها الزراعية الطبيعية ، وهكذا الامر بالنسبة لبقية الاقطار الشيوعية ، حيث يتعين على كل منها ان يعني بنواحي مخصوصة من الانتاج الصناعي او الفلاحي ، تتناسب مع موارده وامكانياته وبذلك يتم توزيع العمل توزيعا متناسقا على اعضاء الاسرة الشيوعية ويتحقق بذلك نوع من الاكتفاء الذاتي فيما بينها تصحبه حالة من الازدهار الاقتصادي تتمكن الاقطار الشيوعية بسببه

من مواجهة الاوضاع الناشئة عن قيام السوق الاوربية المشتركة وقد اصبح الكوميكون بدوره مرآة تنعكس عليها بعض الاحوال السياسية السائدة فقد كانت الدول الشيوعية الاسيوية ــ باستثناء منغوليا التي انضمت اليه اخيرا ــ كانت هذه الدول لا تمارس فيه عضوية فعالة ولكنه كان من الممكن ان توفد الى اجتماعاته الدورية بعض الملاحظين وقد اثار الانتباه ان هؤلاء الملاحظين لم يحضروا الاجتماع الذي عقدته هذه المنظمة في السنة الماضية الا ان الاهم من ذلك ما اصبح يحدث بين رومانيا واعضاء الكوميكون من خلافات اقتصادية ذات اهمية بالغة وقد برزت هذه الخلافات امام الملأ الدولي بصورة اوضح ، بعد ما نشرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروماني (مارس 1963) البيان الذي صادقت عليه في اجتماع انعقد لدراسة العلاقة مع اقطار الكوميكون ويؤكد هذا البيان مبدا حق كل قطر من اقطار المنظمة في تحديد سياسته الاقتصادية كما يشاء وعبر الشيوعيون الرومان اثناء ذلك كله عن نفورهم من الاتجاه الرامي الى ابقاء دولة رومانيا غير صناعية ورغبتهم ايضا في رفع مظاهر التفاوت الاقتصادي بين الاقطار الشيوعية على اساس ان يقبل المتقدمون صناعيا اعانة المتاخرين حتى يمكن الحصول على تطور شيوعي متوازي وقد عقد في موسكو (يونيه 1962) مؤتمر مهم لدول الكوميكون وفي خلال اجتماع الذروة الذي عقدته هذه المنظمة بعد ذلك اعتقد الكثيرون ان الممثلين الرومانيين قد ذهبوا اشواطا بعيدة في الدفاع عن وجهة رأيهم الاقتصادية الخاصة هذا بينما كانوا يجدون في نفس الوقت في البحث عن متعاملين في الغرب يتعاملون معهم ضمن اوفاق تجارية وصناعية عديدة ، ويؤكد عدد من الخبراء في هذا المجال ان المبادلات التجارية بين رومانيا والدول الراسمالية قد توسع حجمها على اساس ذلك توسعا كبيرا الى درجة انها يمكن ان تكون مساوية في الاهمية الآن لما لهذه البلاد من علاقات اقتصادية مع دول الكوميكون ومع ذلك فان الاهتمام بمضاعفة التعامل مع الغرب لا يزال مستمرا وخاصة مع المانيا الغربية وايطاليا وفرنسا بل الذي راج منذ عدة شهور في بعض اقطار الكوميكون ان السلطات الرومانية يمكن ان تكون قد عهدت الى شركات غربية ببناء منشآت صناعية ضخمة قد لا يتفق وجودها مع سياسة التناسق والتكامل الاقتصادي التي ينص عليها دستور الكوميكون وبالاخص بعد مؤتمر الذروة الذي عقدته هذه المنظمة بتاريخ 2 يونيه 1962 وبحثت اثناءه امكانيات توزيع النشاط الاقتصادي بين الدول الشيوعية على اساس قابلية كل بلد وامكانياته وقد تثير العلاقات التجارية مع الصين كنتيجة للازمة الناشئة معها في الوقت الحاضر ــ تثير هذه العلاقات بعض التفاوت في الآراء والمصالح بين الروس والرومانيين وذلك نظرا لما يوجد بين الصين ورومانيا من صلات تكاد تكون عادية ان لم تكن ودية ينعكس مفعولها على الميدان التجاري وغيره الا ان هذا الموضوع لم يحدث لحد الآن اي اختلاف له اهمية اساسية ومن الملاحظ ان سياسة رومانيا الاقتصادية وبالاخص موقفها من الكوميكون ما زال يثير في بعض الاحيان انتقادات علنية من جانب بعض الاحزاب الشيوعية الاخرى الموالية للسوفييت ومن امثلة ذلك مضمون المقال الذي نشرته منذ عدة اشهر الصحيفة الشيوعية المجرية « ما جيار نيمزيت » والذي اخذت فيه على الرومانيين سلوكهم تجاه الكوميكون وما يمكن ان يثيره ذلك من مصاعب امام المنظمة الشيوعية الناشئة .

على ان الموضوع الاقتصادي ليس هو بالفعل المجال الوحيد الذي تظهر من خلاله تطورات التفكير الشيوعي الروماني في الاونة الحاضرة بل ان ثمة بعض المظاهر الاخرى لها صبغة سياسية وثقافية يمكن ان تثير بعض الاهتمام بهذا الصدد فمن الناحية السياسية مثلا تبرز امام الملاحظ الظاهرة التي تجلت خلال العام الماضي في بعض جلسات الامم المتحدة ، والتي شذت فيها رومانيا عن الانسجام في احدى حالات التصويت مع بقية الوفود الشيوعية الاخرى كما هي العادة دائما عند الشيوعيين في مجالس الامم المتحدة ومنظماتها والواقع ان هذا الانسجام في التصويت هو احدى المعوضات الاساسية التي يستعيض بها الوفود الشيوعية بالامم المتحدة عن الكثرة العددية التي تتوافر للغربيين ولذلك فان الموقف الروماني كان ظاهرة لافتة النظر ؛ على الرغم من ان هذه الظاهرة كانت ظاهرة عابرة ، ولا تدل على تحول حقيقي وشامل من قبل الرومانيين .

اما من الناحية الثقافية فثمة ايضا مجال لملاحظة بعض الظواهر التي لها مغزاها : (التوسع في تعليم اللغات الحية الاخرى الى جانب الروسية في الجامعات الرومانية ــ فتح الباب امام الكتب الاجنبية بما فيها الكتب الغربية ، وعدم الاقتصار على كتب الاقطار الشيوعية ــ نقل المقالات والبحوث غير الشيوعية في المجلات والصحف الرومانية ، وهكذا الى جملة مسائل من هذا (الباب) لكن السؤال الذي يفرض نفسه مجددا

على هامش هذا الموضوع . ماذا تعنيه هذه الظواهر ؟ والى أي حد يمكنها ان تدل على امكانية تحول فكري داخل الحزب الشيوعي الروماني ؟ ان مما لا ريب فيه ان شيوعية الحزب الشيوعي الروماني لم يطرا عليها اي تعديل حقيقي يغير من جوهريتها ، بل ان مذهبيته هي اكثر التزاما للمقتضيات الشيوعية التقليدية من تجميع زراعي كامل ، ومناهج مماثلة في السياسة والاجتماع وغيره ، لكن الذي يبدو من جانب آخر ـ ان النظرة الشيوعية للحزب هي الآن على نحو يجعلها تتسع لكثير من الاعتبارات القومية والمحلية وبصورة تمتزج فيها المصالح الرومانية الخاصة بالمبادىء البروليتارية الدولية امتزاجا تتفاوت مظاهره واشكاله ، وهذا الامتزاج قد يعتبره القوامون على الحزب دليلا على الالتزام لشيوعية اصيلة ؛ فالحرص على التصنيع الذاتي والسعي وراء مساواة كاملة في النمو الاقتصادي داخل الاسرة الشيوعية ، وعدم التحيز ضد جانب او آخر من الاطراف الشيوعية المتخاصمة كل ذلك لابد ان يكون منسجما بالضرورة ـ كما يجوز ان يقولوا ـ مع مصالح الدولية البروليتارية ، والحركة الماركسية العالمية ، سيما وان المجالات المقبلة للتنافس بين الشرق والغرب هي ـ كما يعتقده الروس وحلفاؤهم بالذات ـ مجالات اقتصادية قبل كل شيء يعتمد فيها على ارقام الانتاج ودرجات التطور الصناعي والاجتماعي والزراعي وغيره اكثر مما يعتمد على قوة الاسلحة وضخامة الجحافل ، وشدة البأس .

2) الحزب الشيوعي البولاندي واذا ما ذكر هذا الحزب فلابد ان يثير ذلك في الذهن تطورات اكتوبر 1956 تلك التطورات المثيرة التي اجتازتها الشيوعية البولاندية واستطاعت بنجاح ملحوظ ان تتغلب على عواقبها الداخلية والدولية ايضا ، وتتفق حوادث بولونيا تلك السنة مع حوادث المجر ، وخاصة في بعض التفاصيل الا ان الصورة التي تمت بها نهاية الحوادث تختلف بالنسبة لهؤلاء واولئك ، ومع ذلك فقد بدا الاتجاه العام عند الحزبين يسير بعد ذلك اي خلال السنوات الاخيرة سيرا تقول عنه المصادر الغربية انه يتسم بكثير من الليبرالية والمرونة ، وتبدو بولندا ـ بهذا الصدد ـ اكثر اثارة للالتفات وادعى الى امعان النظر فعلى الرغم من ان الحزب الشيوعي بهذه البلاد لم يسر طويلا في طريق الخضوع لاعتبارات ثورة اكتوبر سنة 1956 ولا يبدو انه يعمل ـ مباشرة او ضمنيا ـ على احداث انشقاقات داخل الحركة الشيوعية الدولية ، او حتى مجرد احداث « حالة » سياسية خاصة في حظيرة هذه الحركة ـ على الرغم من ذلك فان الشيوعية التي ينهجها الحزب البولاندي تخضع في بعض مناحيها لجملة من المؤثرات والخصائص البولاندية التي تتصل سواء بالاجتماع او الاقتصاد او الروحيات او غير ذلك ، فبالنسبة للاقتصاد مثلا ـ يلاحظ ان بولندا تكاد تكون من بين الدول الشيوعية القليلة جدا التي لم يطبق فيها لحد الآن مبدا التجميع الزراعي بالصورة التي تعرفها الديموقراطيات الشعبية الاخرى في شرقي اوربا اي ان يصل نظام التجمع الى نحو مائة في المائة تقريبا كما هو الشأن في رومانيا مثلا او ما يقرب من ذلك كما هي الحالة في المجر بل ان هذا التجمع في بولاندة يمكن اعتباره منعدما في بعض الحالات ، ولذلك ، فنظام القطع الارضية الخاصة لا يزال معمولا به على نطاق واسع ويؤكد بهذا الشأن ان هذا النظام لم يؤد بتاتا الى الحيلولة دون تطبيق سياسة توسع زراعي منتج ، بل ان الحالة ببولاندا تعتبر ـ في هذا المضمار ـ احسن مما هو عليه الامر عند عدد من اعضاء الكوميكون الاخرين .

وظاهرة اخرى يلاحظها الخبراء بالشؤون البولاندية وهي ان الاقتصاد البولاندي لا يتجه دائما الى فرض التقتير الشديد على موارد الاستهلاك الاجتماعي كما هو الحال في ديموقراطيات شعبية اخرى ، وان كان هذا التقتير لا يفرض نفسه في حالات عديدة ، ولا يعود هذا في الحقيقة الى ان موارد البلاد وامكانياتها الانتاجية هي من الضخامة واللامحدودية بمكان كبير ، بل يرجع ذلك فقط الى انتهاج نوع من التوسع في الاستيراد عند ما تنعدم الحاجيات المحلية ، وذلك ما لا تسمح به المناهج المتبعة في عدد من الاقطار الشيوعية باوربا وغيرها ، وهناك كذلك احوال خاصة اكثر ليبرالية تتعلق بنظام الاجور ، وحرية العمل والاستخدام ، تلاحظ كذلك على صعيد الحياة البولاندية الحاضرة ، اما بالنسبة للروح والقضايا الروحية فان الكنيسة بزعامة « ويتزينسكي » تلعب دورا ذا اهمية حقيقية ومتزايدة على الرغم من حالة التشاحن والتوتر التي تحدث احيانا بين المسيرين الدينيين والمسؤولين على مستوى الحزب والحكومة ، وقد تفضي هذه التوترات في بعض الاحوال الى اثارة حوادث مقلقة ، كما حصل منذ بضع سنوات في احدى المدن العمالية النموذجية ، الا ان هذه الحوادث سرعان ما اخمدت ذبولها ليس ـ بالضبط ـ كنتيجة منطقية لاستعمال الوسائل القمعية المباشرة ، بل بسبب الرغبة

فى التفاهم التي يلجأ اليها عادة الرئيس الديني « ويتزستسكي » وحواريوه من جهة ، والمسيرون الحزبيون والحكوميون من جهة اخرى كلما حزبت الامور وبلغت درجة التوتر على شكل من الاشكال ، والواقع ان النهج الذي تحتذيه الشيوعية البولاندية ليس ناشئا بالضرورة عن روح مضادة للثورة على حد تعبير الشيوعيين وانما هو منبثق عن اعتبارات تتعلق بطبيعة المجتمع البولاندي ، وطريقة التفكير والسلوك التي تسود هذا المجتمع وقد داب الحزب الشيوعي البولاندي على التوفيق بين الضرورات الايديولوجية التي تقتضيها نسبته الى الماركسية اللينينية وبين الحقائق المعاشة التي تحدد واقع الحياة الفكرية والاجتماعية والروحية عند البولانديين ومن سبق الاوان الادعاء بان طريقة التوفيق هذه قد اصابت كل ما يبتغى منها من نجاح الا ان الذي يمكن تاكيده — على اي حال — ان على هذا النجاح يتوقف مصير بعض التجارب « التعديلية » في شرق اوربا .. هذا في نفس الوقت الذي اخذت فيه مثل هذه التجارب تعرف مزيدا من الانتشار في المنطقة الشيوعية الاوربية بالاخص ، حيث لم يعد من الممكن الآن القول بان « يوغوسلافيا » هي وحدها التي تنهج نهجها الشيوعي الخاص ضمن اطار التعديلية التي ما فتئت توسم بها منذ زمن يسير.

3) الحزب الشيوعي الفرنسي ، ويعتبر هذا الحزب من اكبر الاحزاب الشيوعية في غربي اوربا ان لم يكن من اهم الاحزاب الشيوعية غير الحاكمة في العالم ، ولا يدانيه في هذه الاهمية الا الحزب الشيوعي الايطالي ، وكلا الحزبين يعرف في هذه الايام نشاطا ملحوظا يتصل بوضعيتهما السياسية الداخلية اما في موضوع السياسة الخارجية وعلى الاخص ما يتصل من ذلك بالعلاقة بين الاحزاب الشيوعية العالمية والمشاكل النظرية والعملية الناشئة عن كل ذلك فقد برز الحزب الشيوعي الفرنسي في هذا المضمار — كما تقدم — بتدخلاته العنيفة ضد الدوكماتيين وحملته الشديدة على النظرية الصينية — الالبانية سواء من حيث اصولهما الفلسفية او مشتقاتها السياسية والاجتماعية والدولية وليس المهم في الامر وجود هذا الموقف الذي يتخذه الحزب الشيوعي الفرنسي ضد الدوكماتية و « التحلية » ايا كان مصدرها ، وانما الادعى من ذلك الى اثارة النظر هي التطورات الفكرية والعقائدية التي بدات تظهر من خلال نظريات هذا الحزب والفوارق الملحوظة التي توجد بين هذه النظريات

وبين الخط السياسي التقليدي الذي تقتفيه الاحزاب الشيوعية والمتشيعة ، ومن المنتظر ان يكون شهر مايو من السنة الحالية نقطة تاريخية في حياة الحزب حيث ان على المؤتمر السابع عشر ان يبت في عدد من التحويرات المذهبية والعقائدية التي اصبح من الضروري ان ياخذ بها الشيوعيون الفرنسيون خاصة بعد التطورات الملحوظة في حظيرة الحركة الشيوعية الدولية وبعد ان غدت محاولات التقارب مع الحزب الاشتراكي الفرنسي تزداد اهمية بتاثير قرب الانتخابات الفرنسية القادمة ومن اجل تسهيل هذا التقارب — على ما ظهر ، ومن اجل التلاؤم مع الحقائق العالمية والداخلية الجديدة قبل الحزب ادخال عدد من المظاهر الليبرالية في جهازه وعقليته المسيرة (وقد يكون ذلك لاسباب تكتيكية لا غير ، كما هو الشان عند الشيوعيين في كثير من الحالات من هذا القبيل) ومن المواطن التي تثير الاهتمام والتي يتضمنها المقرر الذي سيعرض على الشيوعيين الفرنسيين في المؤتمر المقبل (نشرت « لومانيتي » اخيرا نص هذا المقرر) يوجد عدد من الانتقادا الذاتية على مستوى الحزب لا على مستوى الافراد كما هوملاحظ عند عموم الاحزام الشيوعية ، ومن هذه الانتقادات : الانتهازية وروح التحزب الضيق واشياء من هذا الباب الا ان الذي يثير الاهتمام اكثر من ذلك هو الصرامة اللفظية التي شجب بها الحزب في تقريره مبدا نظام الحزب الواحد هذا المبدا الذي يتبرا منه الشيوعيون الفرنسيون بموجب هذا المقرر ويلقون تبعية العمل به على كاهل « ستالين » والعهد الستاليني عموما لكن كيف يستطيع واضعوا النظريات الماركسيون ان يوفقوا بين هذا الموقف الذي اتخذته الشيوعية الفرنسية وبين طبيعة الانظمة السياسية التي تنهجها الاحزاب الشيوعية الحاكمة ؟ وكيف يمكن التوفيق ايضا بين هذا او بين النقد الذي يوجه عادة من قبل الشيوعيين ضد الاحزاب الاشتراكية غير الشيوعية ؟.

فهل هناك اتجاه شيوعي فرنسي معين ، له عوامله الاقليمية الخاصة أم ان الامر لايعدو حالة من رد الفعل ضد الدوكماتية الذي يحمل الحزب الشيوعي الفرنسي لواء مناوانها في منطقة الغرب الاوربي ؟ ان مجرد ادانة مبدا الحزب الواحد واعتناق افكار ليبرالية على هذه الشاكلة كل هذا لا يكفي لتكوين حكم صحيح حول العوامل الفكرية الداخلية التي تؤثر في اتجاهات الشيوعيين الفرنسيين ، واستبانة ملامح خطة خاصة ، يمكن ان يتبناها الحزب خارج نطاق الكتل الشيوعية

الموجودة ، غير ان هناك ـ مع ذلك ـ سبيلا الى القول بان هذا الحزب وان كان خطه العام يوجد منسجما دائما مع الخطة السوفياتية ، ومن يتصل بها ، الا انه من الممكن ان تتبين من اتجاهاته كذلك نوعا من الاهتمام الخاص بالوضع الاقليمي الاوربي الذي يحيط به، ولذلك نجده لا يختلف عن الحزب الشيوعي الايطالي في طبيعة الاطار الاوربي الذي اصبح يشغل بعض جوانب تفكيره ، والدعوة ـ تبعا لذلك ـ صراحة او ضمنا ـ الى عقد مؤتمرات اقليمية تضم خاصة الجماعات الشيوعية التي تنتسب الى غربي اوربا . ويبدي الحزب الشيوعي الايطالي تحمسا ملحوظا لهذه الفكرة ، وقد دعا اليها علنيا في بيان اصدره اواخر شهر اكتوبر من السنة الماضية وابدى فيه تحفظه في نفس الوقت من فكرة عقد مؤتمر شيوعي عالمي لمعالجة المشاكل القائمة اعتقادا منه ان هذا المؤتمر سوف لن يؤدي الا الى نتائج سلبية، ان لم تكن خطيرة على مستقبل الحركة العمالية الدولية .

وقد برز الحزب الشيوعي الايطالي ـ منذ عدة سنوات ـ بفكرة كان من الممكن ـ لو برزت في العهد الستاليني ـ ان تعتبر فكرة غير لائقة ان لم ينظر اليها كمظهر من مظاهر المروق والانحراف ، والفكرة هذه هي ما يمكن التعبير عنه ب « تعدد المراكز » اي الاقلاع عن اعتبار دولة ما من الدول الشيوعية كمركز اشعاع اساسي ووحيد للمذهبية الماركسية اللينينية ، وفتح الباب على مصراعيه امام مبدا تعدد المراكز الشيوعية تبعا لتعدد المناطق العالمية واختلاف الاوضاع والملابسات التي تسود هذه المناطق وقد يكون ثمة صلة ما بين دعوة تعدد المراكز هذه التي ترجع الى عدة سنين ، وبين الدعوة الحديثة لاجتماع الاحزاب الشيوعية الغربية على الصعيد الاقليمي الاوربي ـ قد تكون ثمة صلة ما بين هذه الدعوة وتلك ، وسواء كان هذا او غيره ، فان الظواهر التي تبتدىء من خلال نشاط الحزبين الشيوعيين الفرنسي والايطالي تعكس قدرا مهما من التطور الفكري والمذهبي الذي ما انفك يؤثر على سلوك هذين الحزبين ويكاد يوجههما وجهة تختلف في بعض التفاصيل عن وجهات عدد من الاحزاب الشيوعية الاخرى سواء في آسيا او غيرها .

4) الحزب الشيوعي السويدي ، وهو رابع الاحزاب الشيوعية العالمية ، التي اتخذنا منها نماذج للدلالة على مظاهر التطور الجديد في سير الحركة العمالية الدولية ، والواقع ان التحول الفكري والايديولوجي الذي سجله هذا الحزب في الفترة الاخيرة ، يختلف كثيرا عن عدد من مظاهر التطور الشيوعي من هذا القبيل ذلك ان الحزب السويدي قد سار بعيدا في الاستجابة لعوامل التحول ودواعيه ، ومن الممكن القول على اساس ذلك انه يكاد يشكل « حالة » خاصة تخلف عن كثير من الحالات الشيوعية التي عرضنا لها آنفا ، وقد كان المؤتمر الاخير الذي عقده الحزب في اوائل يناير الفارط وتم خلاله انتخاب « هيرمانسون » لزعامة الحزب وهو من عناصر التيار الجديد الذي يتزعمه المثقفون الشباب في حظيرة الحزب بدلا من « هيلدنغ هاكبرغ » الذي تتمثل فيه الطبقة القديمة والمخضرمة ـ كان هذا المؤتمر مناسبة مهمة لاستجلاء مظاهر التطور الحاصل داخل اوساط الشيوعيين السويديين ، وما يعتمر في صفوفهم من نوازع وتيارات مذهبية متعارضة ، وقد عانى الحزب الشيوعي السويدي كما هو الحال بالنسبة للحزب الشيوعي الايطالي ـ عانى كل من الحزبين من ذيول الحوادث الهنغارية (1956) هذا الى جملة اسباب اخرى داخلية وخارجية ساهمت في تاخر الشيوعيين السويديين على الصعيد البرلماني او غيره الامر الذي بات يشكل ازمة مشتركة ، ما فتئت نتائجها مجموعة أن مست الحركة الشيوعية باسكندنافيا ، أي سواء بالدنمارك او النرويج او غيرهما ولا شك ان مثل هذه الاحوال ، تعتبر فشلا للسياسة التي كانت تنهجها القيادة المستقيلة حيث كان من الضروري ـ كما ترى عناصر التيار الجديد ـ ان يقع التخلي عن كثير من المعطيات الكلاسيكية الشيوعية ، التي لم يعد التمسك بها متفقا مع حقائق العالم الراهنة ، وقد كان مؤتمر يناير الماضي مسرحا لمناقشات مذهبية واسعة المدى حول هذه المواضيع ، بل ان هناك من المندوبين من ذهبوا الى حد القول بضرورة اجتناب التقيد بتعاليم « ماركس » و « لينين » باعتبار ان هذه التعاليم لا تستطيع ان تصمد دائما امام التطورات العالمية السريعة وما تقتضيه هذه التطورات من تلاؤم مع مختلف الاوضاع والحقائق المتجددة التي يزخر بها العالم الحديث .

ومما له اهمية بالغة في هذا المضمار ، الفكرة التي حللها رئيس القيادة الجديدة امام المؤتمر (هيرمانسون) والتي اقر بمقتضاها ـ وبدون مواربة ـ مبدا البرلمانية كسبيل افضل لتحقيق الاهداف الشيوعية كما اقر

كذلك حرية النقد والمراجعة داخل الحركة الشيوعية السويدية ؛ وهذه نقط حساسة جدا تتصل اول ما تتصل بصميم الافكار ووجهات النظر التي تتناقض حولها – كما يبدو – بعض جوانب الستالينية واللاستالينية وقد تؤثر على اتجاهات بعض الاحزاب او الاخرى واختياراتها المبدئية والمنهجية الى حد كبير واذا اضيف الى كل ذلك ما تردد على لسان القيادة الجديدة للشيوعيين السويديين من وجوب نبذ التعلق بالتجارب الشيوعية الممارسة خارج السويد ، واتخاذ المجتمع السويدي والحقائق السويدية الخاصة كسبيل ونموذج وهدف ، بل وكما ذهب البعض الى حد المطالبة بشجب تصريح سنة 1960 الذي صادقت عليه الاحزاب الشيوعية العالمية بموسكو والذي يشكل احداث ميثاق للحركة الماركسية الدولية ، اذا وضعنا كل هذا في الاعتبار امكننا ان نتبين اهمية الابعاد التي تمثلها الاتجاهات الشيوعية الجديدة بالسويد ، وما تعكسه من تحولات فكرية مهمة اصبحت تؤثر بدرجات متفاوتة جدا على كثير من الاحزاب الشيوعية في اوربا بل في العالم .

لا نريد ان نخلص من كل هذا الى التاكيد بان الظواهر الشيوعية التي عرضنا لها آنفا سواء في شكلها الروماني او البولاندي او الفرنسي – الايطالي او السويدي او غيره – هي على مستوى الخلاف الموجود بين الكتلة الموالية للسوفييت والكتلة الصينية الالبانية بحيث تمثل كل ما في هذا الخلاف من اهمية وعمق تاثير على حالة العلاقات الشيوعية الحاضرة لا نريد – في الحقيقة – ان نخلص الى استنتاجات على هذا المنوال فالواقع ان الظاهرة الصينية السوفياتية قد بلغت بالفعل درجة « الازمة » ؛ الازمة التي اصبحت تنال من العلائق بين البلدين لا في مستواها الحزبي فقط بل على الصعيد الدولي كذلك ولهذا فان من الجائز القول ان القضية السوفياتية لم تعد مطلق قضية ايديولوجية شيوعية بقدر ما اصبحت – الى ذلك – قضية دولية قائمة لها كل ما للقضايا الدولية العامة من تاثير عالمي واسع ؛ وانعكاسات تمس الحياة الدولية من قريب او بعيد وليس كذلك الشان في القضايا المذهبية الاخرى العارضة مثلا داخل نطاق الحزب الشيوعي السويدي والفرنسي او غيرهما ، اذ ان هذه القضايا ما زالت محصورة في نطاق محدود لم يصل الى النيل من مستوى العلاقة الدولية القائمة مع السوفييت وحلفائهم ، وذلك اما لان المعنيين بمثل هذه القضايا لم يريدوا او لم يستطيعوا ان يصلوا بالامر الى الدرجة التي عليها الخلاف الروسي الصيني ، او لان مستوى خلافاتهم لم تبلغ فعلا هذه الدرجة (رومانيا مثلا) واما لان هناك نوعا من الانسجام قد حصل فعل وقطع كل سبيل لتطور اي خلاف (بولندا مثلا) واما لان الامر لا يوجد فعلا بين دولتين شيوعيتين متكافئتين بل بين حزبين، يتولى واحد منهما شؤون دولة ، كالاتحاد السوفياتي ، مثلا ويوجد الاخر خارج الحكم الامر الذي لا يدعوه او لا يمكنه من احداث اي اثر على المستوى الدولي مهما كان الخلاف متسعا ودواعيه متوافرة وحادة (مثلا : الحزب الشيوعي السويدي وعلاقاته بالاتحاد السوفياتي) .

على ان الميول الخاصة والمستقلة احيانا تلك التي اخذت تؤثر على وجهة بعض الاحزاب الشيوعية سواء من ناحية العقيدة او النهج السياسي – هذه الميول اذا كانت لم تؤد – بالفعل – الى احداث ازمة مع الروس على المستوى الدولي كما هو الحال بالنسبة للعلاقات السوفياتية الصينية – فانها – مع ذلك – تنطوي – في حد ذاتها – على دلالات وامكانيات تطورية لها اهميتها التي لا تنكر ، فهي تدل ولا شك على ان الجليد الذي كان يلف العالم الشيوعي قد ذاب فعلا او هو آخذ في الذوبان لا في داخل الاتحاد السوفياتي والديموقراطيات الشعبية فحسب بل ايضا داخل الاوساط الشيوعية غير الحاكمة وعلى صعيد الحركة العمالية الدولية عموما وتدل في نفس الوقت – وهذا هو اهم ما في الامر – ان ذوبان الجليد هذا لم يتم بطريق واحد ومشترك بين الجميع ، ولم يؤد – ايضا – الى نفس النتائج والاوضاع عند الجميع فقد فهمت اللاستالينية مثلا عند بعض الاحزاب الشيوعية على انها لا تعني شيئا الا مجرد انتهاج سياسة المناداة بالتعايش وتاكيد الرغبة في اتباع طريق السلام وادركها البعض الاخر على انها تعني التحلل من بعض القيود والالتزامات التقليدية عند الشيوعيين وانتهاج سياسة اكثر « قومية » وذاتية ورأى آخرون من خلالها متاثرين بظروفهم الداخلية الخاصة – ضرورة التخلي عن الالتزام المذهبي بصورة تتيح اكثر قدر من حرية الاستنتاج والاختيار والعمل ولو كان من دواعي ذلك التنكر لبعض المقتضيات الايديولوجية التي تعتبر في حكم المسلمات الثابتة والتي يمكن ان يكون قد مر عليها وقت وهي محط قداسة ذات صفة مطلقة احيانا ، وقد فتحت اللاستالينية كذلك سبيلا امام البعض للتفكير على اسس جديدة تسمح

بتقدير الواقع الصناعي والحضاري المتمثل في البلدان الراسمالية وتسمح كذلك بالاشادة ببعض جوانب هذا الواقع والجهر بضرورة الاقتباس منه بما يتفق مع مصالح الاقطار الشيوعية وتقدمها (*) ، ومن مناحي هذا التفكير الجديد ايضا مناقشة موضوع اللاحقية في في تولي الزعامة الشيوعية العالمية ورفض البعض مبدا استئثار اية دولة شيوعية بهذه الزعامة وبروز بعض الاحزاب في هذا المضمار ، وخصوصا منها الاحزاب غير الحاكمة التي لم يعد بعضها يكتفي بمجرد المسايرة والاحتذاء بل اخذ يبذل مزيدا من التفكير على المستوى القاري في توجيه بعض جوانب الشيوعية الاوروبية ، وان عوامل اخرى اكثر « آسيوية » قد غدت تؤثر في تكييف بعض مناحي الشيوعية الاسيوية . وهكذا دواليك ، ومما يستحق المزيد من التامل في هذا المجال ، ان الصين نفسها — على الرغم مما توسم به عند الاخرين من دوكماتية فانها — مع ذلك — ما برحت تبدي قدرا من المرونة في بعض ميادين العلاقة بينها وبين الخارج ، اي بما في ذلك ايضا حتى اقطار العالم الاطلسي على وجه عام ومن ثم كان هناك مجال لتساؤل بعض الملاحظين حول الصين وهل من الممكن ان تقوم بنوع من « الانفتاح نحو الغرب » وقد يبدو التساؤل عن هذا الانفتاح مثيرا لبعض الغرابة لكن الذي يؤكده هؤلاء الملاحظون ان تنمية المبادلات التجارية مع اقطار المعسكر الغربي توجد اليوم من بين الاهداف المهمة التي تتوخاها السياسة الخارجية الصينية بل وكذلك الامر في ميدان الاتصالات الثقافية ، ومن الملاحظ كذلك ان هذا الانفتاح على الغرب من جانب الصينيين يقابله كذلك « انفتاح آخر على الشرق » من طرف بعض الدول الراسمالية كانجلترا واليابان وفرنسا بصورة اخص ولا شك ان مجموعة هذه الآفاق والظواهر والاحتمالات التي يمكن تبنيها من خلال السياسة المتبعة عند عدد كبير من الدول الشيوعية القائمة ، ومن خلال السلوك المذهبي والسياسي الذي اصبحت تقتفيه اليوم كثير من الاحزاب الشيوعية غير الحاكمة ، متاثرة في ذلك بالنظرية الصينية او السوفياتية او منفعلة — عوض ذلك — بالمؤثرات المحلية او الدولية المستقلة عن كلا الجانبين ، لا شك ان كل ذلك لا يكفي — كما ذكرنا — لتمكين المرء من القول بان الحركة العمالية الدولية ، قد اصبحت بالفعل عبارة عن مذاهب ونزعات مستقلة عن بعضها البعض ، وان انفصاما ايديولوجيا متعدد الاطراف ، قد اصبح محتملا بالضرورة وحتمية لامناص من حصولها فالواقع ان تبلورات عقائدية واتجاهية على هذا النحو لم تصبح بعد امكانية كاملة العناصر يمكن اعتمادها لتكوين استنتاجات واسعة المدلول مثل هذه فلا زال هناك اساس قوي للادعاء بان الطريق غير الملتزمة قليلا للماركسية ، تلك التي اصبحت تحتذيها احزاب غير حاكمة كالحزب السويدي مثلا هي راجعة فقط — كما اسلفنا — الى اعتبارات تتعلق بالستراتيجية اي انها مجرد محاولات للتكيف الموقت مع الحقائق المحلية العارضة سرعان ما تفقد مبرراتها بزوال الاسباب الباعثة عليها ويبقى الجوهر الماركسي الاصلي قائم الفاعلية والتاثير ، ومثل هذا السلوك هو مالوف عند عامة الشيوعيين بل ومن خصائصهم الاساسية الاصيلة وما زال من الممكن كذلك القول بان الخلافات الدولية الشيوعية في مستواها الثانوي كالخلاف بين الحزب الروماني واقطار « الكوميكون » هي مطلق خلافات مصلحية عابرة ، كالخلافات نفسها القائمة داخل منظمات دولية مماثلة مثل السوق الاوروبية المشتركة ، وانها لا تعكس لذلك وجود اي عامل حقيقي من شانه ان يؤدي الى انفصام على المستوى المذهبي العام وفي ميدان الخط السياسي الدولي الذي يحتذيه الشيوعيون عموما ، بل ليس هناك مانع من الزعم ايضا بان الخلافات الشيوعية الدولية في مستواها الاعلى كالخلاف الصيني السوفياتي ليست لها ابعاد ايديولوجية عميقة الغور ، بل انها قد لا تكون ناشئة الا عن تصادم بين المصالح السياسية المباشرة للدولتين وتتحكم فيها مجرد اعتبارات « قومية » و « نفوذية » ترجع الى التنافس على الزعامة والتسابق نحو تحقيق تفوق وطني ودولي على حساب الفريق الآخر ، او بالاقل مصالح الفريق الاخر ، اكثر مما ترجع الى اعتبارات فلسفية او مذهبية حقيقية ، تتحكم فيها آراء « انجلز » او « ماركس » او « لينين » او غير هؤلاء او اولئك ، ما برح المجال ممكنا بالطبع لترديد وجهات نظر من هذا النوع ودعمها ببعض الادلة والحقائق وليس المقصود هنا ، دحض مثل هذه الاوجه من النظر التي لا شك انها تجد احيانا ما يسندها على اي حال ، وانما المقصود فقط هو امكانية الادعاء

(*) من ذلك ما اعلنه رئيس الحكومة السوفياتية في التقرير الذي قدمه يوم 28 فبراير الماضي الى المؤتمر الزراعي بموسكو من ان الروس قد لجأوا فعلا الى اقتباس بعض الاساليب الامريكية في موضوع تطبيق العلم على الفلاحة ، واشاد في نفس الوقت بروح الواقعية في هذه الاساليب .

بان الظواهر والآفاق المتجلية من خلال الاوضاع الشيوعية الحاضرة ـ بغض النظر عن دوافعها الحقيقية وطبيعة الاهمية التي تكتسيها في الامد البعيد ، فانها تعكس ـ مهما كان الامر ـ وجود تطور تريخي مهم من الضروري ان تكون له نتائجه وانعكاساته ، وسواء أكان الامر « مذهبيا » خالصا او ممتزجا باعتبارات سياسية واقتصادية عابرة او قارة ، او خاضعا لعوامل تكتيكية ومرحلية فان من الجائز التاكيد بان الظواهر الراهنة لابد ان يكون لها ارتباط بحركة تطورية عالمية ، نشاهد بعضا من آثارها حتى في حظيرة الكتلة الغربية ، كالخلاف بين فرنسا والولايات المتحدة (وان كان هذا الخلاف لم يتخذ كما اسلفنا الصورة الانفصالية السريعة التي اتخذتها الظاهرة الصينية ، ويمكن مقارنة بعض مظاهره بما يمكن أن ندعوه عند الشيوعيين ب « الظاهرة الرومانية » اي اظهار بعض الاستقلال في التصرف مع المحافظة على البقاء في الكتلة القائمة) وهذه الحركة التطورية العالمية يبدو انها تتجه اتجاها لا يتفق مع استمرار حالة التماسك المتين في حظيرة الكتل الدولية الموجودة كأن الامر في ذلك مترتب على بروز حتمية تاريخية ، تقضي بان مرحلة التكتلات هذه التي شغلت الحيز الاكبر من تاريخ ما بعد الحرب لا بد ان تصل الى مصير تبدأ منه مراحل اخرى تتناسب مع التطورات السريعة الموجودة في العالم ولعل بعضا من هذا التفكير او مما يماثله هو ما حدا برئيسة حكومة قطر اسيوي من اقطار الحياد (جزيرة سيلان) الى ان تعلن رأيا يبدو غريبا من أول وهلة وبموجب هذا الراي ان اكبر نصر يمكن ان تحرزه فكرة الحياد في الوقت الحاضر هو في التخلي عن ممارستها اي ان الجو الدولي الذي كان يدعو الى التشبث بحالة الحياد ، والترويج لها على المستوى العالمي ـ هذا الجو قد تطور بشكل من شأنه ان يؤدي الى التخفيف من تاثير العقد التي ما برحت تتحكم في نفسية المتكتلين ضد بعضهم البعض وذلك ما لم يعد يعطي للحياد اهميته الناشئة عن وجوده كعامل على التخفيف من حدة التناقضات الدولية القائمة منذ نهاية الحرب انه ليس من الضروري ولا من الممكن ايضا ان نساير هذا المنطق مسايرة مطلقة ، فنعتقد في قرب وقوع تحولات عالمية مثيرة على النحو الذي يتراءى من خلال ذلك وبصورة سريعة جدا ، الا ان هذه التحولات ـ ولو انها لم تحدث بمثل هذه السرعة ـ فان الحقيقة التي لا مجال فيها للمرء ان الصورة التي كانت عليها الاوضاع الدولية خلال السنوات الخمس عشرة الماضية ، لا بد انها قد اخذت تتجه نحو نوع من التطور، وان هذا التطور ـ اذا ما حاولنا تبين بعض آفاقه من ناحية الكتلة الشيوعية مثلا التي هي مجال موضوعنا هذا ـ فانه لا يمكن ان يفضي بالضرورة الى ظهور كتل جديدة قوية ككتلة صينية مثلا تجمع عددا من الدول الشيوعية الاخرى التي قد تنضم اليها ـ لان مبدا الكتل نفسه لم يعد يتمتع بالبريق النظري والعملي الذي كان له من قبل في ذهنية كثير من الحكومات والشعوب ـ وانما الذي يمكن ان يؤدي اليه هذا التطور الملحوظ ، هو فرض نوع من المرونة والتساهل في طبيعة التفكير التكتلي واستدراج المتكتلين نحو التخفف من التزاماتهم المذهبية الصارمة ، اي استباحة قدر من حرية التفكير والاستنتاج والسلوك ، سواء في موضوع التطور الذاتي او في ميدان التعامل على الصعيد الدولي والعالمي ، او في غير ذلك من المجالات ، ومجمل هذه الآفاق لم تعد لها في الواقع مجرد قيمة احتمالية فقط ، بل انها اصبحت ـ الى ذلك ـ تتخذ شكل حقائق موجودة بالفعل ، وغدونا نلمح آثارها كما تقدم سواء في سلوك الاتحاد السوفياتي ومن يواليه من الشيوعيين ، او في سلوك الصين نفسها ، ومن ياخذ بنظريتها السياسية والمذهبية ، ان هذا لا يعني بالضرورة نهاية الحالة التكتلية القائمة بين الدول الشيوعية سريعا ، ولكنه يعني فقط ، ان الكتلة الشيوعية ـ كغيرها من الكتل الاخرى ـ قد اصبحت ملزمة سواء منقسمة على نفسها أو ملتئمة ـ بان تخضع للتيارات الجديدة التي تجتاح العالم : أي هذه التيارات التي تجعل من الالتزام التكتلي الاعمى امرا غير ذي موضوع ، وما امر الخلافات القائمة سواء عند الشيوعيين او غيرهم ، الا مظهر من مظاهر التحول التاريخي المؤذن بالسير في هذا السبيل .

سلا : المهدي البرجالي

لم تنسني فاسا ولا أهلها

للشاعر: عبد المالك البلغيثي

عشـرون عامـا فى أبـي رقـراق … لم تنسني حبـي ولا اشواقـي
لم تنسني فاسـا . ولا جناتهـا … ماوى الطبيعـة ملتقـى الاذواق
عشرون عاما بين فتنتـك التـي … اخذت سواي بكامل استرقـاق
ما بين احضان الطبيعة عشتهـا … بصبابـة تحتـك بالأعمـاق
عشرون عاما في مناظر كلهـا … شعر وحـب للفتـى الـذواق
لم تنسني ـ وادي الجوهر اوشذا … أزهـاره المخضلـة الاوراق
أو من ـ سبو ـ خلجات منعرجاتـه … في فرقة ـ من بعضها ـ وتـلاق
وعلى ضفافك ـ دون اي تحيـز ـ … آيات سحر ، مالهـا من راقـي
فاذا اجلت الطرف في أرجائهـا … يابى الرجـوع لهـذه الآفـاق
ان شايعتك من الجمال مظاهـر … وكستك لون خليجها الرقـراق
فلانك ـ النيل ـ الذي ازدانت بـه … للعدوتين مروجها . والساقـي
لولاك ، لم تخلق مناظرها التـي … نغدو ـ بها ـ ونروح في اشـواق
لولاك . ما استهوت مفاتنك التـي … كادت تنسيني هواي الباقـي
كادت تنسيني بفاس مناظـرا … في واديهـا ـ زينـة الآفـاق
من ذا يسرح فيك طرفا رائـدا … ويعـود غيـر مولـه مشتـاق ؟
وعلى روابيك الجميلـة خضـرة … نهابـة الالبـاب والاحـداق
يمشي بنا للذكريـات جمالهـا … فاخالني ، بسبو ، أحث الساقـي
واشاطـر الندمـاء لـذة متعـة … بمناظـر تجـري مـع الدفـاق
لكنني ـ سرعان ما يبدو الجـلا … فارى وجودي في ابى رقراق (*)
واقول . اين النبت يعبق ـ وحـده … طيبا ـ وينفح دون ما استنشـاق ؟
أين انعطافات الضفاف يزينهـا … صفصافها المصفوف كالعمـلاق ؟

اين الزهور وقد تفتح حسنهـــا كالدر والياقـوت في اطـــواق ؟
اين الرياحيـن الطبيعيـة التـــي قد زانهـا توزيعها بطبـــاق ؟
بل . اين ايك في المروج ترنحــت وجدا . لبسمة نهرها الصفـــاق ؟
بل . اين زيتون الروابي الخضر في شرف . يمد اليـه بالاعنـــاق ؟
اين الطيور على اختلاف نعوتهـــا وغنائها . كاميرها الشقشاق ؟ (*)
ساءلت . حين اتيت شالة زائـــرا واشـرت بالتسـآل للقـــلاق
فاجابني : لا ماء يعـذب هاهنــــا وغناء طير البحـر شبـه نهـــاق
تتوطن الـوادي ، فينفـر غيرهـا : غريـدة الاغصـــان والاعـــذاق

* * *

وادي الجواهر لم تشبه ملوحـــة فمعينـه عـذب شهـي مــــذاق
لا يستعير من الخليج جمالـــــه والمستعير الحسن . في امـــلاق
يصفو ويكدر وهـو في اكـــداره صافي السريرة بادي الاشـــراق
الغادة الحسناء تلمس عقدهـــا لما تـراه بـادي الاعمـــاق (*)

* * *

يا وادي الرقراق مهمـا زدتنـــي من فتنة بجمالـك التـــواق (*)
لم تنسني . فاسا . ولا انهارهـــا بين المروج الخضر كالاطـــواق
كـلا . ولا شقشاقهـا وغنـــاءه والليـل منهـزم على الآفـــاق

* * *

فاس . بها يسلو الغريب بـــلاده وذويه . مثل العاشق المشتـــاق
ما شوق من اخذت مناظر حسنهـا بفواده المشبوب .. كالاشـــواق

سلا : عبد الملك البلغيثي

(*) الجـلا ــ الوضـــــوح
(*) من طيور حدائق فاس وهو الشحرور
(*) الغادة الحسناء ــ هذا البيت يشير الى قول الشاعرة الاندلسية ـ حمدونـــــة ـ
وقانا لفحـة الرمضـــاء واد سقاه مضاعف الغيث العميـم
تروع حصاه حالية العـذارى فتلمس جانب العقد النظيـم
(*) التواق ــ صفة للوادي الذي يتوق للتشبه بوادي الجواهر وسبو

أبو فراس في صورة البطل

للدكتور زكي المحاسني

ذكرى سيوفك نشوة لا تخمد … وصدى جيوشك رعدة بك ترعد
امدجج الفرسان واسمك في الوغى … علم على هام المعارك يعقد
صورت وجهك كالملاك براءة … وعليك من حلل البطولة أبرد
وبكفك السيف الذي ضمخته … بدم الفوارس وازدهت فيه اليد
فابوك علمك الإباء بشرعة … بقيت لديك ، على مداها السؤدد
والأم افرغت الحنان ويا لها … مكلومة منذ احتواك المولد
تتلو بلوح الغيب خاتمة الاسى … وتنوح من وجد الفراق وتسهد
اعمامك العرب العفاة وشاركت … في الخال بيزنطية بك تمجد

* * *

للصيد يوم كنت فيه على الحمى … في جنب منبج والغوائل ترصد
فدنا « تيودور » الممنع قانصا … ويطول عجبي كيف صيد الأصيد
فاغتال امنك حيث بت اسيره … مصفود زند كان فيه المقود
وحللت خرشنة فويل بروجها … لما اطاعك في الخلاص الاجرد
فعلوته وهويت فيه « بالس » … نهر يعج بمائه ويعربد
ونجوت للحرب العوان تسوقها … بحتوفها وتديرها وتجدد
حتى رجعت الى الاسار مصفدا … لكن روحك حرة لا تصفد
ونزلت قسطنطينة ضيفا على … طاغ من الروم العتاة يهدد
نادمته لا شاربا صهباءه … لكن مقارعه فخارا يخلد :
ضخم اللفاديد استمع لمقالنا … فالعرب في ادب وحرب تحشد
ولها الملاحم شعرها وسيوفها … فالكتب عقل والشعور مهند

وتداولت ذاك الاسير مرائر   يشكو البعاد وبالفداء يندد
ما كان سيف الدولة الواني ولا   نسي الجهاد من ابن عم يجهد
لكن « نيسيفور » كان مواعدا   بلقاء حرب سيفها لا يغمد
فبكت على الولد الحبيب بمنبج   تلك العجوز بدمعة لا تجمد :
ولداه اسال عنك ركبان الملا   في كل ممسى والليالي تشهد
حتى اذا غارت نجوم حوم   اودعتها لك لهفة لا تهمد

* * *

يا صائغ الشعر الكريم قلائدا   جيد العروبة من حلاك مزرود
ساءلت فيك ملاحما مضفورة   فيها تهاويل الحروب تعدد
تغلي الدماء على التماع شفارها   ويعاذ فيها بالخلود ويقصد
رصفت صفوف كماتها من دارع   يزجي الحتوف الى العداة ويرقد
او فارس شهد الوقيعة عمره   ومناه في غمراتها يستشهد
شغلتك لاهبة الحروب عن الهوى   فيها تثار ولم يشرك الأغيد
وعناقك المر ان كان احب من   مقدودة فيها الغرام الاكيد
اجننت في حب الوفادة والوغى   حتى فؤادك عن سواها الموصد
وجعلت دينك في المروءة والوفا   فنبالك العاتي وخان الاوغد
لو صيت الاخلاق تمثالا غدت   في صورة البطل الكريم تسجد
وأرى الاساطير استقام خيالها   ببطولة اربابها تتابد
أعنو الى « رائية » نسجتها   بروائع عقيانهن المفرد
دون حماستها كأن زمازما   للعسكرين الى التحام تنهد
وهفت بدواتها بمدح اصالة   عدوية حمدانها بك يحمد
قل لي . وتمتلك الجواب ، اشاعرا   قد كنت ام بطلا يشن وينشد
تلقى نبي الشعر في نفحاته   ملأ الدنى وبه القصائد تعبد
وتظل وحدك شاعرا في عهده   وتزيد انك فارس متوحد
الملحمات على بيانك شرع   يروي الزمان نشيدهن ويسرد
وارى برنطة ركعا ابطالها   وعلى الدمستق خشية لا تنفد
والدرب من حلب توسد طائعا   وعصى الخليج وسوره المتمرد
كانت عراب الخيل ترعش مرعشا   وبهن تنثغر الثغور وتشرد
يا فارسا قدح النجوم بحاقر   من خيله يهفو اليك الفرقد

اشرقت مثل الشمس عند بهائهـــا | لما الزمان صفـا وعـاد يغـــرد
فنضوت عنك عرى الاسار على الفدا | حتى غدت حمص لحكمك تعهـــد
واقاك فيهـا حاسـد مستبطـــن | غدرا وفى القربى يجـول الحســد
ا « ابا الأداني » ويك يا ذنب الورى | انحـز راســا للمعالـي ينهـــد
لـو أن والـدك العظيم مطـــوع | خلف الغيوب وانت منه الابعـــد
لرماك فى عقبـى الثبـور ترديـــا | من ذا يجن كما جننـت ويفنـــد

❊ ❊ ❊

زين الشباب ابـو فراس فى الفـلا | يرمى بداهية الخطوب ويجحـــد
تبكي له فى الصبح اخـت وفائـــه | وعلى المســا ام بهـول توعـــد
فقأت عليه العين ، ويـح ضحيـــة | من عهد « او ديب » عليها الأعهـــد
قسما اليك على النوى يا شاعـري | كاثـرت فيـك بأمـة لا تنفـــد
ان لم تمتع بالشبـاب وزهـــوه | فعليك من حلب ومنبج مسعـــد
ردا اليك صباك فى وضح العلـــى | فى يوم عيد الشعر وهو الأخلـــد

دمشق : الدكتور زكي المحاسني





بقلبي جروح من الذكريات — لكل حبيب بقلبي نزل
وليس بمندمل جرحه — كجرح بمر الزمان اندمل
اقام الهوى اذ اقام الحبيب — وما ارتحل الحب لما ارتحل
بدور ، فياليت بعد الافول — يعودون كالبدر اما افل

* * *

انسا همو وهمو في الخيال — تشاهدهم من فؤادي مقل
انسى ومن افقهم كل حين — اشاهد بدرا بفكري اطل

* * *

اعانقهم بالمنى والرؤى — ابادلهم بالهوى والقبل
يعاتبني حين انساهمو — هواهم ويعرو وفائي الخجل
سابقى وفيا لذكراهمو — واحيا بها ان اتاني الاجل
وهيهات ينسى فؤادي الوفي — حبيبا نأى او صديقا رحل

* * *

لئن كبروا فهمو في الخيال — صغار وحبهمو لم يزل
وان اكتهل او اشب فالفؤاد — صبي وطفل الهوى ما اكتمل
وان يكتمل عمري في السنين — فعمر الهنا والصفا ما اكتمل

دمشق : احمد الصافي النجفي

ثلاث قصائد للشاعر الاسباني غوستافو بيكير

ترجمة الأستاذ حسين الوراكلي

في الارض الطيبة .. في اشبيلية التي اعطت لربات الاولمب وشياطين عبقر قصورا ، لا ابهى ولا اروع ، من الكلمة المكوكبة ، المتألقة .. شيدها المعتمد بن عباد وابو بكر بن عمار وابو بكر بن اللبانة الداني .. وغيرهم .

في اشبيلية ، اطل بيكير على الكون ، فعب من مفاتن الحياة وثمل من غصصها .. فكان قيثاره ، اروع قيثارة ، غنت الحياة وجمالها ، حبا وربيعا ، دفئا واملا ، وعزفت ظلام الوجود وعتمته ، قنوطا وخيبة ، زوبعة والما ..

وكالنيزك البراق .. يهتك حجب الليل الدامس البهيم .. فتشرق ارجاء الدنيا بالنور والضياء .. ثم سرعان ما يتلاشى كل ذلك ، فتعود الظلمة ، دوامة سوداء ، تعصف ، في عنف ارعن ، بالوجود ...

كذلك كانت حياة بيكير ..

تفتح كالزهرة الحلوة .. ثم — فجاة — ذبلت اوراقها .. وتساقطت تذروها الرياح ..

اشرق كالنيزك .. ثم — فجاة — تلاشى ضياؤه لتحضنه الظلمة القاتمة .

حلق كالنسر الجبار .. ثم — فجاة — هوى الى الارض .. ليبتلعه جوفها ، الفاغر .

كذلك كانت حياة بيكر ..

ولد سنة 1836 .. ولفظ الانفاس الاخيرة سنة 1870 .. فحلقت روحه لتتقدم موكبا خالدا من عمالقة الكلمة المرفرفة ، الموثقة المتألقة .. لوركا (*) .. الشابي ، المعداوي .. وغيرهم .. كثير غيرهم ..

* * *

قال عنه احد معاصريه : (ان الانسان في اية بقعة من العالم ليعثر في الشعر البيكيري على احاسيسه ومشاعره التي تفيض بها نفسه) .

وقال عنه احد النقاد : (ان بيكير هو اعمق واصدق شاعر غنائي تفخر به الرومانطيقية الاسبانية) .

وقال الاستاذ الناقد ف . كونساليس لدسما في مقدمته لمختارات من شعر بيكير : (لقد كانت حياة بيكير بسيطة ، صادقة ، خالصة من كل شائبة ، تماما كأشعاره .. وان العملية الشعرية عند بيكير يمكن وصفها بانها اهتمام بالمضمون اكثر من اهتمام بالشكل .. ولقد سبر بيكير غور النفس الانسانية فصور احاسيسها اروع تصوير ، وترجم اجواءها اجمل ترجمة ... وبذلك عبد لشعره ، وفي مقدمته ديوانه الرائع ، الذائع الصيت : « القوافي » الطريق الى ملايين القلوب) .

(*) سنقدم عنه وعن فنه حديثا مفصلا في سلسلة المقالات التي ستنشر على صفحات هذه المجلة تحت عنوان : (من اعلام الادب الاسباني المعاصر) .

ويختم الاستاذ لدسما حديثه لقوله : (لم يمهل القدر بيكير ليرى انتاجه مطبوعا ، تتناقله الايدي ، فقد عاجلته المنية وبعض انتاجه معد للطبع .. ولكن ذلك لم يمنع ان تخرج اعماله الادبية الى الوجود .. وتعيش بعده .. وتظل ـ وستظل ابدا ـ تستحم في انطلاقات النور) .

ذلكم هو غوستاف ادلفو بيكير .. فتعالوا الى محراب فنه نقرا بعض آياته وروائعه .

* * *

1) الى اليســـــا

لكي تقرئيها بعينيك الرماديتين
لكي تغنيها بصوتك الحلو ، الرخيم ،
لكي تملا حناياك بانتفاضات العاطفة ،
صغت انا اشعاري
لكي تجد فى صدرك ملجأ لها ،
فتمنحيها شبابا ، وحياة ، ودفئا ،
ثلاثة ، عجزت عن اعطائها لها ،
صغت انا اشعاري .
لكي اجعلك تفرحين كما افرح
لكي اجعلك تتألمين كما اتألم
لكي اجعلك تحسين باختلاجات حياتي
صغت انا اشعاري .
لكي استطيع ان اضع ازاء قدميك
قربان حياتي وحبي
بروحي ، باحلامي المتمزقة ، ببسماتي ، بدموعي
صغت انا اشعاري .

* * *

2) انا متوهجة ، انا سمراء

ـ انا متوهجة ، اناسمراء
انا رمز الاحساس بالالام
روحي ملأى .. تفيض
بشوق الى الفرحة ، ورغبة فيها
ترى ، هل عني تبحث ؟
ـ لا .. لست عنك ابحث ، لا ...
ـ جبيني باهت ، شاحب
وخصلات شعري ، من ذهب .. نسجت
استطيع ان امنحك فرحات .. لا تنتهي
ومن الحنان انا املك كنزا
ـ ترى ، هل عني تنادي ؟
ـ لا ، لست عليك انادي ، لا ..
ـ انا حلم ، انا مستحيل
شبح ، انا ، من ضباب ونور
لا جسدية ، انا لا محسوسة ، لا ملموسة
لست استطيع ان احبك
ـ آه ، تعالي ، تعالي ، انت

* * *

3) حدقتك زرقاء ، وعند ما تضحكين ..

حدقتك زرقاء ، وعند ما تضحكين ...
تذكرني اشراقتك الحلوة
باشعاعات الصباح ، مرتعشة ..
على صفحة البحر تنعكس .
حدقتك زرقاء ، وعند ما تبكين
دموعك الشفافة فيها ، تبدو لي ..
فوق بنفسجة .
حدقتك زرقاء ، وفى عمقها ..
كما فى منطلق ضياء ، اذا شقت فكرة ..
بدت لي فى سماء المساء
نجمة ضائعة .

تطوان : حسن الوراكلي



1) الافعى الراقصة

على شلال شعرك العميق ،
في العطر النافذ ،
بحر مؤرج تائه ،
تمور امواجه الزرقاء السمراء .

وكقارب يفيق
على همس ريح الصباح ،
تقلع روحي الحالمة
الى سماء بعيدة .

عيناك ـ حيث لا شيء يبدو
عذبا او مرا
جوهرتان باردتان يمتزج فيهما
لون الحديد بالنضار .

عند ما اراك تمشين في ايقاع
يا فتنتي !
اخالك افعى راقصة
على طرف عصا .

تحت اصر دلالك
راسك الطفولي
يتمايل في رخوة
كرخوة فيل صغير

وجسمك اللدن ، القويم
مركب صغير
يبحر من شاطىء الى شاطىء
ويغمس صواريه في الماء .

* * *

2) نهاية النهار ...

تحت نور وريق
تجري ، وترقص ، وتلتوي
حياتنا الاثمة الصاخبة
وبسرعة ، حتى الشفق .

لقد طلع الليل الشبق
ما حيا كل شيء حتى الجوع
والخجل ...
وقال الشاعر : « اخيرا ...

ان روحي واضلاعي
ترتجي الراحة في شوق ولهفة
وقلبي مليء باحلام جنائزية .

ساتمدد على ظهري ،
وسالتف في ارديتك ،
ايتها الظلمة الدفيئة ... »

شارل بودلير

* * *

3) زفاف

اذن .. سيكون ذلك في يوم صيفي مشرق
ستزيد الشمس المجبولة بافراحي
ـ رغم الثوب الحريري ـ
جمالك جمالا ...

والسماء . ستكون زرقاء ، كخيمة عالية
ترتعش مزهوة الطيات
على جبهتينا السعيدتين الشاحبتين
بالسعادة والامل ...

وعند ما يجيء المساء ، سيكون الهواء لطيفا
يمرح مداعبا اشرعتك ،
ونظرات النجوم الحالمة
ستبتسم مباركة زواجنا .

بول فرلين

القنيطرة : زفزاف محمد

قصة العدد

الرقاص الأسود

للأستاذ أحمد البقالي

حين ترك الاستاذ « يوسف الرامي » منزله قبيل الشروق فى طريقه الى مختبره العلمي على قمة التل ، لم يكن يدري انه سيعود اليه ليجد مفاجأة مرعبـة تنتظـره .

كان يخرج كل صباح قبيل الشروق الى مبنى قديم على التل يسميه مختبره الخاص يجمع فيه عددا من الآلات القديمة والمواد الكيماوية وغيرها من السوائل والمساحيق التي يستعملها فى تجاربه العلمية . كان استاذا للعلوم فى « معهد البوليتكنيك » وكان يزاول تجاربه الخاصة فى أوقات فراغه بذلك المبنى القديم الواقع خلف بيته الكبير . وكان لا يسمح لاحد بزيارته هناك ، ولا بالدخول الى المبنى أثناء غيابه .. كان يخاف من الايدي الفضولية ان تلمس شيئا او تدوس على متفجر ، أو تفتح قنينة مسمومة .. وكان من جملة هواياته جمع القنابل والمتفجرات التي كثرت على شواطىء المدينة تلك الايام .

كان بعض الجنود الجمهوريين يزرعونها عمدا فى الاماكن المطروقة وغيرها حتى تنفجر فى كل من يحاذيها انتقاما من المغاربة الذين ساعدوا « فرانكو » فى غزوه لاسبانيا أثناء الحرب الاهلية . وانفجر عدد من القنابل اليدوية والالغام فى عدد من الصغار وجدوها فجذبهم اليها لمعانها او غرابة شكلها وامسكوا بها فانفجرت فى وجوههم وشتت اجسادهم قطعا فى الفضاء ..

وكان الاستاذ يوسف الرامي ينزل صباح كل يوم الى حيث يمكن ان توجد هذه الادوات المميتة فيتناولها بأيد خبيرة حذرة ويأخذها الى مختبره حيث يفك فتائلها ويدرس ميكانيزمها بالتدقيق ويحيلها الى تحفة على رفه .

فى ذلك الصباح كان يشغل باله سيارة « فورد » قديمة اشتراها من احد بائعي الخردة بثمن بخس راح بها الى بيته حيث كان يقضي ساعات الفجر الاولى فى درس وتجديد محركها ، وفى ذلك الصباح قرر ان الوقت قد حان لامتحانهـا ..

وادخل المفتاح الحديدي المعقوف فى ثقب المحرك وبدأ يديره وهي تتحرك وتزأر وفى النهاية ، دار المحرك واستمر فى الدوران فقفز هو الى كرسي السياقة وجلس خلف المجلة واطلق الفرامل وانطلق ..

كان سروره عظيما وتحفته القديمة تتحرك بـه نحو البيت فى الطريق المترب ، وقد عاد محركها الى الحيـاة ..

واوقفها على باب المنزل الكبير فخرج البنات والخادمات والصغار يصيحون ويصفقون للصندوق الاسود المتحرك وحده .. وكان هو يشاركهم السرور الصبياني بلعبته البالية .. والتف حولها الصبيان يتعلقون بها ويركلون عجلاتها ذات الاسلاك المتشابكة ويدفعونها من الخلف والخادمة المسنة تحاول ابعادهم عنها حتى لا تدوسهم ..

ونزع « البيريه » الاسود الذي يلبسه للعمل ، ونظارة السياقة الصفراء لحفظ عينيه من تراب الطريق ، ونزل فدخل الدار ليفطر ويقرأ الجريدة والبريد ، ويتهيأ للذهاب الى المعهد ..

وفى البهو سمع جرس التلفون فى مكتبه فأسرع لالتقاطـه ..

— اهـلا ..

ـ وجاءه صوت مكلمه من الطرف الآخر واضحا ..

ـ انت الاستاذ « يوسف الرامي ؟ »

ـ نعـــم ..

ـ اسمع جيدا ما ساقوله .. ابنك « حسن » في مشكلة حقيقية ..

ـ ماذا ؟ ..

ـ لا تتكلم ، ارجوك .. ساشرح لك كـل شيء ، ولن ترى من طرفي اي متاعب اذا وعدت ان نتعاون ..

ـ قل ما عندك بسرعـة ..

ـ لا تقاطعنـي اذن .. بالامس كنت مـارا على الشاطيء قرب « الفيـلا » التـي يقيـم بهـا ولـدك « الحسن » .. وكان الضوء مشعـولا بهـا فظننت ان لصا دخل اليها .. انني اعرف ان ابنك لا يوجد حاليا بالمدينة .. ولكنني فوجئت به هناك مع فتاة اجنبية .. في الغالب فرنسيـة أو بلجيكيـة .. كـان يدعوهـا « جوزيت »

ـ تعال الى الموضوع بسرعة .. ما ذا حدث ؟

ـ ارجوك لا تقاطعني .. انني لا احب ذلك ..

وساد صمت في طرف الخط الآخر .. ثم عـاد الصـوت ..

ـ انني اتكلم من تلفون عمومي ، وكنت اخشى ان يكون احد يسمعنا .. الحاصل .. لم املك ان اسمـع ما كانا يقولان .. وملخص القصة هو ان الفتاة كـانت صديقة له في فرنسا حين كان يدرس هناك . وقـد تواعدا على الزواج .. وحين انتهى من دراسته تركهـا هناك وعاد دون ان يكاتبها او يظهر علامة على احتفاظـه بالوعد .. وقد قدمت هي بنفسها لتراه . والمفاجـاة هي انها حامل .. وقد اعتقد هو انها ستخرب حياتـه ومستقبلـه .. اعـرف انـه يحـاول ترشيـح نفسه للنيابة .. واعرف ماذا سيفعلـه زواجـه بهـا لذلك الترشيح .. المهم ، لن اطيل عليك .. لقد فعل ما يفعله رجل بالس .. في الحقيقة هي التي دفعته الى ذلك .. لقد ضغطت عليه وهددته بالفضيحة اذا لم يتزوجهـا في الحـال ..

ـ ماذا فعل ؟ .. اسرع الى النقطة ..

ـ لا اريد ان اعذبك اكثر .. لقد قتلها ..

وتصفد جبين « الاستاذ يوسف الرامي » عرقـا وبدات حباته تقطر من كمه وهو ممسك بشدة بمقبض التلفون .. وسمع الصوت يردد ..

ـ آلو .. آلو .. آلو .. اتسمعني ؟

ورد « الاستاذ الرامي »

ـ اسمعك .. اسمعك .. هل يعرف احـد غيرك بمـا حـدث ؟

ـ ابدا .. انت أول من يعرف ..

ـ ماذا تـريـد ؟

ـ كنت انتظر ان تسأل ذلك .. لن اقول لك قصة حياتي التعسة .. فلست في حاجة الى رحمة .. انت تحتاجها الآن اكثر مني . انني اريد ان ابدا حياة جديدة، واحتاج الى نصف مليون بسيطة ..

ـ نصف مليون بسيطة ؟ ..

ـ اعرف انـه ليس كثيرا عليك . لذلك اريـده الليلة .. بالضبط تحت الشجرة الميتة على حافة الغابة المشرفة على النهر .. قبالة مصنع « التـن » .. ضعه هناك في حقيبتك السوداء واذهب .. ساخرج اليه من الغابة .. لا تحاول شيئا ، فقد اخذت احتياطي .. اذا لم اجده هناك مع الساعة الواحدة فسانادي البوليس.. انا متاكد ان نصف مليون ثمنا لصمتي .. او لنقل ثمنا لعتق ابنك ، ليس كثيرا بالمرة ..

ووجد الاستاذ الرامي نفسه يصرخ ..

ـ اخـــرس

ـ لا تفقـد اعصابك يا استاذ .. انت محتـاج اليها في الايام القادمة ..

وتنهد الاستاذ الرامي وقال ..

ـ اسمع .. اذا اعطيتك هذا المبلـغ هل تعـد ان تذهب عني الى الابد .. لا اريد ان اسمـع عنك مـرة اخـــرى ..

ـ لا تقلق .. ساختفي كالحصاة في قلب المحيط.. ثم واني لن اجد دليلا عمليا .. انت تعـرف ان دليلـي الوحيد هو الجنين الذي في بطن الفتاة ، وتحليل دمـه سيكشف قرابته لابنك .. واذا فـسد الجسد لم تعـد

وتنفس الاستاذ الرامي بصعوبة لشدة توتر اعصابه وقال ..

ـ طيب .. ساضع الحقيبة هناك فى الساعة الواحدة تماما ..

ـ وانا اعدك انني لن اعود اليك ابدا .. تذكر شجرة التين العجوز الميتة على شاطيء الغابة والنهر .. الى اللقاء ..

ووضع الاستاذ الرامي التلفون وهوى فى اريكته وكفه على عينيه يكاد ينفجر من القهر .. كان يفكر فى ابنه ومستقبله .. كان يفكر فى فشله فى تربية ولد سليم الاخلاق .. واليوم .. يصبح « الحسن » ابنه الاكبر الذي كان فخورا به مجرما سوقيا ..

ودخلت عليه زوجته بصينية القهوة ، وحين راته فى تلك الحال ، وضعت الصينية على المكتب وقعدت الى جانبه تسأله ، وهو لا يجيب ، مدعيا ان به صراعا خفيفا ..

ولم يجد شهية لأكل شيء .. وأرغمته زوجته على شرب حبة اسبرين ، وفنجان قهوة ثم اخرجت الصينية وتركته ..

والتقط التلفون فكلم ادارة المعهد بانه لن يحضر ذلك اليوم ، ثم امسك بمجلد ضخم ففتحه وبدا يفكر دون ان يرى شيئا ..

والقى بالمجلد على المكتب ثم وقف وبدأ يذرع الغرفة جيئة وذهابا ويفكر ..

كانت ضوضاء البيت وصياح الاطفال ورنين جرس التلفون يقاطع تفكيره باستمرار .

واخيرا حمل حقيبته السوداء فأفرغها من الكتب وخرج متوجها نحو « الفيلا » الصغيرة على الشاطيء حيث يقيم ابنه « حسن » ..

ووجد « الفيلا » مقفلة .. ووقف يطرق الباب وينادي باسم « حسن » ليفتح له دون ان يسمع ردا .. وفى النهاية بدأ يدور حول المبنى يريد ان يجد منفذا اليه .. جميع النوافذ محكمة القفل ..

ومر حارس الغابة الشاب فى حلته الرسمية فصاح فيه ..

ـ ماذا تفعل هناك ؟ ..

والتفت الاستاذ الرامي ، فابتسم الحارس ..

ـ آسف لقد ظننت ان احدا يريد ان يدخل البيت عنوة ..

ـ لا .. لا تقلق .. كنت اعتقد ان ابني « حسن » هنا .. ولكن جميع الابواب مقفلة ..

ـ تريدني ان اساعدك على فتح احدى النوافذ يا « سي الرامي » ؟ ..

ـ لا شكرا يا عبد العظيم .. ليس مهما ..

ـ وسلم الحارس وانصرف ..

وعاد الاستاذ الرامي الى بيته حيث اخذ التلفون وبدأ يكلم كل من يعتقد ان ابنه معه .. وحين يئس من العثور عليه اخذ حقيبته وخرج ..

واقترب المساء سريعا ذلك اليوم .. ولم يأكل الاستاذ الرامي شيئا .. كان يشرب القهوة سوداء ويدخن بكثرة ..

وقلقت عليه زوجته حين لم يظهر فى وقت الغذاء .. ولكنه كلمها مع العصر ليسألها هل وصل « حسن » من سفره ، وقال لها انه تغذى فى احد المطاعم بالمدينة .

ومع الساعة الثانية عشرة ركب سيارته «الجيب» وساقها نحو الغابة والى جانبه حقيبته السوداء .

ودخل فى طريق جانبي وسط الغابة يؤدي الى النهر حيث تلتقي الغابة برمل الشاطيء .. وامسك بالحقيبة السوداء الثقيلة ونزل من السيارة بعد ان اسكت محركها واطفأ انوارها ..

ودخل بين الاشجار الكثيفة يضيء طريقه ببطاريته وقد انقبض صدره لسواد الغابة واصواتها الغريبة المرعبة ..

وبعد بضع دقائق ظهرت له من خلال سيقان الاشجار العملاقة صفحة البحر تلمع تحت اضواء النجوم الفضية ، وتتحرك كأنها ظهر مخلوق حي .

وترامى الى سمعه صوت انكسار الامواج على الرمال رتيبا مستمرا ..

وخرج من الغابة الى الرمل وبحث بعينيه عن شجرة التين الضخمة الميتة فوجدها هناك نحو اليمين كهيكل « ديناسور » متحجر .

وقصدها فوضع الحقيبة تحتها ونظر الى ساعته .. كان عقرباها المفسفرين يشيران الى الربع بعد منتصف الليل . ونظر يمينا ويسارا فلم ير اثرا لشيء يتحرك . وعاد من حيث اتى يفتح طريقه بنور البطارية في يده ..

بقى خمس واربعون دقيقة على الواحدة وعاد الى سيارته فركبها وقعد ينتظر ..

وبعد بضع دقائق سمع بوق سيارة ابنه «الحسن» وهي تمرح في الطريق المؤدي الى بيته على قمة التل .. وفي الحين اشعل محرك سيارته وخرج سريعا نحو الطريق العمومي وانطلق نحو التل .

واوقف « الجيب » خلف سيارة ابنه ودخل الدار ينادي ..

ــ حسن .. حسن .. اين انت ؟

وخرج « حسن » من الغرفة الكبيرة وفي يده شطيرة يأكلها بشهية وهو يبتسم ..

ــ ماذا يا ابي ؟

ــ تعال هنا ..

ودخل « حسن » مكتب والده فاقفل هذا خلفه الباب ، وأشار الى كرسي ..

ــ اقعد ..

وقعد الشاب وقد اختفت ابتسامته ، ابوه لايفعل ذلك الا اذا اراد معه حديثا جديا .

ــ اسمع يا حسن .. لقد تسلمت مكالمة تلفونية هذا الصباح .. مكالمة جدية للغاية ..

ووضع « حسن » الشطيرة على طرف المكتب وأخرج منديلا من جيبه وبدا يمسح يديه .

ــ ما موضوع المكالمة ؟

ــ انت تعرفه ..

ــ لا أعتقد ..

ــ لا أعتقد ..

ــ « جوزيت » ..

ــ من هي « جوزيت » ؟

واندهش الرجل لجواب ابنه فقال بحزم ..

ــ حسن .. لا حاجة الى اخفاء متاعبك عني يا بني ..

ــ اية متاعب ؟ ماذا تريد ان تقول ؟

ــ الفتاة الفرنسية التي جاءت اليك حبلى تريدك ان تتزوجها .. هذا امر في منتهى البساطة للناس كلها ــ

ــ انتظر قليلا .. لا افهم ما تعني .. اية فتاة حبلى تريدني ان اتزوجها ؟

ــ يا ولدي لا تنكر ما فعلت .. انا ابوك .. فلا بد ان تصارحني بكل ما حدث .. هناك احد يعرف ما حدث في « الفيلا » على الشاطيء ليلة امس .. وقد جاءني ببريد اسود يطلب مني نصف مليون بسيطة ..

ــ نصف مليون بسيطة .. لماذا ؟

ــ اتعني انك لم تقتل تلك الفتاة الفرنسية ؟ ..

ــ ابي .. هل تظن انني مجرم ؟ ..

وتسمر الرجل في مكانه ..

ــ هل تعرف احدا بذلك الاسم ؟

ــ ابدا .. ثم اني واصل من المرائش الآن .. لقد مضيت اليومين الماضيين هناك اتحدث الى المسؤولين ..

ــ هل رآك احد هناك ليلة امس ؟

ــ نصف سكان المدينة على الاقل ..

ــ اذن تلك المكالمة كانت احتيالا فقط ..

وضرب بيده جبهته ثم فتح الباب وخرج يجري .. وقفز داخل السيارة وانطلق بها وابنه واقف على عتبة البيت ينظر اليه فاغر الفم ..

وانطلقت سيارة « الجيب » تنهب الارض وسحابة غبار كثيفة خلفها حتى دخلت الطريق الجانبي بين اشجار الغابة .

واوقفها على حافة الطريق بعنف ، ثم نظر الى ساعته فاذا الساعة الواحدة تماما ..

وقفز من كرسي السيارة واسرع نحو الغابة يقفز بين الاشجار ويصيح .

— لا تقرب الحقيبة يا محتال .. اذهب .. ابتعد ..

وحين اوشك على الوصول الى الشجرة العجوز سمع انفجارا هائلا تحتها انطلقت بعده السنة اللهب تأكل اطراف الغابة ..

واحس بذعر شديد ووجع في بطنه .. وقفز عائدا الى سيارته فركبها وانطلق نحو البيت ، وقد دق قلبه بعنف وشجب وجهر .

ودخل غرفته راسا فاقفل خلفه الباب وغطس في الاريكة ، ودفن وجهه في يديه يحاول ان يكتم ارتعاشه .

وفي الصباح فتح الجريدة ليجد الخبر بالصفحة الاولى ..

« ضحية اخرى للقنابل المبعثرة .. »

وبدا يقرا التفاصيل ..

وفي تلك اللحظة رن التلفون فمد اليه يده فاذا لحمه يتشوك .. كان المتكلم نفسه الذي هدده بفضيحة ابنه « حسن » هذه المرة كانت السخرية في صوته ..

— عزيزي الاستاذ الرامي .. كنت اعتقد انك اذكى من ان تقع في الفخ .. ولكن اعتقد اني الآن اعرف كيف تفكر .. مثل والدك تماما .. لقد حكى لي أبي عنه .. انت تعرف أن أباك ولد فقيرا ، ولم يعثر على كنز سليمان .. وانا متاكد انك تعرف الطريقة التي جمع بها أمواله .. —

وهنا فقد « الاستاذ الرامي » اعصابه وصاح فيه .. من انت ؟ لماذا لا تواجهني ايها الجبان ؟ ..

وعلق التلفون ..

وفي نفس اللحظة رن مرة اخرى .. وتركه الاستاذ الرامي يرن مدة ثم رفعه .. فاذا صوت الرجل يأتيه حازما مهددا ..

— لقد اخطأت خطأ فاحشا يا « سي الرامي » .. لا احد يعلق التلفون في وجهي .. لا أحد .. اسمع .. اذا علقته مرة اخرى ستكون العاقبة وخيمة .

— من أنت وماذا تريد ؟

— لن اقول لك ماذا اريد قبل ان أشرح لك الظروف . لقد قتلت شابا بريئا وتركت زوجته وولديه بدون عائل .. انا اشعر بالذنب لأني انا الذي أرسلته .. انت تعرفه .. شاب لطيف « السي عبد العظيم » حارس الغابة الجديد .. ورحمة مني باولاده وزوجته سوف ارفع ثمن صمتي .. لا عن جريمة ابنك التي لم تحدث .. بل عن جريمتك انت ..

وقبل ان تنكر ارتكابها دعني اذكرك بأني قد نزلت الى الشاطىء قبل البوليس فجمعت كل ما يمكن ان يدينك لدى القانون حتى لا يعثروا عليه .. ولدي قطعة ثمينة تساوي مليون بسيطة .. قفل الحقيبة وعليه بصمات اصابعك واضحة وفيه بقايا من مواد القنبلة تنسجم تماما مع الجلود والبقايا التي حصل عليها البوليس .. وهناك عدة مكملات اخرى تحت يدي سأسلمها لك كلها حالما اتسلم المبلغ .. لا تحاول أي حيلة هذه المرة .. فأنا ، على عكس ما قلت لك في المرة السابقة ، « رقاص أسود » محترف .. اعني « ساعي بريد » اسود من الدرجة الاولى .. وبما أن العمل قل هذه الايام ، فقد وجدت أنه لا بد من خلقه .. وكنت ضحية سوء نيتك وتسرعك .. المهم هو أن هذه القصة كلها مكتوبة عندي مع وصيتي في خزانتي بالبنك ، وسوف تسلم الى البوليس حالما يقع لي شيء .. حادث مثلا .. والآن لنتكلم عن المهم .. الفدية .. ستكون كما قلت مقسمة بيني وبين عائلة الفقيد .. وستجعلها ، لنقل .. مليون بسيطة .. اوراق صغيرة لا تتعدى الخمسمائة ..

واستمر الرجل في الكلام بينما اصفر وجه « الاستاذ الرامي » وبدا يرتعد والعرق يتصبب باردا من كفه على زجاج المكتب ..

واشنطون : احمد عبد السلام البقالي

من نشاط وزارة الأوقاف

- قامت نظارة تارودانت بتشجير الارض الجبسية المعروفة بفدان الزاوية .

- شرعت نظارة مراكش ابتداء من يناير الماضي فى عملية تقليم البساتين المجاورة للمدينة وفى بعض القبائل وذلك من اجل اعداد النقلات الصالحة لتخصص لتموين النظارات التي تحتاج اليها ، وقد انتهت هذه العملية بانشاء مغرس جناس الذي يحتوي على 100.000 شجرة من الزيتون.

- دخل فى حيز التنفيذ مشروع غرس 2.660 شجرة زيتون بناحية العرائش وجرت عملية الغرس بحضور ممثلي كل من وزارة الاوقاف والفلاحة ورجال السلطة المحلية .

- تم الاتفاق بين نظارة احباس الجديدة وادارة المياه والغابات على ان يدخل مشروع غرس ارض الشيخ الرافعي فى حيز التطبيق وتبلغ مساحة الارض 155 هكتار .

  ومن جهة اخرى تم غرس 20.000 شجرة فى حميرات كما غرست 7.000 شجرة اخرى بارض السويبية .

- يقدر عدد النقلات التي تم غرسها مباشرة في نظارتي القرويين واحواز فاس حتى اواخر شهر فبراير من هذه السنة بـ 33.000 نقلة وذلك بزيادة 3.000 نقلة عما كان متوقعا ، واذا اضيف الى هذا العدد القدر الذي سيغرس بواسطة الغير فسيصبح مجموع الاشجار بناحية فاس 40.500 شجرة .

- تم غرس 3.000 شجرة من الزيتون فى ثلاث عشرة قطعة تابعة للمسجد الاعظم بصفرو ، كما ان النظارة انشات مغرسا بعزابة سيحتوي على 8.000 نقلة من الزيتون .

- تم الاتفاق بين نظارة وجدة وادارة المياه والغابات حول غرس 60.000 شجرة من الكاليبتوس فى ناحية العيون .

- تتابع نظارة الصويرة بعد حصولها على موافقة ادارة المياه والغابات غرس ارض الزاوية الكراتية، وتبلغ مساحة هذه الارض 7.000 هكتار ، وقد غرس منها فى السنين الماضية 530 هكتار .

- ما زالت نظارة آسفي تبذل قصارى جهدها قصد الاستفادة من ارض بوزكري المليئة بالاحجار ، وتبلغ مساحتها 300 هكتار ، وتم لحد الآن غرس 44.703 شجرة .

  كما ان جهود النظارة متوالية للاستفادة من القطعتين الارضيتين ، الشيكرية ، والبوعريشية، البالغة مساحتها 160 هكتار ، وبعد تحليل التربة تبين انها تحوي كمية من الملح الامر الذي يستدعي البحث عن نوع الكاليبتوس الملائم لهذه التربة .

- ما زالت تتوارد طلبات المغارسة على اساس الثلث بصورة واسعة على نظارة وزان ، وقد زادت هذه الطلبات عن الخمسين خلال الاشهر الثلاثة الاولى من هذه السنة .

  وتنوي النظارة من جهة اخرى غرس 30 هكتارا من البرتقال فى بحر السنة القادمة .

- تمكنت نظارة زرهون من غرس 7.000 شجرة من الزيتون .

- تم غرس 1.882 شجرة من الزيتون فى ناحية ورزازات .

الأنبـاء الثقافيّـة

* عين الدكتور احمد العراقي سفير المغرب في اسبانيا ، رئيسا شرفيا للمركز العربي الاسباني بمدريد ، وتعمل هذه المؤسسة على تشجيع العلاقات الثقافية بين اسبانيا والبلاد العربية .

* اكتشف اخيرا في مكان المدينة الرومانية القديمة « ليسكسوس » بالقرب من مدينة العرائش منتدى روماني كان يسع ثلاثة آلاف شخص .

* اقسمت الآنسة فتحية صحراوي اليمين القانونية امام نقابة المحامين الجزائريين كأول محامية جزائرية .

* تعتزم ادارة مجلة « اللقات » التونسية بالاشتراك مع دار الكتب الشرقية في تونس اصدار كتب في الفكر والادب والاجتماع . وستبدأ هذه السلسلة بمجموعة قصصية للسيدة ناجية ثامر عنوانها « اردنا الحياة » ثم ديوان للشاعر التونسي منور صمادح ، وآخر للشاعر الجزائري الأخضر السائحي ، ومسرحية اجتماعية للكاتب المغترب يوسف ابي اللمع الى جانب المؤلفات الاخرى في هذه السلسلة .

* سيكمل الدكتور باهور لبيب مدير المتحف القبطي بالقاهرة حفرياته في المتحف القبطي بالقاهرة في اول مايو المقبل بحثا عن آثار قبطية هامة ينتظر الكشف عنها .

* « فلسفة وفن » كتاب يدور حول اثر التيارات الفلسفية في الفن للدكتور زكي نجيب محمود ، صدر في القاهرة .

* وزارة الثقافة بالقاهرة تصدر عن مسرح الحكيم اول مجلة متخصصة في شؤون المسرح . برأس تحريرها الدكتور رشاد رشدي .

* « يحيى حقي » موضوع رسالة ماجستير قدمها سمير وهبي الطالب في الجامعة الامريكية بالقاهرة .

* يوسف السباعي يتبنى مشروعا للتعريف بأعلام الفكر والفن العربي ، سيبدأ المشروع بخمسة مؤلفات يصدرها مجلس الفنون عن احمد شوقي ، ونجيب الريحاني ، وسليمان نجيب ، وخليل مطران ، ومحمود تيمور .

* « القصة » مجلة تصدرها وزارة الثقافة بالقاهرة وبرأس تحريرها محمود تيمور .

* اصدرت الدار القومية بالقاهرة « ديوان رامي » وهو يضم عصارة ما نظمه احمد رامي زهاء 50 عاما .

* صدر بالقاهرة كتاب « امالي الزجاجي » لعبد الرحمن بن أسحاق بتحقيق عبد السلام هارون . والجزء الثاني من كتاب « شرح اشعار الهنذليين » لابي سعيد السكري ، تحقيق عبد الستار فراج ، ومحمود محمد شاكر .

* بدأ أنور الجندي ملاحق موسوعته « معالم الادب العربي المعاصر » بدراسة موضوعها « الصحافة العربية المعاصرة بين الحربين » .

* ادب الرحلات ستخصص له بالقاهرة جوائز تشجيعية . تكونت لجنة تفحص ادب الرحلات تضم الدكاترة : سهير القلماوي ، سلمان حزين ، حسين فوزي ، وعبد العزيز الاهواني .

* عقد في اوائل مارس بالقاهرة اول مؤتمر اسلامي لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر . مثل المغرب فيه الاستاذ عبد الله كنون .

* علي احمد باكثير اتم « ملحمة عمر بن الخطاب » التي تفرغ لاعدادها في العام الماضي وهي مسرحية طويلة يستغرق تمثيلها 15 حلقة .

* صدرت مجلة « الشعر » عن وزارة الثقافة بالقاهرة ويرأس تحريرها الدكتور عبد القادر القط ويعاونه غالي شكري كسكرتير للتحرير .

* « من وحي الاسكندرية » ملحمة شعرية لعادل الغضبان صدرت عن دار المعارف بالقاهرة .

* احيى مجلس الفنون بالقاهرة ذكرى مرور 700 سنة على وفاة المؤرخ ابن خلكان مؤلف كتاب « وفيات الاعيان » .

* نجيب محفوظ يكتب رواية طويلة اسمها « الشحات » .

* الجزء الاخير من « نهاية الادب » للنويري انتهى من تحقيقه مصطفى حجازي وراجعه الدكتور محمد مصطفى زيادة .

* انتهت الشاعرة شريفة فتحي من نظم مطولة ملحمية في موضوع « الصراع بين الشيطان والانسان »

* « الشعر بين التطور والجمود » عنوان الكتاب الذي صدر اخيرا للشاعر العوض وكيل ، يطرح فيه قصة الشعر الجديد بالتحليل العلمي والنقد الموضوعي .

* « رياح المغيب » ملحمة الشاعر محمود حسن اسماعيل الذي كتبها منذ عشر سنوات سيتم طبعها قريبا في القاهرة .

* يصدر قريبا كتاب « الصحافة والسلام العالمي » للدكتور مختار التهامي . وهو اول اطروحة دكتورة ينشرها المجلس الاعلى للفنون في القاهرة .

* بدا المجمع اللغوي بالقاهرة تعريب الفاظ الالعاب الرياضية وادواتها .

* تترجم مؤسسة المسرح بالقاهرة الى العربية الكتاب الذي الفته بالفرنسية سعاد ابيض عن والدها الممثل جورج ابيض .

* « احمد لطفي السيد » كتاب جديد للدكتور حسين فوزي النجار سينشر في سلسلة « اعلام العرب » بالقاهرة .

* من البحوث الادبية التي يناقشها المجمع اللغوي هذه الايام « مراحل القياس في تاريخ اللغة العربية » للاديب اللبناني عمر فروخ وصيغة « فعيل » بكسر الفاء وتشديد العين للدكتور ابراهيم انيس و « الفاظ الحضارة لعام 1964 » لمحمود تيمور و « السليقة عند العرب المحدثين » لعبد الله كنون و « الدخيل في لغتنا المحلية » لانيس المقدسي .

* اصدرت الادارة الثقافية بالجامعة العربية بالقاهرة كتاب « تاريخ الادب الجغرافي العربي » تاليف كراتشكوفسكي وترجمة صلاح عثمان هاشم بوزارة الخارجية السودانية .

* اصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء الخامس من « مجموعة المصطلحات العلمية والفنية » ويضم 1 800 مصطلح .

* اصدرت دور النشر في موسكو هذه الكتب : « الجمهورية العربية المتحدة » لنيكولاي دلين « تحت شمس شبه الجزيرة العربية » لبولات زيبروفي وافسناني شوكين . « المغرب ارض حمراء » للعالم البولوني برونيسلاد ميازغوفسكي .

* نقلت « فينوس ميلو » من متحف اللوفر بباريس الى اليابان لعرضها هناك بمناسبة الالعاب الاولمبية ومن بعد ذلك عرضت في متحف الفنون الغربية بطوكيو ، ثم تعرض بكيوتو في هذا الشهر .

* اسست جمعية راسين جائزة باسم « جائزة راسين » وهي مقررة لمكافاة احسن دراسة جديدة مخصصة لحياة ومؤلفات راسين وتحمل معلومات جديدة .

* يقوم المستشرق الفرنسي فسان مونتاي بترجمة مقدمة ابن خلدون الى اللغة الفرنسية بناء على طلب اليونسكو وقد اشرف على الانتهاء من ترجمة الجزء الاول . وصدر للمستشرق مونتاي ثلاثة كتب عن

الاسلام : « العالم الاسلامي » ، وهو دراسة ضافية مزودة بالرسوم والوثائق و « الاسلام » و « الاسلام في افريقيا السوداء »

❊ نظمت جمعية جان جاك روسو في مؤسسة التربية بباريس حفلة أدبية برئاسة شارل فيلدرك وتتابع الجمعية اقامة الحفلات بمناسبة الذكرى الخمسينية بعد المئتين لولادة مؤلف اميل .

❊ بمناسبة الذكرى الـ 17 للشاعر الياس ابو شبكة دعت لجنة التكريم وعائلة أبوشبكة الى حفلة خطابية اقيمت في معهد الرسل بجونية بلبنان تكلم فيها الاب بولس نجم ، وشكر الله الجر ، وجورج سالم ، وجورج غريب ، والشيخ عبد الله العلايلي ، وأنطوان قازان ، وميخائل نعيمة .

❊ اقر المجلس التنفيذي في الجمهورية العربية المتحدة ميثاق الوحدة الثقافية العربية الذي وضعه مؤتمر وزراء العرب الذي عقد في بغداد في أواخر شهر فبراير الماضي .

❊ منحت جائزة الرواية للأكاديمية الفرنسية لروبير مرغريت مكافأة لمجموع رواياته التاريخية . وقد صدرت اخيرا عن دار غاليمار رواياته التالية : « الحب والوقت » و « مذابح الخوف » و « ربح فولاذي » .

❊ وافق مجلس الوزراء العراقي على انشاء مجلس أعلى للبحوث العلمية يكون مرتبطا بجامعة بغداد . ويدور البحث الآن حول انشاء وزارة للبحث العلمي .

❊ « خيوط من رماد » مجموعة قصص جديدة لمحمد زهير الباشا تصدر قريبا في دمشق .

❊ صدر في دمشق ديوان « مجد البطولة » للشاعر صابر فلحوط .

❊ « الفتى مرجان » مسرحية شعرية لعبد الرحمن الشرقاوي صدرت أخيرا .

❊ اكتشفت البعثة الاثرية التابعة لمديرية الآثار العراقية تمثالا من النحاس يعود الى القرن الاول للميلاد وذلك خلال عمليات الصيانة التي تقوم بها في موقع الحضر الاثري الذي يقع على بعد 140 كيلو مترا جنوب غربي الموصل . ويعتبر هذا التمثال طرازا فريدا وهو يحمل كتابة بأن هذا الصنم كان معروفا باسم «مرمرين»

❊ اربعة آلاف اصطلاح قانوني ستعربها لجنة تكونت في المجمع اللغوي بالقاهرة ويراسها الدكتور علي بدوي.

❊ اللغة العربية اصبحت ضمن اللغات الرسمية في اتحاد البريد العالمي .

❊ بدات وزارة الاعلام السعودية في وضع وتنفيذ مخطط منظم لتوجيه الدعوة الى كبار الكتاب والصحفيين العرب لزيارة المملكة والاطلاع على ما بلغته من تقدم وازدهار .

❊ انتهى امين نخلة من اعداد ديوانه الثالث « ليالي الرقمتين » للطبع بعد « دفتر الغزل » و « الديوان الجديد » وقد مهد له ببحث في جمالية الشعر وتذوقه وتفهمه .

❊ صدر عن دار المكشوف ببيروت كتاب « مع العرب في التاريخ والاسطورة » لرئيف خوري . وهو ينطوي على دراسات حول حياة العرب ومكارم اخلاقهم وروائع ماضيهم .

❊ اصدرت اندونيسيا أربع مجموعات خاصة من طوابع آثار النوبة لجمع الاموال لانقاذ معبدي أبوسنبل.

❊ الاخطل الصغير أعد ثلاثة كتب ستصدر تباعا وهي : « كبراء واصفياء » مجموعة شعرية و « بين الادب والسياسة » وهي مختارات من جريدة «البرق» التي كان يصدرها الشاعر و « من بقايا الذاكرة » وهو يضم أسماء وأحداثا ورسائل من سنة 1908 الى 1933 .

❊ « الشراع الممزق » مجموعة قصصية جديدة للكاتب الليبي علي مصطفى المراشي صدرت بالقاهرة .

❊ كامل الشناوي يجمع لمحاته الشاعرية « ساعات » التي كان ينشرها بهذا العنوان في الصحف المصرية .

※ وافقت شقيقة جبران خليل جبران الآنسة ماريانا خليل جبران المقيمة في بوسطن بامريكا والتي يبلغ عمرها 70 عاما ، على العودة الى لبنان والاقامة فيه تلبية لدعوة اللجنة التي تهتم بمؤلفات شقيقها وتحفه الفنية في لبنان .

※ عقدت اللجنة الثقافية في جمعية الشابات المسلمات ببيروت ندوة لمعالجة « مشكلة الجيل الجديد في لبنان » اشترك فيها رشدي المعلوف ، باسم الجسر ، زاهية سلمان ، الدكتورة زاهية قدورة ــ كفافي .

※ اقيم في بيروت مهرجان تكريم للشاعر المهجري شكر الله الجر .

※ افتتح اخيرا في بيروت مؤتمر للنساء الجامعيات حضرته مندوبات عن لبنان ، والاردن ، والسودان ، و ج. ع. م ، والعراق ، والكويت ، وفلسطين ، والمغرب

※ صدر في بيروت كتاب « فارس اغا » لمارون عبود.

※ أصدرت مجلة « الحكمة » في بيروت عددا خاصا بالفقيد الشاعر باللغة الفرنسية شارل قرم صاحب ديوان « الجبل الملهم » .

※ صدر في بيروت « مدرسة الكمان الشرقية » في جزئين يضمهما مجلد من القطع الكبير عن اصول العزف على الكمان الشرقي .

وضعهما الفنان اميل غصن استاذ الكمان في الكونسر فاتوار الوطني للموسيقى في بيروت .

※ منحت جائزة سعيد عقل الشهرية للمهندس جورج اسطفان رئيس مصلحة الفتوغرافية في مديرية الشؤون الجغرافية ببيروت .

※ الى 17 لغة متداولة في الهند ستترجم وزارة الثقافة الهندية الكتب الآتية : « عثمان » . و « الفتنة الكبرى » . لطه حسين و « غاندي » للعقاد و « عودة الروح » للحكيم و « كل عام وانتم بخير » لمحمود تيمور و « اشتراكية الاسلام » لمصطفى السباعي و « زقاق المدق » لنجيب محفوظ و « نادية » ليوسف السباعي و « في بيتنا رجل » لاحسان عبد القدوس و « الارض » للشرقاوي و « قنديل ام هاشم » لحقي و « جنة العذارى » لعبد الحليم عبد الله .

※ اعدت الحكومة اللبنانية مشروع قانون يجيز لها في مهلة ستة اشهر أن تحدث وتنظم مؤسسة دائمة مهمتها العامة الاهتمام بقضايا الشباب لاكمال التنشئة التي تلقوا مبادئها في البيت او في المدرسة ، او في التدريب المهني . وتشمل دروس التنشئة الحقول الثقافية والبدنية والاخلاقية والمدنية مع جمعيات الشباب التي تشجع انشاءها وتساعد على نموها .

※ يقام خلال هذا العام في باريس معرض دولي للطوابع وقد تالفت لجنة لتنظيم هذا المعرض الذي يشتمل بالاضافة الى قسم الطوابع البريدية على عرض مخصص للصحافة التي تعنى بالطوابع .

※ تلقت وزارة التربية اللبنانية من اليونسكو مذكرة تبلغها فيها ان المكتب الدائم للتعريب في الرباط بالمغرب يقوم بوضع معجم فني للمسرح والسينما والنحت والرسم والاذاعة والتلفزيون . وقد طلبت اليونسكو من الحكومة اللبنانية ابداء رايها في هذا المشروع وامكانية مساهمة لبنان في اصدار هذا المعجم . وقد احيلت المذكرة على اللجنة الوطنية لليونسكو لدرسها .

※ صدر في بيروت لعبد اللطيف شرارة : « خليل مطران » و « ابراهيم طوقان » في سلسلة « شعراؤنا » . ويعد المؤلف سلسلة جديدة باسم « ادباؤنا » سيبداها بمي زيادة ، فامين الريحاني ، فجبران خليل جبران ، فنعيمة ، فمارون عبود وسواهم .

※ يصدر قريبا في بيروت الجزء الثاني من مصادر الدراسة الادبية ليوسف اسعد داغر . وينطوي على ترجمات لأدباء النهضة الراحلين من سنة 1800 الى 1936 ، وهو القسم الثاني من تراجم أدباء النهضة . يضم هذا الجزء ، حوالي 450 ترجمة جديدة تضاف الى 250 ترجمة التي تضمنها الجزء الاول ، فيكون مجموع الجزئين موسوعة كبيرة لاعلام النهضة في الشرق العربي .

※ صدرت في القاهرة الكتب التالية : « اغراء » مجموعة قصص لحسن فتحي خليل تقديم محمود تيمور . و « الحيادة الادبية في ليبيا » للدكتور مطوية

« الفقيد صلاح ذهني » و « زهير بن ابي سلمى » للدكتور عبد الحميد سند الجندي « الفريد نوبل » لابريك بير جنجريس تقديم همرشولد وتشرشل و « الدار ما ارباؤها وساطرها » لجيمس لفر ترجمة مجدي فريد و « فلسفة الحضارة » لالبرت اشفستر ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي ومراجعة الدكتور زكي نجيب محمود ، و « ما يقال عن الاسلام » لعباس محمود العقاد و « فاجنر » لعبد المنعم عبد القادر ، و « بلياس ومليزاند » ، مسرحية لموريس مترلنك ترجمة الدكتور محمد غنيمي هلال . و « الظلال في الجانب » ، قصة مصرية لمحمود دياب و « مستقبل الشباب العربي » لمحمد علي حافظ و « الخنساء شاعرة بني سليم » للدكتور جابر عبد العال الحيني و « الصين والعرب عبر التاريخ » لمحمد محمود زيتون و « تاريخ الزنوج » لاناكوربنبراون ترجمة الدكتور م. عيسى و « قضايا اندلسية » للدكتور بدمتولي حميد و « نظرة الاعتداء المادي في القانون الاداري » للدكتور مصطفى كبيرة و « الفتاوي » للشيخ محمود شلتوت .

※ انهى الدكتور بالي وبندر استاذ الادب العربي في جامعة برنستون الامريكية من ترجمة رواية توفيق الحكيم « عصفور الجنة » الى اللغة الانجليزية والدكتور بالي ينتهي بعد شهر من تاليف كتاب من 3 اجزاء عن « تاريخ الحجاز في القرن 19 » .

※ قررت جامعة دول سلف « الارجنتينية » وهي مركز كاثوليكي للدراسات العالية ادخال اللغة العربية والادب والتاريخ العربي في برامجها . وهذا المشروع الجديد يعد خطوة واسعة لتدريس اللغة العربية وآدابها في امريكا اللاتينية .

※ نشر العالم الياباني لوناكا في جريدة « ساهي » نداء وجهه لعلماء الآثار في العالم . قال فيه : لقد آن الأوان ليعرف العالم حقيقة قصة الانسانية ، وان الاثار هي لغة التاريخ وانني اطلب من المهتمين بدراسة الحضارات أن يسعوا لعقد مؤتمر . بشرط ان تمثل فيه القارات الخمس في العالم . انني انتظر نتائج مذهلة عند ما يترابط التاريخ ، ويصبح كلام محامي من آسيا مكملا لمناقشة عالم في افريقيا .

※ طبع قاموس كيللية — فلا ماريون بباريس بنصه وصوره بالهليوغرافور . وهذه هي المرة الاولى الذي يطبع فيها قاموس بهذا الشكل مع عدد كبير من الصور.

※ نعت القاهرة الاستاذ الكبير محمود العقاد عن سن يناهز الخامسة والسبعين ، سخرها كلها لخدمة الثقافة والعلم والادب ، فقد كتب رحمه الله في مختلف الوان الثقافة من ادب ، وتاريخ ، وفلسفة ، وفن ، ودين ، وترجمات وقد بلغ ما خلفه من الكتب زهاء ثمانين كتابا بعضها ترجم الى اللغات الحية ، ولقد افاضت الصحافة العربية في الاطراء على حياة هذا الرجل الذي كرسها لخدمة الفكر في جل ما كتبه .

رحم الله العقاد ، فقد كان دائرة معارف واسكنه فسيح جنانه .

※ انعقد اخيرا بالقاهرة مؤتمر العلماء المسلمين ، درس ستة عشر بحثا تتناول مسائل هامة عن العلاقات الدولية والمذاهب الاقتصادية ، كما تناول موضوع الاشتراكية في الاسلام . وتحديد معالم الانسان والحرية الشخصية ، والدعوة الاسلامية ، ووسائل نشرها ، والاجتهاد في الاسلام ، ومشكلات المسلمين المختلفة . وحضر هذا المؤتمر ممثلون عن العلماء في 44 دولة عربية واسلامية وافريقية وآسيوية واوربية وبينها ممثلون عن اليابان ويوغوسلافيا ، والمجر والاتحاد السوفياتي وانجلترا .

※ كانت نتيجة مسابقة جمعية اصدقاء الكتاب بلبنان لعام 1963 على الشكل الآتي : جائزة رئيس الجمهورية التقديرية لانيس المقدسي ، جائزة لبنان في العالم للدكتور فليب حتي ، جائزة الكويت للدكتور احمد

سوسة عن كتابه « فيفانات بغداد » جائزة فلسطين لمحمد مهدي عن كتابه باللغة الانجليزية « امة من الاسود ... مقيدة » جائزة ادب الاطفال منحت مناصفة بين كتابي « الطبيب الصغير » لادفيك شيبوب و « في العشايا » لرشاد دارغوث جائزة العلم منحت للدكتور عبد المنعم تلحوق عن بحثه « الحشرات واشجار اللوز » المنشور باللغة الالمانية ، جائزة القصة القصيرة منحت مناصفة لمجموعة « السرعة والانسان » لسميرة عزام و « الارض القديمة » ليوسف حبشي الاشقر . جائزة المسرح منحت لانطون معلوف عن مسرحية « الازميل » وقررت جمعية اصدقاء الكتاب حجب جائزة الدراسات اللبنانية وجائزة مدينة بيروت .

※ اعلن المتحف البريطاني في لندن ان دائرة المطبوعات والمخطوطات الشرقية فيه قد ظفرت اخيرا بنسخة قيمة مخطوطة من القرآن الكريم يعود تاريخها الى القرن العاشر بعد الميلاد .

وقال ناطق بلسان المتحف ان هذه النسخة كانت لمدة طويلة ضمن مجموعة خاصة في تركيا . وهناك احتمال قوي بان تكون قد دونت في ايران ولكن هناك احتمال آخر بان تكون قد حفظت في العراق او سوريا او مصر .

واستطرد الناطق قائلا ان النسخة ما تزال في حالة جيدة بالنسبة للتاريخ الذي وضع فيها واضيفت الى مجموعة المخطوطات الشرقية في المتحف نظرا لقيمتها التاريخية والفنية وهي مكتوبة بالخط الكوفي اما اسماء السور فمكتوبة بالخط الثلثي المذهب وفي مكتبة جامعة اسطنبول نسخة من القرآن الكريم مدونة بالخط الكوفي يعود تاريخها الى سنة 961 هجرية وكان يعتقد انها اقدم نسخة وتضم مجموعة المخطوطات الشرقية في المتحف البريطاني اقدم نسخة للقرآن الكريم وافضلها في العالم وهي نسخة غير كاملة .

تطور الفكر والثقافة
في المغرب العربي الكبير

أخي الاديب العربي في المغرب العربي

أعمل الآن في دراسة عن تطور الفكر والثقافة في المغرب العربي كله (ليبيا ــ تونس ــ الجزائر ــ المغرب) وتستطيع متفضلا آن ترسل لي ما يعين على استكمال هذه الدراسة من مراجع أو قصاصات او فهارس أو قوائم مكتبات أو احالات على مراجع ومصادر أو تراجم أعلام ، أو ملاحظات موجهة تنفع البحث ، ولكم خالص
– [illegible] –

جريدة الجمهورية ــ القاهرة

العلامة محمد بن عبد الله فى ذمة الله

استأثرت رحمة بالفقيه العلامة محمد بن عبد الله اثناء ادائه لفريضة الحج ، وقد كان الفقيد مثالا للعلم والنزاهة ، وقد تركت وفاته اثرا عميقا فى نفوس القضاة والعلماء والادباء .

واسرة دعوة الحق التي ساهم فى تحريرها غير ما مرة والتي تحفظ له كل تقدير واحترام تتقدم لاسرته ومحبيه بتعازيها الحارة راجية من المولى ان يهبهم جميل الصبر والسلوان ، وان يتغمد الفقيد بواسع رحمته ورضوانه .

« دعوة الحق »

فهرس العدد السابع - السنة السابعة

صفحة